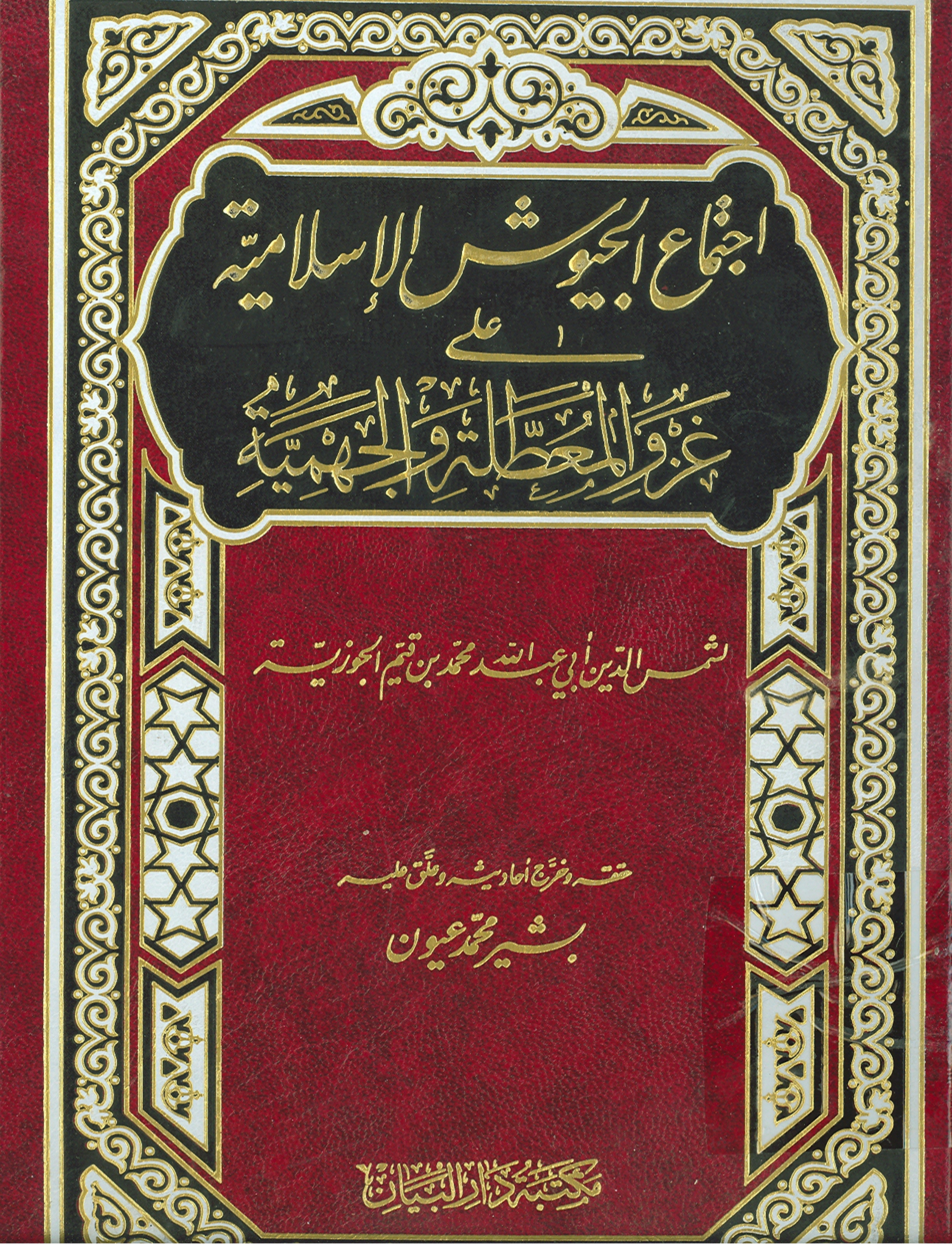

اجتماع الجيوش الإسلامية
على
غزو المعطلة والجهمية
شمس الدين أبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية
حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه
بشير محمد عيون
مكتبة دار البيان

الطبعة الثالثة

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

إن مطبوعات مكتبة دار البيان بدمشق تطلب مباشرة على عنوانها
وليس للدار أي وكلاء أو متعهدين أو موزعين في أي بلد آخر





دمشق. ساحة الحجاز. بناء ملا وماضي
هاتف ٢٢٢٩٠٤٥
فاكس ٢٢٣٦٥٠٢ ص. ب ٢٨٥٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبعد: فإن معرفة الله سبحانه رأس الإيمان، ولا تتحقق إلا بالرجوع إلى كتاب الله سبحانه وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه، وكل شيء يخالفهما باطل مردود.

وكثرت الكتب في هذا الباب، ودخلها علم الكلام والفلسفات اليونانية، فعكّرت صفو العقيدة، واستعص فهمها على العلماء، فضلاً عن العامة.

ورحمة الله على شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، الذي أعادا لهذا العلم ـ علم التوحيد ـ نضارته وصفائه وبهجته. حين أعادا أطره بمصدره التوحيد ـ الوحي ـ ووشاه بالحجج الشرعية العقلية، فالعقل والنقل متوافقان، ولا يمكن أن يتناقض المعقول مع المنقول إلا إذا كان أحدهما غير صحيح.

وهذا الكتاب: «اجتماع الجيوش الإسلامية» لابن القيم، ثمرة من هذه الثمار اليانعة، خصصه مؤلفه لبيان الحق في أمورٍ لبّس فيها على الأمة أصحاب الأهواء والبدع من جهمية وقدرية وغيرهم، وخاصة في باب الأسماء والصفات التي كثر فيه لغط المنحرفين عن جادة الحق ومنهاج السلف، وشاع لقطهم هذا بين العامة. وإن الأمل في عودة مجد الأمة إلى سابقه لن يتحقق إلا بعودتها إلى دينها الحق الذي أنزله الله على نبيه ﷺ والذي كان عليه سلف هذه الأمة.

عملي في الكتاب:

١ ـ اعتمدت في تحقيق الكتاب على النسخة المطبوعة بإدارة المطبعة المنيرية سنة (١٣٥١ هـ)، وقد عنى بتصحيحه ومراجعة أصوله رئيس القضاة بالحجاز الشيخ عبد الله بن حسن الشيخ، ومدير المعهد العلمي الإسلامي بمكة الشيخ ابراهيم الشورى.

وكذلك على مخطوطة المكتبة الظاهرية برقم (٢٩٤٣) وهي في أصلها من محفوظات المكتبة العمرية، وقد تسرب التآكل إلى رؤوس الافتتاحية والمقدمة والأوراق الأولى حتى نهاية الكراسة الأولى، وقد رممت المخطوطة حديثاً ووصلت الأطراف من الأعلى، وقد أدى هذا التآكل إلى ضياع الكتابة من الأسطر الثلاث الأولى وأكملنا النقص من المطبوع.

والمخطوط قريب العهد من المؤلف إذ نسخت في شهر رجب سنة ست وثمانمائة للهجرة، أي بعد وفاة المؤلف رحمه الله تعالى بخمس وخمسين سنة.

٢ ـ ضبطت الآيات وعزوتها إلى سورها، كما خرجت الأحاديث الواردة في الكتاب.

وفي الختام أرجو أن تكون هذه الطبعة أصح الطبعات وأفضلها. جعل الله أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، ونسأله العون والتوفيق لاخراج الكتاب اخراجاً أفضل وأكمل. والحمد لله أولاً وآخراً.

دمشق ١٥ رجب الفرد ١٤١٣ هـ
٨ كانون الثاني ١٩٩٣ م

الراجي من الله العون
بشير محمد عيون

انموذج الصفحة الأولى من نسخ المخطوط

انموذج الصفحة الأخيرة من نسخ المخطوط

/بسم الله الرحمن الرحيم

٢/أ

الله سبحانه المسؤول المرجو الإجابة أَن يُمَتِّعكم بـالإسلام والسُنَّـة والعافية، فإنَّ سَعَادة الدنيا والآخرة ونعيمَهُمَا وفوزَهُمَا مبنيٌّ على هذه الأركان الثلاثة، وما اجتمعن في عبدٍ بوصف الكمال، إلّا وقَد كمُلت نعمةُ الله عليهِ، وإلّا فنصيبه من نعمة الله بحسب نصيبه منها

والنعمة نعمتان: نعمة مطلقة، ونعمة مقيدة: **فالنعمة المطلقـة** هي المتصلة بسعادة الأبد، وهي نعمة الإسلام والسنة، وهي النعمة التي أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نسألَهُ في صلواتِنا أن يهدينا صراطَ أهلها، ومن خصَّه بها، وجعلهم أهل الرَّفيق الأَعلى حيث يقول الله تعالى: ﴿ومَنْ يُطِعِ الله والرَّسُولَ فأولئكَ مَعَ الَّذينَ أنْعَمَ الله عَلَيْهم مِنَ النَّبِيِّين والصِّدِّيقينَ والصَّالحينَ وحَسُنَ أولئكَ رفيقاً﴾ [النساء: ٦٩].

فهؤلاء الأصناف الأربعة هم أهل هذه النِّعمة المطلقة، وأصحابها أيضاً هم المعنيون بقولِ الله تعالى: ﴿اليَوْمَ أكْمَلْتُ لَكُم دينَكُم وأتْمَمْتُ عَلَيْكُم نِعْمتي ورَضيتُ لَكُم الإسلامَ ديناً﴾ [المائدة: ٣]، فأضاف الدِّينَ إليهم، إذْ هُمُ المختصّون بهذا الدين القيِّم دون سائر الأمم.

والدِّين تارة يضاف إلى العبد، وتارة يضاف إلى الربّ، فيقال: الإسلام

دين الله الذي لا يقبل من أحد ديناً سواه، ولهذا يقال في الدعاء: اللهم انصر دينك الذي أنزلته من السماء. ونُسِبَ الكمالُ إلى الدِّين والتَّمام إلى النِّعمة مع إضافتها إليه، لأنه هو وليّها ومُسْدِيها إليهم، وهم محل محض النعمة قابلين لها، ولهذا [يقال] في الدعاء المأثور للمسلمين: واجعلهم مثنين بها عليك قابليها، وأتممها عليهم.

وأما الدين فلما كانوا هم القائمين به، الفاعلين له بتوفيق ربهم نسبه إليهم، فقال: ﴿أكملتُ لكم دينكم﴾. وكان الإكمال في جانب الدين والتمام في جانب النعمة. واللفظتان ـ وإن تقاربتا وتواخيتا ـ فبينهما فرق لطيف يظهر عند التأمل، فإن الكمال أخص بالصفات والمعاني، ويطلق على الأعيان والذوات، ولكن باعتبار صفاتها وخواصها، كما قال النبي ﷺ: «كَملَ من الرجال كثيرٌ، ولَمْ يكمل من النِّساء إلاَّ مريمَ بنتَ عُمران، وآسية بنتُ مُزاحم، وخديجة بنتَ خُويلد»[1].

وقال عمر بن عبد العزيز: إن للإيمان حدوداً وفرائض وسنناً وشرائع، فمن استكملها، فقد استكمل الإيمان.

٢/ب وأما التمام فيكون في الأعيان والمعاني، /ونعمة الله أعيان وأوصاف ومعان، وأما دينه فهو شرعه المتضمن لأمره ونهيه ومحابه، فكانت نسبة الكمال إلى الدين والتمام إلى النعمة أحسن، كما كانت إضافة الدين إليهم، والنعمة إليه أحسن.

والمقصود أن هذه النعمة هي النعمة المطلقة وهي التي اختصت بالمؤمنين، وإذا قيل: ليس لله على الكافر نعمة بهذا الاعتبار، فهو صحيح.

---

(١) البخاري رقم (٣٤١١) و (٣٤٣٣) و (٣٧٦٩) و (٥٤١٨)، ومسلم رقم (٢٤٤٦)، والترمذي رقم (٣٨٨١)، وابن ماجه رقم (٣٢٨٠)، واحمد ٤/٣٩٤ و ٤٠٩، من حديث أنس رضي الله عنه.

والنعمة الثانية: **النعمة المقيدة**، كنعمة الصحة والغنى، وعافية الجسد، وتبسّط الجاه، وكثرة الولد، والزوجة الحسنة، وأمثال هذا، فهذه النعمة مشتركة بين البرِّ والفاجر، والمؤمن والكافر، وإذا قيل لله على الكافر نعمة بهذا الاعتبار، فهو حقّ، فلا يصح إطلاق السلب والإيجاب إلا على وجه واحد، وهو أن النعم المقيدة لما كانت استَدراجاً للكافر ومآلها إلى العذاب والشقاء، فكأنها لم تكن نعمة، وإنما كانت بلية كما سماها الله تعالى في كتابه كذلك، فقال تعالى: ﴿فأمّا الإنْسانُ إذا ما ابْتَلاهُ ربُّه فـأكْرمَـهُ ونَعَّمَهُ فيَقُولُ ربِّي أكْرَمَنِ * وأمّا إذا ما ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عليْهِ رِزْقَه فيَقُولُ ربِّي أهَانَنِ * كَلاّ﴾ [الفجر: ١٥ ـ ١٧] أي ليس كل من أكرمته في الدنيا ونعمته فيها فقد أنعمت عليه، وإنما كان ذلك ابتلاء مني له واختباراً، ولا كل من قدرت عليه رزقه، فجعلته بقدر حاجته من غير فضيلة أكون قد أهنته، بل أبتلي عبدي بالنعم كما أبتليه بالمصائب.

فإن قيل: كيف يلتئم هذا المعنى ويتفق مع قوله: ﴿فأكرمه ونعمه﴾ فأثبت له الإكرام، ثم «أنكر عليه قوله: ﴿ربي أكرمن﴾، وقال: ﴿كلا﴾ أي ليس ذلك إكراماً مني، وإنما هو ابتلاء، فكأنه أثبت له الإكرام ونفاه.

قيل: الإكرام المثبت غير الإكرام المنفي، وهما من جنس النعمة المطلقة والمقيدة، فليس هذا الإكرام المقيّد بموجب لصاحبه أن يكون من أهل الإكرام المطلق، وكذلك أيضاً إذا قيل: إن الله أنعم على الكافر نعمة مطلقة ولكنه رد نعم الله وبدلها، فهو بمنزلة من أعطى ما لا يعيش به، فرماه في البحر كما قال تعالى: ﴿ألَمْ تَرَ إلى الّذينَ بَدّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً﴾ [إبراهيم: ٢٨]. وقال تعالى: ﴿وأمّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فاستَحَبُّوا العَمَى على الهُدى﴾ [فصلت: ١٧]، فهدايته إياهم نعمة منه عليهم، فبدلوا نعمته، وآثروا عليها الضلال.

فهذا فصل النزاع في مسألة: هل لله على الكافر نعمة أم لا؟ وأكثر

اختلاف الناس من جهتين: إحداهما: اشتراك الألفاظ وإجمالها. والثانية: من جهة الإطلاق والتفصيل.[1]

* * *

١ ـ فصل

١/٣ وهذه النعمة المطلقة هي التي يفرح بها في الحقيقة، /والفرح بها مما يحبه الله ويرضاه، وهو لا يحب الفرحين. قال الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ الله وبِرَحْمَتِه فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرحوا هُوَ خَيْرٌ ممّا يجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]. وقد دارت أقوال السلف، على أن فضل الله ورحمته الإسلام والسنّة، وعلى حسب حياة القلب يكون فرحه بهما، وكلما كان أرسخ فيهما كان قلبه أشد فرحاً، حتى إن القلب إذا باشر روح السنّة ليرقص فرحاً أخوف ما يكون الناس.

فإن السنّة حصن الله الحصين الذي من دخله كان من الآمنين، وبابه حصن الله الأعظم الذي من دخله كان إليه من الواصلين. تَقُومُ بأهلها، وإن قعدت بهم أعمالُهُمْ، ويسعى نورها بين أيديهم إذا طفئت لأهل البدع والنفاق أنوارهم، وأهل السنّة هم المبيضة وجوههم إذا اسودت وجوه أهل البدعة. قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبيضُّ وجُوه وتَسْودُّ وجُوه﴾. [آل عمران: ١٠٦] قال ابن عباس: تبيض وجوه أهل السنّة والائتلاف، وتسوّد وجوه أهل البدعة والتفرق.

وهي الحياة والنور اللذين بهما سعادة الأبد وهداه وفوزه. قال تعالى: ﴿أوَمَنْ كانَ مَيْتاً فأحْيَيْناه وجَعَلْنا لَهُ نُوراً يمْشي بهِ في النّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ في الظُّلماتِ لَيْسَ بخَارجٍ منْها﴾. [الأنعام: ١٢٢].

فصاحب السنّة حيّ القلب مستنير القلب، وصاحب البدعة ميت القلب مظلمه، وقد ذكر الله سبحانه هذين الأصلين في كتابه في غير موضع، وجعلهما صفة أهل الإيمان، وجعل ضدهما صفة من خرج عن الإيمان.

---

(١) انظر ما قاله المصنف رحمه الله تعالى في «بدائع الفوائد» ٤/٢٢ ـ ٢٣.

فإن القلب الحي المستنير هو الذي عقل عن الله وفهم عنه وأذعن وانقاد لتوحيده، ومتابعة ما بعث به رسوله ﷺ. والقلب الميت المظلم الذي لم يعقل عن الله، ولا انقاد لما بعث به رسول الله ﷺ.

ولهذا يصف سبحانه هذا الضرب من الناس بأنهم أموات غير أحياء، وبأنهم في الظلمات لا يخرجون منها، ولهذا كانت الظلمة مستولية عليهم في جميع جهاتهم، فقلوبهم مظلمة ترى الحق في صورة الباطل، والباطل في صورة الحق، وأعمالهم مظلمة، وأقوالهم مظلمة، وأحوالهم كلها مظلمة، وقبورهم ممتلئة عليهم ظلمة، وإذا قيمت الأنوار دون الجسر للعبور عليه بقوا في الظلمات ومدخلهم في النار مظلم، وهذه الظلمة هي التي خلق فيها الخلق أولاً، فمن أراد الله سبحانه وتعالى به السعادة أخرجه منها إلى النور، ومن أراد به الشقاوة تركه فيها، كما روى الإمام أحمد/وابن حبان في «صحيحه» من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ الله خَلَقَ خَلْقه في ظُلْمة ثمّ ألْقى عليْهم من نُوره فَمَنْ أصابَه منْ ذلكَ النُّور اهْتَدى ومَنْ أخطأه ضلّ، فلذلك أقول: جَفَّ القلمُ على علم الله».[1] ٣/ب

وكان النبي ﷺ يسأل الله تعالى أن يجعل له نوراً في قلبه، وسمعه، وبصره، وشعره، وبشره، ولحمه، وعظامه، ودمه، ومن فوقه، ، ومن تحته، وعن يمينه، وعن شماله، وخلفه، وأمامه، وأن يجعل ذاته نوراً،[2] فطلب ﷺ النور لذاته، ولأبعاضه، ولحواسه الظاهرة والباطنة، ولجهاته الست.

وقال أُبي بن كعب رضي الله عنه: المؤمن مدخله من نور، ومخرجه من نور، وقوله نور، وعمله نور.

---

(١) الترمذي رقم (٢٦٤٤)، وأحمد ٢/١٧٦ و١٩٧، وصححه ابن حبان (١٨١٣) «موارد»، والحاكم ١/٣٠ ووافقه الذهبي. وهو كما قالوا. انظر «الأحاديث الصحيحة» رقم (١٠٧٦).

(٢) البخاري رقم (٦٣١٦)، ومسلم رقم (٧٦٣)، وأحمد ١/٣٨٤ و٣٥٢ و٣٧٣، وأبو داود رقم (١٣٥٣)، والترمذي رقم (٣٤١٩)، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

وهذا النور بحسب قوته وضعفه يظهر لصاحبه يوم القيامة، فيسعى بين يديه ويمينه، فمن الناس من يكون نوره كالشمس، وآخر كالنجم، وآخر كالنخلة السحوق، وآخر دون ذلك، حتى أن منهم من يعطي نوراً على رأس أبهام قدمه يضيء مرة، ويطفأ أخرى، كما كان نور إيمانه ومتابعته في الدنيا، كذلك فهو هذا بعينه يظهر هناك للحس والعيان.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وكَذَلِكَ أوْحَينا إلَيْكَ رُوحاً مِنْ أمْرنا ما كُنْتَ تَدْري ما الْكِتابُ ولا الإيمان ولكِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نهْدي بهِ مَنْ نَشَاء مِنْ عِبادنا﴾. [الشورى: ٥٢] فسمى وحيه وأمره روحاً لما يحصل به من حياة القلوب والأرواح، وسماه نوراً لما يحصل به من الهدى واستنارة القلوب، والفرقان بين الحق والباطل.

وقد اختلف في الضمير في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿ولكن جعلناه نوراً﴾ فقيل يعود على الكتاب، وقيل: على الإيمان، والصحيح[1] أنه يعود على الروح في قوله: ﴿روحاً من أمرنا﴾، فأخبر تعالى أنه جعل أمره روحاً ونوراً وهدىً، ولهذا ترى صاحب اتباع الأمر والسنّة قد كُسِيَ من الروح والنور وما يتبعهما من الحلاوة والمهابة والجلالة والقبول ما قد حرمه غيره، كما قال الحسن رحمه الله: إن المؤمن [من] رُزِقَ حلاوة ومهابة.

وقال الله تعالى: ﴿اللهُ وليُّ الّذينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّور والَّذينَ كَفَرُوا أولياؤهُم الطّاغُوتُ يُخرجُونهُم مِنَ النُّورِ إلى الظُّلُماتِ﴾ [البقرة:

---

(١) قال المصنف رحمه الله تعالى في «الوابل الصيب» بتحقيقنا ص (١٠٧ ـ ١٠٨)
وقد قيل: أن الضمير في ﴿جعلناه﴾ عائد إلى الأمر، وقيل: إلى الكتاب وقيل: إلى الإيمان، والصواب: أنه عائد إلى الروح، أي: جعلنا ذلك الروح الذي أوحيناه إليك نوراً، فسماه روحاً لما يحصل به من الحياة، وجعله نوراً لما يحصل به من الإشراق والإضاءة وهما متلازمان، فحيث وجدت هذه الحياة بهذا الروح، وجدت الإضاءة والإستنارة، وحيث وجدت الإستنارة والإضاءة، وجدت الحياة، فمن لم يقبل هذا الروح، فهو ميت مظلم كما أن من فارق بدنه روح الحياة فهو هالك مضمحل» أ.هـ.

٢٥٧]. فأولياؤهم يعيدونهم إلى ما خلقوا فيه من ظلمة طبائعهم وجهلهم أهوائهم، وكلما أشرق لهم نور النبوة والوحي وكادوا أن يدخلوا فيه منعهم أولياؤهم منه وصدوهم، فذلك إخراجهم إياهم من النور إلى الظلمات. وقال تعالى: ﴿أَوَمَنْ كانَ مَيْتاً فأحْيَيْناه وجَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشي بِهِ في النّاس كَمَنْ مَثَلُه في الظُّلُماتِ لَيْسَ بخَارجٍ منْها﴾ [الأنعام: ١٢٢] فأحياه سبحانه/وتعالى بروحه ٣/أ الذي هو وحيه، وهو روح الإيمان والعلم، وجعل له نوراً يمشي به بين أهل الظلمة كما يمشي الرجل بالسِّراج المضيءِ في الليلة الظَلْمَاءِ، فهو يَرَى أَهْلَ الظلمة في ظلامتهم، وهم لا يَرَوْنَهُ، كالبصير الذي يمشي بين العميان.

* * *

٢ ـ فصل

والخارجون عن طاعة الرُّسُل صلوات الله وسلامه عليهم ومتابعتهم يتقلَّبون في عشر ظُلمات: ظلمة الطَبع، وظلمة الجَهل، وظلمةِ الهَوَى، وظلمة القَوْل، وظلمة العَمَل، وظلمة المَدْخَلِ، وظلمة المَخْرَجِ، وظلمة القَبْر، وظلمةِ القيامة، وظلمة دار القَرارِ. فالظلمةُ لازمة لهم في دُورهم الثلاثة.

وأتباع الرُّسل صلوات الله وسلامه عليهم يَتَقلَّبون في عشرةِ أنوار، ولهذه الأمة من النور ما ليس لأمة غيرها، ولنبيِّها ﷺ من النّور ما ليس لنبيٍّ غيره، فإن لكل نبيّ منهم نورَين، ولنبينا ﷺ تحت كل شعرة من رأسه وجَسَدِهِ نور تامّ، كذلك صفته وصفة أُمَّتِهِ في الكُتُب المتقدِّمة.

وقال تعالى: ﴿يا أيُّها الّذينَ آمنُوا اتّقُوا اللهَ وآمِنُوا برَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ منْ رحْمَتهِ ويَجعل لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بهِ ويَغْفِرْ لَكُمْ واللهُ غَفُور رحيم﴾ [الحديد: ٢٨].

وفي قوله: ﴿تمشون به﴾ إعلام بأن تصرفهم وتقلبهم الذي ينفعهم إنما

هو النّور، وأنّ مشيهم بغير النّور غير مجدٍ عليهم، ولا نافع لهم، بل ضرره أكثر من نفعه. وفيه: أن أهل النور هم أهل المشي في النّاس، ومن سواهم أهل الزمانة والانقطاع فلا مشي لقلوبهم [ولا لأحوالهم] ولا لأقوالهم ولا لأقدامهم إلى الطاعات، وكذلك لا تمشي على الصراط إذا مشت بأهل الأنوار أقدامهم.

وفي قوله: ﴿تمشون به﴾ نكتة بديعة، وهي أنهم يمشون على الصراط بأنوارهم، كما مشوا بها بين الناس في الدنيا، ومن لا نور له فإنه لا يستطيع أن ينقل قدماً عن قدم على الصراط، فلا يستطيع المشي أحوج ما يكون إليه.

* * *

٣ ـ فصل

والله سبحانه وتعالى سمى نفسه نوراً، وجعل كتابه نوراً ورسوله ﷺ نوراً، ودينه نوراً، واحتجب عن خلقه بالنور، وجعل دار أوليائه نوراً يتلألأ.

قال الله تعالى: ﴿اللهُ نُورُ السّمَواتِ والأرْضِ مَثَلُ نُوره كَمِشْكاةٍ فيها مِصْباح المِصْباحُ في زُجَاجةٍ الزُّجَاجةُ كأنّها كَوْكَبٌ دُرِيٌّ يُوقَدُ منْ شَجَرَةٍ مُباركةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقيّةٍ ولاَ غَرْبيّةٍ يَكَادُ زَيْتُها يُضيء ولَوْ لَمْ يَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ على نُورٍ يَهْدي الله لِنُورهِ مَنْ يَشَاءُ ويَضْرِبُ الله الأمْثالَ للنّاسِ والله بكلِّ شيء عليمٌ﴾ [النور: ٣٥].

وقد فسر كونه: ﴿الله نور السموات والأرض﴾ بكونه منّور السموات والأرض، وهادي أهل السموات والأرض[1]. فبنوره اهتدى أهل السموات

(١) قال المصنف رحمه الله تعالى في «مختصر الصواعق» ١٩٨/٢ ـ ٢٠١: قال أبو بكر ابن العربي: قد اختلف الناس بعد معرفتهم بالنور على ستة أقوال:
الأول: معناه: هاد. قاله ابن عباس.
والثاني: معناه: منوّر، قاله ابن مسعود، وروي أن في مصحفه: منور السموات والأرض.
والثالث: مزين، وهو يرجع إلى معنى منور، قاله أبي بن كعب.

والرابع: أنه ظاهر.
الخامس: ذو النور.
السادس: أنه نور لا كالأنوار. قاله أبو الحسن الأشعري وقالت المعتزلة: لا يقال له نور إلا بالإضافة. والصحيح عندنا: أنه نور لا كالأنوار: لأنه حقيقة، والعدول عن الحقيقة إلى أنه هاد ومنوّر وما أشبه ذلك هو مجاز، من غير دليل لا يصح.
ثم قال ابن القيم تعقيباً على كلامه: أما حكايته عن ابن عباس، أنه بمعنى هاد، فعمدته على التفسير الذي رواه الناس عن عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة الوالبي، عن ابن عباس. وفي ثبوت ألفاظه عن ابن عباس نظر، لأن الوالبي لم يسمعها من ابن عباس، فهو منقطع، وأحسن أحواله أن يكون منقولاً عن ابن عباس بالمعنى، ولو صح ذلك عن ابن عباس، فليس مقصوده به نفي حقيقة النور عن الله، وأنه ليس بنور، ولا نور له، كيف وابن عباس هو الذي سمع من النبي ﷺ قوله في صلاة الليل: «اللهم لك الحمد، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن». وهو الذي قال لعكرمة لما سأله عن قوله: ﴿لا تدركه الأبصار﴾، قال: ويحك، ذاك نوره الذي هو نوره، وإذا تجلى بنوره لم يدركه شيء. كيف ولفظ الآية والحديث ينبو عن تفسير النور بالهادي، لأن الهداية تختص بالحيوان، وأما الأرض نفسها، والسماء فلا توصف بهدي.
والقرآن والحديث وأقوال الصحابة صريح بأنه سبحانه وتعالى نور السموات والأرض. **ولكن عادة السلف أن يذكر أحدُهم في تفسير اللفظة بعض معانيها، ولازماً من لوازمها أو الغاية المقصودة منها، أو مثالاً ينبه السامع على نظيره، وهذا كثير من كلامهم لمن تأمله**. فكونه سبحانه هادياً لا ينافي كونه نوراً. فأما ما ذكره عن ابن مسعود أنه بمعنى منور، وأنها في مصحفه كذلك، فهذا لا ينافي كونها في نفسه نوراً، وأن يكون النور من أسمائه وصفاته، بل يؤكد ذلك.. وقد صرح ابن مسعود بأن نور السموات والأرض من نور وجهه تبارك وتعالى.
وأما ما حكاه عن أبيٍّ بن كعب، أنه بمعنى: مزين، فلا أصل له عن أبيّ وهو بالكذب أشبه؛ فإن تفسير أبيّ لهذه الآية معروف، رواه عنه أهل الحديث من طريق الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبيّ. ذكره ابن جريج ومعمر ووكيع وهشيم وابن المبارك وعبد الرزاق والإمام وإسحاق وخلائق غيرهم.
وذكر ابن جرير وسعيد وعبد بن حميد وابن المنذر في تفاسيرهم عن طريق عبد الله بن موسى عن أبي عفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبيّ بن كعب في قول الله تعالى: ﴿الله نور السموات والأرض﴾ قال: فبدأ بنور نفسه، فذكره، ثم ذكر نور المؤمن، فقال: ﴿مثل نوره﴾ يقول: مثل نور المؤمن. قال: وكان أبيّ بن كعب يقرؤها كذلك: مثل نور المؤمن... فهذا التفسير المعروف عن أبيّ لا ما ذكره.
وأما قوله: يصح أن يكون النور صفة فعل على معنى: أنه ظاهر، فما أبعده عن الصواب!! وكونه ظاهراً ليس بصفة فعل، فإنه الأول والآخر والظاهر والباطن، وتلك صفات ذاته

والأرض، وهذا أنما هو فعله، وإلّا فالنور الذي هو [من] أوصافه قائم به، ومنه اشتق له اسم النور الذي هو أحد الأسماء الحسنى.

والنور يضاف إليه سبحانه على أحد وجهين: إضافة صفة إلى موصوفها وإضافة مفعول إلى فاعله.

٣/ب فالأول: كقوله عز وجل: ﴿وأشْرَقَت/الأرضُ بنُورِ ربِّها﴾ [الزمر: ١٩]، فهذا إشراقها يوم القيامة بنوره تعالى إذا جاء لفصل القضاء، ومنه قول النبي ﷺ في الدعاء المشهور: «أعُوذُ بنُورِ وجْهكَ الكَريم أنْ تُضلّني لا إلَه إلاّ أنْتَ»(١). وفي الأثر الآخر: «أعُوذُ بوجْهكَ أو بنُورِ وجْهِكَ الّذي أشْرقت لَهُ الظُّلُمات»(٢).

فأخبر ﷺ: أن الظلمات أشرقت لنور وجه الله. كما أخبر تعالى أن الأرض تشرق يوم القيامة بنوره.

وفي «معجم الطبراني» و«السنّة» له، وكتاب عثمان بن سعيد الدارمي وغيرهما، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ليس عند ربكم ليل ولا نهار. نور السموات والأرض من نور وجهه.

المقدسة، لا أنها أفعال. قال الأشعري في (الإبانة): قال الله تعالى: ﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره﴾ فسمّى نفسه نوراً، والنور عند الأمة لا يخلو من أحد معنيين: إما أن يكون نوراً يسمع أو نوراً يرى. فمن زعم أن الله يسمع ولا يرى، كان مخطئاً في نفيه رؤية ربه، وتكذيبه بكتابه عز وجل وقول نبيه ﷺ. هذا لفظه» أ. هـ.

وانظر «تفسير سورة النور» لشيخ الإسلام ص (١٨٨ ـ ١٩٣) «والوابل الصيب» ص ١٠٤ ـ ١٠٩ وتفسير ابن كثير ٣/ ٢٨٩.

(١) البخاري رقم (٧٣٨٣) في كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى ﴿وهو العزيز الحكيم﴾.

(٢) ابن هشام في «السيرة» ١/ ٤٢٠ و ابن جرير في «تفسيره» ١/ ٨٠ بغير سند، قال الزرقاني في «شرح المواهب اللدنية» ١/ ٣٠٥: أورده ابن إسحاق في «السيرة» والطبراني في «كتاب الدعاء» (١٠٣٦) من حديث عبد الله بن جعفر، وقال: وهذا مرسل صحابي، لأنه ولد بالحبشة فلم يدرك ما حدث به. وقال الهيثمي في «المجمع» ٦/ ٣٥: وفيه ابن إسحاق وهو مدلس، وبقية رجاله ثقات. اهـ. ورواه الطبراني في «الكبير» (٢٦ ـ ٢٧) من قطعة لم تطبع بعد وهو في جزء ترجمة الطبراني ٢٥/ ٣٤٦. فالحديث ضعيف.

وهذا الذي قاله ابن مسعود رضي الله عنه أقرب إلى تفسير الآية من قول من فسرها بأنه هادي السموات والأرض، وأما من فسّرها بأنه منّور السموات والأرض، فلا تنافي بينه وبين قول ابن مسعود، والحق أنه نور السموات والأرض بهذه الاعتبارات كلها.

وفي «صحيح مسلم» وغيره من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس [كلمات] فقال: «إنَّ الله لا يَنَامُ ولاَ يَنْبغي لَهُ أنْ ينَامَ يخفضُ القسْطَ ويرفعُهُ يُرْفَعُ إليهِ [عَمَلُ] اللّيل قَبْلَ [عَمَلِ] النهارِ، وعمل النّهار قبْلَ عملِ اللّيْل، حِجابُهُ النُّور لَوْ كَشَفَهُ لَأحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ ما انْتَهَى إليه بَصَرُهُ من خَلْقِهِ»[1].

وفي «صحيح مسلم»، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ قال: «نُورٌ أنّى أراه»[2].

فسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ورضي عنه يقول: معناه كان ثَمَّ نور وحال دون رؤيته نور، فأنّى أراه. قال: ويدل عليه أن في بعض ألفاظ الصحيحة: هل رأيت ربك؟ فقال: رأيت نوراً.

وقد أعضل أمر هذا الحديث على كثير من الناس حتى صحفه بعضهم، فقال: نور إنّي أراه، على أنها ياء النسب والكلمة كلمة واحدة، وهذا خطأ لفظاً ومعنى، وإنما أوجب لهم هذا الإشكال والخطأ أنهم لما اعتقدوا أن رسول الله ﷺ رأى ربه، وكان قوله: «أنَّى أراه» كالإنكار للرؤية، حاروا في الحديث، وردّه بعضهم باضطراب لفظه، وكل هذا عدول عن موجب الدليل.

وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمي في «كتاب الرؤية» له: إجماع

---

(١) مسلم رقم (١٧٩)، وأحمد ٤/ ٤٠٥، وابن ماجه رقم (١٩٥).

(٢) مسلم رقم (١٧٨)، والترمذي رقم (٣٢٧٨)، وأحمد ٥/ ١٤٧ و١٧١ و١٧٥.

الصحابة على أنه لم ير ربه ليلة المعراج، وبعضهم استثنى ابن عباس فيمن قال ذلك.

وشيخنا يقول: ليس ذلك بخلاف في الحقيقة، فإن ابن عباس لم يقل رآه بعيني رأسه، وعليه اعتمد أحمد في إحدى الروايتين حيث قال: إنه ﷺ رآه عز وجل، ولم يقل بعيني رأسه.

٤/أ ولفظ أحمد لفظ ابن عباس/ ـ رضي الله عنهما ـ، ويدل على صحة ما قال شيخنا في معنى حديث أبي ذر رضي الله عنه قوله ﷺ في الحديث الآخر: «حجابه النور» فهذا النور هو ـ والله أعلم ـ النور المذكور في حديث أبي ذر رضي الله عنه: «رأيت نوراً».

* * *

٤ ـ فصل

وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِه كَمِشكاة فيهَا مِصْباحٌ﴾ [النور: ٣٥]. هذا مَثَلٌ لنوره في قلب عبده المؤمن، كما قال أُبيّ بن كعب وغيره، وقد اختلف في مفسر الضمير في نوره، فقيل: هو النبي ﷺ، أي مثل نور محمد ﷺ، وقيل: مفسره المؤمن. أي مثل نور المؤمن.

والصحيح أنه يعود على الله سبحانه وتعالى، والمعنى: مثل نور الله سبحانه وتعالى في قلب عبده. وأعظم عباده نصيباً من هذا النور رسوله ﷺ، فهذا مع ما تضمنه عود الضمير المذكور، وهو وجه الكلام يتضمن التقادير الثلاثة، وهو أتم لفظاً ومعنى.

وهذا النور يُضاف إلى الله تعالى؛ إذ هو معطيه لعبده وواهبه إياه، ويضاف إلى العبد؛ إذ هو محله وقابله، فيضاف إلى الفاعل والقابل، ولهذا النور فاعل وقابل ومحلّ وحالّ ومادّة. وقد تضمنت الآية ذكر هذه الأمور كلها

على وجه التفصيل، فالفاعل هو الله تعالى مفيض الأنوار الهادي لنوره من يشاء. والقابل: العبد المؤمن. والمحل: قلبه، والحال: همته وعزيمته وإرادته، والمادة: قوله وعمله، وهذا التشبيه العجيب الذي تضمنته الآية فيه من الأسرار والمعاني، وإظهار تمام نعمته على عبده المؤمن بما أناله من نوره ما تقر به عيون أهله، وتبتهج قلوبهم.

وفي هذا التشبيه لأهل المعاني طريقتان:

إحداهما: طريقة التشبيه المركب، وهي أقرب مأخذاً وأسلم من التكلف، وهي أن تشبه الجملة برمتها بنور المؤمن من غير تعرض ليفصل كل جزء من أجزاء المشبه ومقابلته بجزء من المشبه به، وعلى هذا عامة أمثال القرآن، فتأمل صفة المشكاة وهي كوة لا تنفذ لتكون أجمع للضوء قد وضع فيها المصباح، وذلك المصباح داخل زجاجة تشبه الكوكب الدري في صفائها وحسنها، ومادته من أصفى الأدهان وأتمها وقوداً من زيت شجرة في وسط القراح، لا شرقية ولا غربية بحيث تصيبها الشمس في أحد طرفي النهار، بل هي في وسط القراح محمية بأطرافه تصيبها الشمس أعدل إصابة، والآفات إلى الأطراف دونها، فمن شدة إضاءة زيتها وصفائه وحسنه يكاد يضيء من غير أن تمسه نار، فهذا المجموع المركب هو مثل نور الله تعالى الذي وضعه في قلب المؤمن وخصه به.

والطريقة/الثانية: طريقة التشبيه المفصل، فقيل: المشكاة صدر ٤/ب المؤمن، والزجاجة قلبه، شُبِّهَ قلبه بالزجاجة لرقّتها وصفائها وصلابتها، وكذلك قلب المؤمن، فإنه قد جمع الأوصاف الثلاثة، فهو يرحم ويحسن ويتحنن ويُشفق على الخلق برقته وبصفائه تتجلى فيه صور الحقائق، والعلوم على ما هي عليه، ويباعد الكدر والدرن والوسخ بحسب ما فيه من الصفاء، وبصلابته يشتد في أمر الله تعالى، ويتصلب في ذات الله تعالى، ويغلظ على أعداء الله تعالى، ويقوم بالحق لله تعالى.

وقد جعل الله تعالى القلوب كالآنية، كما قال بعض السلف: القلوب آنية الله في أرضه فأحبها إليه أرقها وأصلبها وأصفاها.

والمصباح هو نور الإيمان في قلبه، والشجرة المباركة: هي شجرة الوحي المتضمنة للهدى ودين الحق، وهي مادة المصباح التي يتوقد منها، والنور على النور نور الفطرة الصحيحة والإدراك الصحيح، ونـور الوحي والكتاب، فيضاف أحد النورين إلى الآخر، فيزداد العبد نوراً على نور، ولهذا يكاد ينطق بالحق والحكمة قبل أن يسمع ما فيه بالأثر، ثم يبلغه الأثر بمثل ما وقع في قلبه ونطق به، فيتفق عنده شاهد العقل والشرع والفطرة والوحي، فيريه عقله وفطرته وذوقه أن الذي جاء به الرسول ﷺ هو الحق لا يتعارض عنده العقل والنقل البتة، بل يتصادقان ويتوافقان، فهذا علامة النور على النور عكس من تلاطمت في قلبه [أمواج] الشبهة الباطلة والخيالات الفاسدة من الظنون الجهليات التي يسميها أهلها القواطع العقليات. فهي في صدره: ﴿كَظُلُماتٍ في بَحْرٍ لُجيّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوقِهِ مَوْجٌ منْ فَوقِهِ سَحابٌ ظُلُماتٌ بَعْضُها فوقَ بَعْضٍ إذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاها ومَنْ لَمْ يَجْعلِ الله لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾. [النور: ٤٠].

فانظر كيف تضمنت هذه الآيات طرائف بني آدم كلهم أتم انتظام، واشتملت عليه أكمل اشتمال، فإن الناس قسمان: أهل الهدى والبصائر الذين عرفوا أن الحق فيما جاء به الرسول ﷺ عن الله سبحانه وتعالى، وأن كل ما عارضه فشبهات تشتبه على من قلّ نصيبه من العقل والسمع أمرها فيظنها شيئاً له حاصل ينتفع له. وهو: ﴿كَسَرابٍ بقيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظّمآن ماءً حتّى إذا جاءه لَمْ يَجدْه شيْئاً ووجَدَ الله عنْدَهُ فَوَفّاه حِسَابَه والله سريعُ الحِساب * أوْ كَظُلُماتٍ في بَحْرٍ لُجيّ [يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فوقِهِ مَوْجٌ منْ فوقِه سَحَابٌ ظُلُماتٌ بعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ إذا أَخْرَجَ يدهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاها ومَنْ لَمْ يَجْعل الله لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ منْ نُورٍ]﴾. [النور: ٣٩ ـ ٤٠] وهؤلاء هم أهل الهدى ودين الحق، أصحاب العلم

النافع والعمل الصالح، الذين صدقوا الرسول ﷺ في أخباره، ولم يعارضوها بالشبهات وأطاعوه في أوامره، ولم يضيعوها بالشهوات، فَلاَ هُمْ في عملهم من أهل/الخوض الخرّاصين الذين هم في غمرة ساهون، ولا هم في عملهم من ٥/أ المستمتعين بخلاقهم الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة.

وأولئك هم الخاسرون أضاء لهم نور الوحي المبين، فرأوا في نوره أهل الظلمات في ظلمات آرائهم يعمهون، وفي ضلالتهم يتهوكون، وفي ريبهم يترددون، مغترين بظاهر السراب، ممحلين مجدبين مما بعث الله تعالى به رسوله ﷺ من الحكمة وفصل الخطاب إن عندهم إلا نخالة الأفكار، وزبالة الأذهان التي قد رضوا بها واطمأنوا إليها، وقدموها على السنّة والقرآن. إن في صدروهم [إلا] كبر ما هم ببالغيه. أوجبه لهم اتباع الهوى ونخوة الشيطان، وهم لأجله يجادلون في آيات الله بغير سلطان.

* * *

٥ ـ فصل

القسم الأول: أهل الجهل والظلم الذين جمعوا بين الجهل بما جاء به، والظلم باتباع أهوائهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إنّ يَتّبعُونَ إلاَّ الظّنّ وما تَهْوَى الأنْفُسُ ولَقَدْ جاءهُمْ منْ ربِّهم الهُدى﴾ [النجم: ٢٣]. وهؤلاء قسمان:

أحدهما: الذين يحسبون أنهم على علم وهدى، وهم أهل جهل وضلال، فهؤلاء أهل الجهل المركَّب الذين يجهلون الحق ويعادونه، ويعادون أهله، وينصرون الباطل ويوالون أهله، وهم يحسبون أنهم على شيء، إلا أنهم هم الكاذبون، فهم لاعتقادهم الشيء على خلاف ما هو عليه بمنزلة رائي السراب الذي يحسبه الظمآن ماء، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، فهكذا هؤلاء أعمالهم وعلومهم بمنزلة السراب الذي يخون صاحبه أحوج ما هو إليه ولم يقتصر على مجرد الخيبة والحرمان، كما هو حال من أمّ السارب، فلم يجده ماءً، بل انضاف إلى ذلك أنه وجد عنده أحكم الحاكمين وأعدل العادلين

سبحانه وتعالى، فحسب له ما عنده من العلم والعمل ووفاه إياه بمثاقيل الذر، وقدم إلى ما عمل من عمل يرجو نفعه، فجعله هباء منثوراً، إذ لم يكن خالصاً لوجهه، ولا على سنّة رسوله ﷺ، وصارت تلك الشبهات الباطلة التي كان يظنها علوماً نافعة كذلك هباء منثوراً، فصارت أعماله وعلومه حسرات عليه.

والسراب: ما يرى في الفلوات المنبسطة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الأرض كأنه ماء يجري، والقيعة والقاع: هو المنبسط من الأرض الذي لا جبل فيه ولا وادي.

فشبّه علوم من لم يأخذ علومه وأعماله عن الوحي بسراب يراه المسافر في شدة الحر، فيؤمه فيخيب ظنه/ويجده ناراً تلظى، فهكذا علوم أهل الباطل وأعمالهم إذا حشر الناس، واشتد بهم العطش بدت لهم كالسراب، فيحسبونه ماء، فإذا أتوه وجدوا الله عنده، فأخذتهم زبانية العذاب، فعتلوهم إلى نار الجحيم، فسقوا ماء حميماً، فقطّع أمعاءهم، وذلك الماء الذي سقوه هو تلك العلوم التي لا تنفع، والأعمال التي كانت لغير الله تعالى صَيَّرَهَا الله تعالى حميماً سقاهم إياه، كما أن طعامهم من ضريع لا يُسمن ولا يُغني من جوع، وهو تلك العلوم والأعمال الباطلة التي كانت في الدنيا، كذلك لا يُسمن ولا يُغني من جوع، وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بالأَخْسَرِينَ أَعْمالاً * الَّذينَ ضَلَّ سَعْيُهُم في الحياةِ الدُّنْيا وهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُم يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾ [الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٤]. وهم الذين عنى بقوله: ﴿وقَدِمْنا إلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعلْناه هَبَاء مَنْثُوراً﴾ [الفرقان: ٢٣]، وهم الذين عنى بقوله تعالى: ﴿كَذلِكَ يُريهِمُ اللهُ أعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ومَا هُمْ بخارجينَ منَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧].

٥/ب

والقسم الثاني من هذا الصنف: أصحاب الظلمات، وهم المنغمسون في الجهل بحيث قد أحاط بهم من كل وجه، فهم بمنزلة الأنعام، بل هم أضل سبيلاً، فهؤلاء أعمالهم التي عملوها على غير بصيرة، بل بمجرد التقليد واتباع

الآباء من غير نور من الله تعالى، كظلمات جمع ظلمة، وهي: ظلمة الجهل، وظلمة الكفر، . [وظلمة الظلم] واتباع الهوى، وظلمة الشك الريب، وظلمة الإعراض عن الحق الذي بعث الله تعالى به رسله [صلوات الله وسلامه عليهم]، والنور الذي أنزله معهم ليخرجوا به الناس من الظلمات إلى النور.

فإن المُعْرِضَ عمَّا بَعَثَ اللهُ تعالى به محمداً ﷺ من الهدى ودين الحق يتقلَّب في خمس ظلمات: قوله ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره إلى الظلمة، وقلبه مظلم، ووجهه مظلم، وكلامه مظلم، وحاله مظلم، وإذا قابلت بصيرته الخفاشية ما بعث الله به محمداً ﷺ من النور جدّ في الهرب منه، وكاد نوره يخطف بصره، فهرب إلى ظلمات الآراء التي هي أنسب به وأولى كما قيل:

خَفافيشُ أعْشاها النّهار بضوئهِ ووافَقَها قِطَع منَ اللّيل مُظْلمُ

فإذا جاء إلى نخالة الأفكار وزبالة الأذهان جال ومال، وأبدى وأعاد وقعقع وفرقع، فإذا طلع نورُ الوحي وشمسُ الرسالة انحجز في حجرة الحشرات.

وقول الله: ﴿في بحر لجي﴾ اللجي: العميق. منسوب إلى لجة البحر وهو معظمه، وقوله تعالى: ﴿يَغْشاهُ مَوْجٌ من فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ [فَوْقِهِ سَحَابٌ]﴾ [النور: ٤٠]. تصوير لحال هذا المعرض عن وَحْيه، فشبّه تلاطم أمواج الشبه والباطل/في صدره بتلاطم أمواج ذلك البحر، وأنها أمواج بعضها فوق بعض. ٦/أ

والضمير الأول في قوله ﴿يغشاه﴾ راجع إلى البحر، والضمير الثاني في قوله ﴿من فوقه﴾ عائد إلى الموج. ثم إنّ تلك الأمواج مغشاة بسحاب، فها هنا ظلمات: ظلمة البحر اللجي. وظلمة الموج الذي فوقه، وظلمة السحاب الذي فوق ذلك كله، إذا أخرج مَنْ في هذا البحر يَدَهُ لم يكد يراها.

واختلف في معنى ذلك: فقال كثير من النحاة: هو نفي لمقاربة رؤيتها، وهو أبلغ من نفيه الرؤية، فإنه قد ينفي وقوع الشيء ولا تُنفي مقاربته، فكأنه قال: لم يقارب رؤيتها بوجه.

قال هؤلاء: و«كاد» من أفعال المقاربة لها حكم سائر الأفعال في النفي والإثبات، فإذا قيل: كاد يفعل، يقول فهو إثبات مقاربة الفعل، فإذا قيل: لم يكد يفعل، فهو نفي لمقاربة الفعل.

وقالت طائفة أخرى: بل هذا دال على أنه إنما يراها بعد جهد شديد، وفي ذلك إثبات رؤيتها بعد أعظم العسر لأجل تلك الظلمات، قالوا: لأن «كاد» لها شأن ليس لغيرها من الأفعال، فإنها إذا أثبتت نفت، وإذا نفت أثبتت، فإذا قلت: ما كدت أصل إليك، فمعناه وصلت إليك بعد الجهد والشدة، فهذا إثبات للوصول، وإذا قلت: كاد زيد يقوم، فهي نفي قيامه، كما قال تعالى: ﴿وأَنَّهُ لَمَّا قامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوه كادُوا يكُونُونَ علَيْهِ لبدا﴾ [الجن: ١٩]. ومنه قوله تعالى: ﴿وإنْ يَكَادُ الّذينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُونَك بأبْصارهم﴾ [القلم: ٥١]. وأنشد بعضهم في ذلك لغزاً:

أنحَوِي هذا العَصْـر ما هي لَفْـظَة   جَـرتْ في لسـانِ جُـرهم وثمـودِ
إذا استعُملت في صُورة النّفي أثْبتت   وإن اثْبتت قـامت مقـامَ جُحـودِ

وقالت فرقة ثالثة: منهم أبو عبد الله بن مالك وغيره: أن استعمالها مثبتة يقتضي نفي خبرها، كقولك: كاد زيد يقوم، واستعمالها منفية يقتضي نفيه بطريق الأولى، فهي عنده تنفي الخبر سواء كانت منفية أو مثبتة، فلم يكد زيد يقوم أبلغ عنده في النفي من لم يقم.

واحتج بأنها إذا نفت، وهي من أفعال المقاربة، فقد نفت مقاربة الفعل، وهو أبلغ من نفيه، وإذا استعملت مثبتة، فهي تقتضي مقاربة اسمها لخبرها، وذلك يدل على عدم وقوعه، واعتذر عن مثل قوله تعالى: ﴿فَذَبَحُوها وما كادُوا يَفْعَلُون﴾ [البقرة: ٧١]، وعن مثل قوله: وصلت إليك وما كدت أصل. وسلمت إليك وما كدت أسلم. /بأن هذا وارد على كلامين متباينين، أي: فعلت كذا بعد أن لم يكن مقارباً له. فالأول يقتضي وجود الفعل، والثاني يقتضي أنه لم ٦/ب

يكن مقارباً له، بل كان آيساً منه، فهما كلامان مقصود بهما أمران متباينان.

وذهبت فرقة رابعة إلى الفرق بين ماضيها ومستقبلها، فإذا كانت في الإثبات فهي لمقاربة الفعل سواء كانت بصيغة الماضي أو المستقبل، وإن كانت في طرف النفي، فإن كانت بصيغة المستقبل كانت لنفي الفعل ومقاربته نحو قوله: ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَاها﴾ [النور: ٤٠]. وإن كانت بصيغة الماضي فهي تقتضي الاثبات نحو قوله: ﴿فذبحوها وما كادوا يفعلون﴾ [البقرة: ٧١].

فهذه أربعة طرق للنحاة في هذه اللفظة، والصحيح أنها فعل يقتضي المقاربة ولها حكم سائر الأفعال، ونفي الخبر لم يستفد من لفظها ووضعها، فإنها لم توضع لنفيه، وإنما استفيد من لوازم معناها، فإنها إذا اقتضت مقاربة الفعل لم يكن واقعاً، فيكون منفياً باللزوم، وأما إذا استعملت منفية، فإن كانت في كلام واحد فهي لنفي المقاربة، كما إذا قلت: لا يكاد البطّال يفلح، ولا يكاد البخيل يسود، ولا يكاد الجبان يفرح، ونحو ذلك، وإن كانت في كلامين اقتضت وقوع الفعل بعد أن لم يكن مقارباً، كما قال ابن مالك. فهذا التحقيق في أمرها.

والمقصود أن قوله تعالى: ﴿لم يكد يراها﴾ إما أن يدل على أنه لا يقارب رؤيتها لشدة الظلمة، وهو الأظهر. فإذا كان لا يقارب رؤيتها، فكيف يراها؟ قال ذو الرمة:

إذا غَيّر النّائي المُحبين لم يَكَدْ رسيسُ الهوى منْ حبِّ ميّة يبْرحُ

أي: لم يقارب البراح، وهو الزوال، فكيف يزول.

فشبّه سبحانه أعمالهم أولاً في فوات نفعها وحصول ضررها عليهم بسراب خداع يخدع رائيه من بعيد، فإذا جاءه وجد عنده عكس ما أمله ورجاه، وشبهها ثانياً في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة خالية عن نور الإيمان بظلمات متراكمة في لجج البحر المتلاطم الأمواج الذي قد غشيه السحاب من فوقه.

فيا له تشبيهاً ما أبدعه وأشده مطابقة بحال أهل البدع والضلال، وحالِ مَنْ عبد الله سبحانه وتعالى على خلاف ما بعث الله به رسوله ﷺ، وأنزل به كتابه، وهذا التشبيه: هو تشبيه لأعمالهم الباطلة بالمطابقة والتصريح، ولعلومهم وعقائدهم الفائدة باللزوم، وكل واحد من السراب والظلمات مثل لمجموع علومهم وأعمالهم، فهي سراب لا حاصل/لها وظلمات لا نور فيها، ٧/أ وهذا عكس مثل أعمال المؤمن وعلومه التي تلقاها من مشكاة النبوة، فإنها مثل الغيث الذي به حياة البلاد والعباد، ومثل النور الذي به انتفاع أهل الدنيا والآخرة.

ولهذا يذكر سبحانه هذين المثلين في القرآن في غير موضع لأوليائه وأعدائه كما ذكرهما في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُم كَمَثَلِ الّذي اسْتوقدَ نَاراً فَلَمّا أضاءتْ ما حَوله ذَهَبَ بنُورهم وتركهم في ظُلُماتٍ لا يُبْصرون * صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجعُون﴾ [البقرة: ١٧ - ١٨]

شبّه سبحانه أعداءه المنافقين بقوم أوقدوا ناراً لتضيء لهم وينتفعوا بها، فلما أضاءت لهم النار، فأبصروا في ضوئها ما ينفعهم ويضرهم، وأبصروا الطريق بعد أن كانوا حيارى تائهين، فهم كقوم سفر ضلوا عن الطريق، فأوقدوا النار لتضيء لهم الطريق، فلما أضاءت لهم، فأبصروا وعرفوا طُفئت تلك النار وبقوا في الظلمات لا يبصرون، قد سدت عليهم أبواب الهدى الثلاث، فإن الهدى يدخل إلى العبد من ثلاثة أبواب: مما يسمعه بأذنه، ويراه بعينه، ويعقله بقلبه، وهؤلاء قد سدت عليهم أبواب الهدى، فلا تسمع قلوبهم شيئاً ولا تبصره ولا تعقل ما ينفعها.

وقيل: لما لم ينتفعوا بأسماعهم وأبصارهم وقلوبهم، نُزِّلوا منزلة من لا سمع له ولا بصر ولا عقل. والقولان متلازمان.

وقال في صفتهم: ﴿فهم لا يرجعون﴾ لأنهم قد رأوا في ضوء النار

وأبصروا الهدى، فلما طفئت عنهم لم يرجعوا إلى ما رأوا وأبصروا.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ذهب الله بنورهم﴾ ولم يقل: ذهب نورهم، وفيه سر بديع، وهو انقطاع [سر] تلك المعية الخاصة التي [هي] للمؤمنين من الله تعالى، فإن الله تعالى مع المؤمنين. وإن الله مع الصابرين. وإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. فذهاب الله بذلك النور انقطاع لمعيته التي خصّ بها أولياءه، فقطعها بينه وبين المنافقين، فلم يبق عندهم بعد ذهاب نورهم ولا معهم، فليس لهم نصيب من قوله: ﴿لا تَحْزن إنَّ الله مَعَنا﴾ [التوبة: ٤٠]. ولا من: ﴿كَلّا إنَّ معي ربِّي سَيَهْدينِ﴾ [الشعراء: ٦٢].

وتأمل قوله تعالى: ﴿أضاءت ما حوله﴾. كيف جعل ضوءها خارجاً عنه منفصلاً، ولو اتصل ضوؤها به ولابسه لم يذهب، ولكنه كان ضوء مجاورة لا ملابسة ومخالطة، وكان الضوء عارضاً والظلمة أصلية، فرجع الضوء إلى معدنه، وبقيت الظلمة في معدنها، فرجع كل/منهما إلى أصله اللائق به حجّة ٧/ب من الله قائمة، وحكمة بالغة تعرّف بها إلى أولي الألباب من عباده.

وتأمل قوله تعالى: ﴿ذهب الله بنورهم﴾ ولم يقل: بنارهم، ليطابق أول الآية، فإن النار فيها إشراق وإحراق، فذهب بما فيها من الإشراق وهو النور، وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق وهو النارية.

وتأمل كيف قال: بنورهم، ولم يقل: بضوئهم، مع قوله: ﴿فلما أضاءت ما حوله﴾ لأن الضوء هو زيادة في النور، فلو قيل: ذهب الله بضوئهم لَأَوْهَمَ الذهاب بالزيادة فقط دون الأصل، فلما كان النور أصل الضوء، كان الذهاب به ذهاباً بالشيء وزيادته.

وأيضاً فإنه أبلغ في النفي عنهم، وأنهم من أهل الظلمات الذين لا نور لهم.

وأيضاً فإن الله تعالى سمى كتابه نوراً. ورسوله ﷺ نوراً. ودينه نوراً.

وهداه نوراً. ومن أسمائه النور، والصلاة نور، فذهابه سبحانه بنورهم ذهاب بهذا كله.

وتأمل مطابقة هذا المثل لما تقدمه من قوله: ﴿أولئكَ الّذينَ اشْتَرَوا الضَّلالَةَ بالهُدى فَمَا ربِحَتْ تِجَارتُهُم وما كَانُوا مُهْتدينَ﴾ [البقرة: ١٦] كيف طابق هذه التجارة الخاسرة التي تضمنت حصول الضلالة والرضى بها، وبدل الهدى في مقابلتها، وحصول الظلمات التي هي الضلالة والرضى بها بدلاً عن النور الذي هو الهدى والنور، فبدلوا الهدى والنور وتعوضوا عنه بالظلمة والضلالة، فيا لها من تجارةٍ ما أخسرها، وصفقة ما أشدّ غبنها.

وتأمل كيف قال الله تعالى: ﴿ذهب الله بنورهم﴾ فوحّد، ثم قال: ﴿وتركهم في ظلمات﴾ فجمعها. فإن الحق واحد، وهو صراط المستقيم الذي لا صراط يوصل إليه سواه، وهو عبادته وحده لا شريك له بما شرعه على لسان رسوله ﷺ، لا بالأهواء والبدع وطرق الخارجين عما بعث الله به رسوله ﷺ من الهدى ودين الحق بخلاف طرق الباطل، فإنها متعددة متشعبة، ولهذا يفرد سبحانه الحق ويجمع الباطل كقوله تعالى: ﴿اللهُ وليُّ الّذين آمَنُوا يُخْرِجُهُم منَ الظُّلُماتِ إلى النُّور والّذينَ كَفرُوا أولياؤهُم الطّاغُوتُ يُخْرِجُونَهم منَ النُّورِ إلى الظُّلُمات﴾ [البقرة: ٢٥٧]. وقال تعالى: ﴿وإنَّ هذا صِراطي مُسْتقيماً فاتّبِعُوه ولا تَتّبعُوا السُّبُلَ فَتَفَرّقَ بكُم عنْ سَبيله﴾ [الأنعام: ١٥٣]، فجمع سبل الباطل ووحد سبيل الحق ولا يناقض هذا قوله تعالى: ﴿يَهْدي به اللهُ مَنِ اتّبَعَ رضْوانه سُبُلَ السّلام﴾. [المائدة: ١٦]. فإن تلك هي طرق مرضاته التي/يجمعها سبيله الواحد، وصراطه المستقيم، فإن طرق مرضاته كلها ترجع إلى صراط واحد وسبيل واحد، وهي سبيله التي لا سبيل إليه إلا منها. ٨/أ

وقد صح عن النبي ﷺ أنه خطّ خطاً مستقيماً وقال: «هذا سبيل الله»، ثمّ خطّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله وقال: «هذه سُبُل، على كل سبيل منها

شيْطان يدعو إليه»، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وإنَّ هذا صِراطِي مُسْتقيماً فاتّبعُوه ولا تَتّبعُوا السُّبُل فَتفرّقَ بكُمْ عَنْ سبيلهِ ذلِكُم وَصَّاكم به لَعَلّكُم تَتَّقُونَ﴾ [المائدة: ١٦][1].

وقد قيل: إن هذا مثل للمنافقين، وما يوقدونه من نار الفتنة التي يوقعونها بين أهل الإسلام ويكون بمنزلة قول الله تعالى: ﴿كُلّما أوقدوا ناراً للحَرْب أطْفأها الله﴾ [المائدة: ٦٤]. ويكون قوله تعالى: ﴿ذهب الله بنورهم﴾ [البقرة: ١٦] مطابقاً لقوله تعالى: ﴿أطفأها الله﴾. ويكون تخييبهم وإبطال ما راموه هو تركهم في ظلمات الحيرة لا يهتدون إلى التخلص مما وقعوا فيه ولا يبصرون سبيلاً، بل هم صم بكم عمي.

وهذا التقدير وإن كان حقاً، ففي كونه مراداً بالآية نظر. فإن السياق إنما قصد لغيره ويأباه قوله تعالى: ﴿فلما أضاءت ما حوله﴾. وموقد نار الحرب لا يضيء ما حوله أبداً. ويأباه قوله تعالى: ﴿ذهب الله بنورهم﴾ وموقد نار الحرب لا نور له. ويأباه قوله تعالى: ﴿وتركهم في ظلمات لا يبصرون﴾. وهذا يقتضي أنهم انتقلوا من نور المعرفة والبصيرة إلى ظلمة الشك والكفر.

قال الحسن ـ رحمه الله ـ: هو المنافق أبصر ثم عمي، وعرف ثم أنكر ولهذا قال: ﴿فهم لا يرجعون﴾. أي: لا يرجعون إلى النور الذي فارقوه[2].

وقال تعالى في حق الكفار: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يعْقِلُونَ﴾ [البقرة:

---

(١) الدارمي رقم (٢٠٨)، وأحمد ١/٤٣٥ و ٤٦٥، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه وصححه الحاكم ٢/٣١٨ ووافقه الذهبي. وهو حديث صحيح.

(٢) قال المصنف رحمه الله تعالى في «الوابل الصيب» ص (١٠٩): «شبه تعالى حال المنافقين في خروجهم من النور بعد أن أضاء لهم بحال مستوقد النار وذهاب نورها عنه بعد أن أضاءت ما حوله؛ لأن المنافقين بمخالطتهم المسلمين وصلاتهم معهم، وصيامهم معهم، وسماعهم القرآن، ومشاهدتهم أعلام الإسلام ومناره، قد شاهدوا الضوء، ورأوا النور عياناً، ولهذا قال تعالى في حقهم: ﴿فهم لا يرجعون﴾ إليه، لأنهم فارقوا الإسلام بعد أن تلبسوا به واستناروا فهم لا يرجعون إليه. اهـ.

١٧]. فسلب العقل عن الكفار إذ لم يكونوا من أهل البصيرة والإيمان، وسلب الرجوع عن المنافقين لأنهم آمنوا ثم كفروا، فلم يرجعوا إلى الإيمان.

* * *

٦ - فصل

ثم ضرب [الله سبحانه] لهم مثلاً آخر مائياً، فقال تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّماء فيه ظُلُماتٌ ورَعْدٌ وبَرْقٌ يَجْعلُونَ أَصَابعَهُم في آذانِهِمْ مِنَ الصَّواعقِ حَذَرَ المَوْتِ واللهُ مُحيطٌ بالكَافرينَ﴾ [البقرة: ١٩] فشبّه نصيبهم مما بعث الله تعالى به رسوله ﷺ، من النور والحياة بنصيب المستوقد للنار الذي طفئت عنه أحوج ما كان إليها، وذهب نوره وبقي في الظلمات حائراً تائهاً لا يهتدي سبيلاً ولا يعرف طريقاً، وبنصيب أصحاب الصيِّب، وهو المطر الذي يصوب أي ينزل من علو إلى أسفل، فشبّه الهدى الذي هدى به عباده بالصيِّب، لأن القلوب تحيا به حياة/ الأرض بالمطر، ونصيب المنافقين من هذا الهدي بنصيب من لم يحصل له نصيب من الصيِّب إلا ظلمات ورعد وبرق ولا نصيب له فيما وراء ذلك مما هو المقصود بالصيِّب من حياة البلاد والعباد والشجر والدواب، وإن تلك الظلمات التي فيه، وذلك الرعد والبرق مقصود لغيره، وهو وسيلة إلى كمال الانتفاع بذلك الصيِّب[1]. ٨/ب

فالجاهل لفرط جهله يقتصر على الإحساس بما في الصيِّب من ظلمة ورعد وبرق ولوازم ذلك من برد شديد، وتعطيل مسافر عن سفره، وصانع عن صنعته، ولا بصيرة له تنفذ إلى ما يؤول إليه أمر ذلك الصيِّب من الحياة والنفع العام.

وهكذا شأن كل قاصر النظر، ضعيف العقل لا يجاوز نظره الأمر المكروه

---

(١) انظر «الوابل الصيب» ص ١١٠ - ١١٢ طبعتنا - مكتبة دار البيان بدمشق.

الظاهر إلى ما وراءه من كل محبوب، وهذه حال أكثر الخلق إلا من صحت بصيرته، فإذا رأى ضعيف البصيرة ما في الجهاد من التعب والمشاق والتعرض لإتلاف المهجة، والجراحات الشديدة، وملامة اللوام، ومعاداة من يخاف معاداته، لم يقدم عليه لأنه لم يشهد ما يؤول إليه من العواقب الحميدة والغايات التي إليها تسابق المتسابقون، وفيها تنافس المتنافسون.

وكذلك مَنْ عَزَمَ على سفر الحج إلى البيت الحرام، فلم يعلم من سفره ذلك إلا مشقة السفر، ومفارقة الأهل والوطن، ومقاساة الشدائد، وفراق المألوفات، ولا يجاوز نظره وبصيرته آخر ذلك السفر ومآله وعاقبته، فإنه لا يخرج إليه ولا يعزم عليه، وحال هؤلاء حال ضعيف البصيرة والإيمان الذي يرى ما في القرآن من الوعد والوعيد والزواجر والنواهي والأوامر الشاقة على النفوس التي تفطمها عن رضاعها من ثدي المألوفات والشهوات، والفطام على الصبي أصعب شيء وأشقه، والناس كلهم صبيان العقول، إلا من بلغ مبالغ الرجال العقلاء الألباء، وأدرك الحق علماً وعملاً ومعرفة، فهو الذي ينظر إلى ما وراء الصيِّب وما فيه من الرعد والبرق والصواعق ويعلم أنه حياة الوجود.

وقال الزمخشري: لقائل أن يقول شبه دين الإسلام بالصيِّب لأن القلوب تحيا به، حياة الأرض بالمطر، وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات، وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق، وما يصيب الكفرة من الأقراع والبلايا والفتن/من جهة أهل الإسلام بالصواعق، والمعنى: أو كمثل ذوي صيِّب، ٩/أ والمراد كمثل قوم أخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا.

قال: والصحيح الذي عليه علماء أهل البيان لا يتخطونه، إن المثلين جميعاً من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة، لا يتكلف لواحد واحد شيء يقدر شبهه فيه. وهذا القول الفحول والمذهب الجزل، بيانه: أن العرب تأخذ أشياء فرادىٰ معزولاً بعضهم من بعض. لم يأخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها

بنظائرها، كما جاء في القرآن حيث شبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامنت وتلاصقت حتى عادت شيئاً واحداً بأخرى مثلها، كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الّذينَ حُمِّلُوا التُوراةَ ثمّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَل الحِمارِ يَحْمِلُ أسْفاراً﴾ [الجمعة: ٥]. الغرض تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التوراة وآياتها الباهرة بحال الحمار في جهله بما يحمل من أسفار الحكمة، وتساوي الحالتين عند من حمل أسفار الحكمة وحمل ما سواها من الأحمال، ولا يشعر من ذلك إلا بما يمرّ بدفيه من الكد والتعب، وكقوله تعالى: ﴿واضْربْ لهُمْ مَثَلَ الحيَاةِ الدُّنْيا كماء أنْزَلْناه من السماء فاختلط بهِ نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح﴾ [الكهف: ٤٥]. المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء هذا النبات، فأما أن يراد تشبيه الأفراد بالأفراد غير منوط بعضها ببعض وتصييرها شيئاً واحداً فلا.

وكذلك لما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما حصلوا فيه من الحيرة والدهشة، فشبّه حيرتهم وشدة الأمر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد إيقادها في ظلمة الليل، وكذلك من أخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق.

قال: فإن قلت: أي التمثيلين أبلغ؟ قلت: الثاني لأنه أَدَلُّ على فرط الحيرة وشدة الأمر وفظاعته، ولذلك أُخِّرَ، وهم يتدرجون في مثل هذا من الأهون إلى الأغلظ.

قلت: [قال شيخنا:] الناس في الهدى الذي بعث الله تعالى به رسوله ﷺ أربعة أقسام: قد اشتملت عليهم هذه الآيات من أول السورة إلى هاهنا.

القسم الأول: قبلوه ظاهراً وباطناً وهم نوعان:

أحدهما: أهل الفقه فيه والفهم والتعليم، وهم الأئمة الذين عقلوا عن الله تعالى كتابه وفهموا مراده، وبلغوه إلى الأمة، واستنبطوا أسراره وكنوزه،

فهؤلاء مثل الأرض الطيبة التي قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، فرعى الناس فيه ورعت أنعامهم، وأخذوا من ذلك الكلأ الغذاء/والقوت ٩/ب والدواء وسائر ما يصلح لهم.

النوع الثاني: حفظوه وضبطوه وبلّغوا ألفاظه إلى الأمة، فحفظوا عليهم النصوص وليسوا من أهل الاستنباط والتفقه في مراد الشارع، فهم أهل حفظ وضبط وأداء لما سمعوه، والأولـون أهل فهم وفقه واستنباط وإثارة لدفائنه وكنوزه، وهذا النوع الثاني لمنزلة الأرض التي أمسكت الماء للناس، فوردوه وشربوا منه وسقوا منه أنعامهم وزرعوا به.

* * *

٧ ـ فصل

القسم الثاني: من ردَّه ظاهراً وباطناً وكفر به، ولم يرفع به رأساً، وهؤلاء أيضاً نوعان:

أحدهما: عرفه وتيقن صحته وأنه حق، ولكن حمله الحسد والكبر وحب الرياسة والملك والتقدم بين قومه على جحده ودفعه بعد البصيرة واليقين.

النوع الثاني: أتباع هؤلاء الذين يقولون: هؤلاء ساداتنا وكبراؤنا، وهم أعلم منّا بما يقبلونه وما يردونه، ولنا أسوة بهم، ولا نرغب بأنفسنا عن أنفسهم، ولو كان حقاً لكانوا هم أهله وأولى بقبوله.

وهؤلاء بمنزلة الدوابّ والأنعام يُساقون حيث يسوقهم راعيهم، وهم الذي قال الله عز وجل فيهم: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الذينَ اتُّبِعُوا مِنَ الذينَ اتبَعُوا ورأوا العَذَابَ وتَقَطعتْ بهمُ الأسْبابُ * وقال الذينَ اتبَعُوا لَوْ أنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتبرَّأَ مِنْهُم كما تبرؤوا مِنا كذلكَ يُريهُم اللهُ أعْمالهم حَسَراتٍ عَلَيْهم ومَا هُمْ بخارجينَ مِنَ النار﴾ [البقرة: ١٦٦]. وقال تعالى فيهم: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ في النَّار يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا

أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنا الرَّسُولاَ * وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبيلا * رَبَّنا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ منَ العَذابِ والْعَنْهُمْ لَعْناً كَبيراً﴾ [الأحزاب: ٦٦ - ٦٨] وقال تعالى فيهم: ﴿وإذْ يَتَحاجُّونَ في النّارِ فيقُولُ الضُّعفاء للّذينَ اسْتَكبروا إنّا كُنّا لَكُم تَبَعاً فَهَلْ أنتم مُغْنُون عنّا نصيباً من النّار * قالَ الّذين اسْتَكبرُوا إنّا كلٌّ فيها إنَّ اللهَ قدْ حَكَمَ بينَ العِبادِ﴾ [غافر: ٤٧ - ٤٨] وقال فيهم: ﴿هَذا فَلْيَذوقُوه حميمٌ وغَسّاقٌ * وآخرُ منْ شكْلهِ أزْواجٌ * هَذا فَوْجٌ مُقْتحمٌ مَعَكُم لا مَرْحباً بهِمْ إنَّهُمْ صَالُوا النّارِ * قالُوا بَلْ أنْتم لا مَرْحباً بكُم أنْتُم قدّمتُمُوه لَنَا فَبِئسَ القَرار﴾ [ص: ٥٧ - ٦٠]. أي سَنَنْتُمُوهُ لنا وشرعتموه ﴿قَالُوا ربّنا مَنْ قدّمَ لَنَا هذا فَزِدْه عَذَاباً ضِعْفاً في النّار﴾ [ص: ٦١].

فقولهم: ﴿لا مَرْحباً بِهِم إنَّهُم صَالُوا النَّار﴾ أي داخلوها كما دخلناها، ومقاسون عذابها كما نقاسيه، فأجابهم الأتباع قَالُوا: ﴿بَلْ أَنْتُم لا مَرْحباً بِكم أَنْتُم قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾. وفي الضمير قولان:

أحدهما: أنه ضمير الكفر والتكذيب ورد قول الرسول ﷺ، واستبدال غيره به، والمعنى/أنتم زينتم لنا الكفر ودعوتمونا إليه، وحسنتموه لنا. ١٠/أ

وقيل: على هذا القول إنه قول الأمم المتأخرين للمتقدمين، والمعنى على هذا أنتم شرعتم لنا تكذيب الرسل، ورد ما جاؤوا به، والشرك بالله سبحانه وتعالى. بدأتم به وتقدمتمونا إليه، فدخلتم النار قبلنا، ﴿فبئس القرار﴾. بئس المستقر والمنزل.

والقول الثاني: أن الضمير في قوله ﴿أنتم قدمتموه لنا﴾ ضمير العذاب وصلي النار، والقولان: متلازمان وهما حق.

وأما القائلون: ﴿ربنا من قدم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النار﴾ [ص: ٦١]، فيجوز أن يكون الأتباع دعوا على سادتهم وكبرائهم وأئمتهم به، لأنهم الذين حملوهم عليه ودعوهم إليه، ويجوز أن يكون جميع أهل النار سألوا ربهم

أن يزيد من سنّ لهم الشرك وتكذيب الرسل ﷺ ضعفاً وهم الشياطين.

* * *

٨ ـ فصل

القسم الثالث: الذين قبلوا ما جاء به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم وآمنوا به ظاهراً وجحدوه وكفروا به باطناً، وهم المنافقون الذين ضرب لهم هذان المثلان بمستوقد النار وبالصيِّب. وهم أيضاً نوعان:

أحدهما: من أبصر ثم عمي، وعرف ثم جهل، وأقرّ ثم أنكر، وآمن ثم كفر، فهؤلاء رؤوس أهل النفاق وساداتهم وأئمتهم، ومثلهم مثل من استوقد ناراً ثم حصل بعدها على الظلمة.

والنوع الثاني: ضعفاء البصائر الذين أغشى بصائرهم ضوء البرق، وكاد أن يخطفها لضعفها وقوته، وأصم أذانهم صوت الرعد، فهم يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق ولا يقربون من سماع القرآن والإيمان، بل يهربون منه، ويكون حالهم حال من سمع الرعد الشديد، فمن شدة خوفه منه يجعل أصابعه في أذنه، وهذه حال كثير من خفافيش البصائر في كثير من نصوص الوحي، إذا وردت عليه مخالفة لما تلقاه عن أسلافه وذوي مذهبه، ومن يحسن به الظن ورآها مخالفة لما عنده عنهم هرب من النصوص، وكره من يسمعه إياها، ولو أمكنه لسد أذنيه عند سماعها، ويقول: دعنا من هذه، ولو قدر لعاقب من يتولها ويحفظها وينشرها ويعلمها، إذا ظهر له منها ما يوافق ما عنده مشى فيها وانطلق، فإذا جاءت بخلاف ما عنده أظلمت عليه فقام حائراً لا يدري أين يذهب، ثم يعزم له التقليد وحسن الظن برؤسائه وسادته على اتباع ما قالوه دونها، ويقول مسكين الحال: هم أخبر بها مني وأعرف.

فيا لله العجب، أوليس أهلها، والذابون عنها، والمنتصرون لها،

١٠/ب والمعظمون لها، والمخالفون/لأجلها آراء الرجال المقدمون لها على من خالفها أعرف بها أيضاً منك وممن اتبعته؟!!.

فلمَ كان من خالفها وعزلها عن اليقين، وزعم أن الهدى والعلم لا يستفاد منها، وإنها أدلة لفظية لا تفيد شيئاً من اليقين، ولا يجوز أن يحتج بها على مسألة واحدة من مسائل التوحيد والصفات ويسميها الظواهر النقلية؟!! ويسمي ما خالفها القواطع العقلية.

فلم كان هؤلاء أحق بها وأهلها، وكان أنصارها والذابون عنها والحافظون لها هم أعداؤها ومحاربوها، ولكن هذه سنّة الله في أهل الباطل إنهم يعادون الحق وأهله وينسبونهم إلى معاداته ومحاربته، كالرافضة الذين عادوا أصحاب محمد ﷺ، بل وأهل بيته ونسبوا أتباعه وأهل سنّته إلى معاداته ومعاداة أهل بيته، ﴿وما كانوا أولياؤه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾.

والمقصود أن هؤلاء المنافقين قسمان: أئمة وسادة يدعون إلى النار وقد مردوا على النفاق، وأتباع لهم بمنزلة الأنعام والبهائم، فأولئك زنادقة مستبصرون، وهؤلاء زنادقة مقلدون، فهؤلاء أصناف بني آدم في العلم والإيمان. ولا يجاوز هذه السنة اللهم إلَّا من أظهر الكفر وأبطن الإيمان، كحال المستضعف بين الكفار الذي تبين له الإسلام، ولم يمكنه المهاجرة بخلاف قومه، ولم يزل هذا الضرب في الناس على عهد رسول الله ﷺ وبعده، وهؤلاء عكس المنافقين من كل وجه.

وعلى هذا فالناس: إما مؤمن ظاهراً وباطناً، وإما كافر ظاهراً وباطناً، أو مؤمن ظاهراً كافر باطناً، أو كافر ظاهراً مؤمن باطناً، والأقسام الأربعة قد اشتمل عليها الوجود، وقد بيّن القرآن أحكامها. فالأقسام الثلاثة الأولى ظاهرة، وقد اشتمل عليها أول سورة البقرة.

* * *

٩ - [فصل]

وأما القسم الرابع، ففي قوله تعالى: ﴿فَلولا رجَالٌ مُؤمنُونَ ونساء مُؤمنَاتٌ لَمْ تَعْلمُوهم أنْ تَطَؤهُمْ﴾ [الفتح: ٢٥]، فهؤلاء كانوا يكتمون إيمانهم في قومهم ولا يتمكنون من إظهاره، ومن هؤلاء مؤمن آل فرعون. كان يكتم إيمانه، ومن هؤلاء النجاشي الذي صلّى عليه رسول الله ﷺ، فإنه كان ملك النصارى بالحبشة، وكان في الباطن مؤمناً. وقد قيل: إنه وأمثاله الذين عناهم الله - عز وجل - بقوله: ﴿وإنّ منْ أهْلِ الكِتاب لمَنْ يُؤمنُ بالله ومَا أُنْزلَ إليْكُم وما أُنْزلَ إليْهم خاشعينَ لله لا يشْترونَ بآياتِ الله ثمناً قليلاً﴾ [آل عمران: ١٩٩]. وقوله تعالى: ﴿مِنْ أهْلِ الكِتابِ أُمَّةٌ قَائِمةٌ يَتْلُونَ آياتِ الله آناء الليل وهُم يَسْجُدُون * /يؤمِنُون بالله واليومِ الآخر ويأمُرُونَ بالمعْروْف وينْهونَ عنِ المُنْكر ويُسارعونَ في الخيراتِ وأولئكَ منَ الصَّالحينَ﴾ [آل عمران: ١١٣ - ١١٤]. فإن هؤلاء ليس المراد بهم التمسك باليهودية والنصرانية بعد بعث محمد ﷺ قطعاً، فإن هؤلاء قد شهد لهم بالكفر وأوجب لهم النار، فلا يثنى عليهم بهذا الثناء، وليس المراد به من آمن من أهل الكتاب ودخل في جملة المؤمنين وَبَايَنَ قَوْمَهُ، فإن هؤلاء لا يطلق عليهم إنهم من أهل الكتاب إلا باعتبار ما كانوا عليه، وذلك الاعتبار قد زال بالإسلام، واستحدثوا اسم المسلمين والمؤمنين، وإنما يطلق الله سبحانه هذا الاسم على من هو باق على دين أهل الكتاب. هذا [هو] المعروف في القرآن كقوله تعالى: ﴿ يا أهْلَ الكِتابِ لِمَ تَكْفُرون [بآياتِ الله]﴾ [آل عمران: ٧٠]. ﴿يا أهلَ الكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ في إبْراهيمَ﴾ [آل عمران: ٦٥]. ﴿وإنَّ الذينَ أوتُوا الكِتابِ لَيَعلَمُونَ أنه الحقُّ من ربِّهم﴾ [البقرة: ١٤٤].

١١/أ

ولهذا قال جابر بن عبد الله وعبد الله بن عباس وأنس بن مالك والحسن وقتادة أن قوله تعالى: ﴿وإنَّ منْ أهْلِ الكِتابِ لمَنْ يُؤمنُ بالله وما أُنزلَ إليْكُم وما أُنزلَ إليْهم﴾ [آل عمران: ١٩٩] إنها نزلت في النجاشي زاد الحسن وقتادة: وأصحابه.

وذكر ابن جرير في «تفسيره»[1] من حديث أبي بكر الهذلي، عن قتادة، عن ابن المسيب، عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اخرجوا فصلُّوا على أخ لكم». فصلى بنا فكبر أربع تكبيرات، فقال: «هذا النجاشي أصحمة». فقال المنافقون: انظروا إلى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط، فأنزل الله تعالى: ﴿وإنَّ منْ أهْلِ الكِتاب لَمَنْ يُؤمنُ بالله﴾ الآية. [آل عمران: ١٩٩].

والمقصود أن الأقسام الأربعة قد ذكرها الله تعالى في كتابه وبين [أحكامها في الدنيا] وأحكامها في الآخرة، وقد تبين أن أحد الأقسام من آمن ظاهراً وكفر باطناً، وأنهم نوعان: رؤساؤهم وساداتهم، وأتباعهم ومقلدوهم، وعلى هذا فأصحاب المثل الأول الناري شر من أصحاب المثل المائي، كما يدل السياق عليه.

وقد يقال ـ وهو أولى ـ: أن المثلين لسائر النوع، وإنهم قد جمعوا بين مقتضى المثل الأول من الإنكار بعد الإقرار والحصول في الظلمات بعد النور، وبين مقتضى المثل الثاني من ضعف البصيرة في القرآن وسد الآذان عند سماعه والإعراض عنه، فإن المنافقين فيهم هذا وهذا، وقد يكون الغالب على فريق منهم المثل الأول، وعلى فريق منهم المثل الثاني.

* * *

١٠ ـ فصل

وقد اشتمل هذان المثلان حِكَمٍ عظيمةٍ:

١١/ب منها: أن المستضيء/بالنارِ، مستضيءٌ بنور من جِهَةِ غيره لا من قِبَلِ نَفْسِهِ، فإذا ذهبت تلك النار بقيَ في الظلمةِ، وهكذا المنافق لما أقرّ بلسانه من

(١) ابن جرير في «تفسيره» ٤/١٤٦.

غير اعتقادٍ ومحبةٍ بقلبه وتصديقٍ جازمٍ كان ما معه من النورِ كالمُسْتَعَارِ.

ومنها: أن ضياءَ النار يحتاج في دوامه إلى مادة تحمله، وتلك المادة للضياء بمنزلة غذاء الحيوان، فكذلك نور الإيمان يحتاج إلى مادة من العلم النافع والعمل الصالح يقوم بها، ويدوم بدوامها، فإذا انقطعت مادة الإيمان طفىء كما تطفأ النار بفراغ مادتها.

ومنها: أن الظلمة نوعان: ظلمة مستمرة لم يتقدمها نور، وظلمة حادثة بعد النور وهي أشد الظلمتين وأشقهما على من كانت حظه، فظلمة المنافق ظلمة بعد إضاءة، فَمُثِّلتْ، حاله بحال المستوقد للنار الذي حصل في الظلمة بعد الضوء، وأما الكافر فهو في الظلمات لم يخرج منها قط.

ومنها: أن في هذا المثل إيذاناً وتنبيهاً على حالهم في الآخرة، وأنهم يعطون ناراً ظاهراً كما كان نورهم في الدنيا ظاهراً، ثم يطفأ ذلك النور أحوج ما يكونون إليه إذ لم تكن له مادة باقية تحمله، ويبقون في الظلمة على الجسر لا يستطيعون العبور، فإنه لا يمكن أحداً عبوره إلا بنور ثابت يصحبه حتى يقطع الجسر، فإن لم يكن لذلك النور مادة من العلم النافع والعمل الصالح وإلا ذهب الله تعالى به أحوج ما كان إليه صاحبه، فطابق مثلهم في الدنيا بحالهم التي هم عليها في هذه الدار وبحالتهم يوم القيامة عندما يقسم.

ومن ها هنا يعلم السر في قوله تعالى: ﴿ذهب الله بنورهم﴾ [البقرة: ١٧] ولم يقل أذهب الله نورهم. فإن أردت زيادة بيان وإيضاح، فتأمل ما رواه مسلم في «صحيحه» من حديث جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ، وقد سُئل عن الورود، فقال: نجيء نحن يوم القيامة فوق الناس قال: فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد، الأولُ فالأول، ثم يأتينا ربُّنا تبارك وتعالى بعد ذلك فيقول: من تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر ربنا. فيقول: أنا ربكم. فيقولون: حتى ننظُرَ إليك، فيتجلّى لهم يضحك. قال: فينطلقُ بهم ويتبعونه، ويُعطَى كلُّ إنسانٍ منهم،

منافق أو مؤمنٍ نوراً، ثم يتبعونه، وعلى جسرِ جهنمَّ كلاليبُ وحَسَكٌ، تأخذ مَنْ شاءَ اللهُ تعالى، ثم يطفأ نور المنافقين، ثم ينجو المؤمنون، فتنجو أولُ زمرة وجوهُهُم كالقمر ليلةَ البدر، سبعون ألفاً لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم كأَضْوَاء نَجْمٍ في السماء، ثم كذلك ثم تَحِلُّ الشفاعة ويشفعون حتى يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، / وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، فَيُجْعَلُون بفناء الجنة، وَيُجْعَلُ أهلُ الجنة يَرُشُّونَ عليهِمُ الماء[1]. وذكر باقي الحديث.

١٢/أ

فتأمل قوله: فينطلق فيتبعونه ويُعطى كل إنسان منهم نوراً المنافق والمؤمن، ثم تأمل قوله تعالى: ﴿ذهب الله بنُورهم وتَركَهُم في ظُلُماتٍ لا يُبْصرونَ﴾ [البقرة: ١٧]، وتأمل حالهم إذا طُفئت أنوارهم، فبقوا في الظلمة، وقد ذهب المؤمنون في [نور] إيمانهم يتبعون ربهم عز وجل.

وتأمل قوله ﷺ، في حديث الشفاعة: «ليتبع كلُّ أمَّةٍ ما كانت تعبد».[2] فيتبع كل مشرك إلهه الذي كان يعبده، والموحد حقيق بأن يتبع إلهه الحق الذي كان كل معبود سواه باطل.

وتأمل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساق ويُدْعَوْنَ إلى السُّجُود فلا يستطيعُون﴾ [القلم: ٤٢]. وذكر هذه الآية في حديث الشفاعة في هذا الموضع، وقوله في الحديث: «فيكشف عن ساقه»، وهذه الإضافة يتبين المراد بالساق المذكور في الآية.

وتأمل ذكر الإنطلاق واتباعه سبحانه بعد هذا، وذلك يفتح لك باباً من أسرار التوحيد وفهم القرآن، ومعاملة الله سبحانه وتعالى لأهل توحيده الذين عبدوه وحده، ولم يشاركوا به شيئاً. هذه المعاملة التي عامل بمقابلها أهل

---

(١) مسلم رقم (١٩١)، وأحمد ٣/٣٨٣.

(٢) البخاري رقم (٨٠٦) و(٦٥٧٣) و(٧٤٣٧)، ومسلم رقم (١٨٢)، والترمذي رقم (٢٥٦٠)، وأحمد ٢/٢٧٥ و٢٧٦ و٣٦٨ و٣٦٩ و٥٣٤، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الشرك حيث ذهبت كلُّ أمة مع معبودها، فانطلق بها واتبعته إلى النار، وانطلق المعبود الحق واتبعته أولياؤه وعابدوه. فسبحان الله رب العالمين الذي قرت عيون أهل التوحيد به في الدنيا والآخرة، وفارقوا الناس [فيه] أحوج ما كانوا إليهم.

ومنها: أنّ المثلَ الأولَ متضمنٌ لحصولِ الظلمةِ التي هي الضلال والحيرة، التي ضدها الهدى، والمثل الثاني متضمنٌ لحصولِ الخوفِ الذي ضِدّه الأمن فلا هدى ولا أمن: ﴿الذينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إيمانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولئِكَ لَهُمُ الأمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

قال ابن عباس وغيره من السلف: مثل هؤلاء في نفاقهم كمثل رجل أوقد ناراً في ليلة مظلمة في مفازة، فاستدفىء ورأى ما حوله فاتقى مما يخاف، فبينا هو كذلك إذ طُفئت نارُهُ فبقي في ظلمة خائفاً متحيِّراً، كذلك المنافقون بإظهار كلمة الإيمان أمِنوا على أموالهم وأولادهم وناكحوا المؤمنين ووارثوهم وقاسموهم الغنائم، فذلك نورهم، فإذا ماتوا عادوا إلى الظلمة والخوف.

قال مجاهد: إضاءة النار لهم إقبالهم إلى المسلمين والهدى، وذهاب نورهم إقبالهم إلى المشركين والضلالة.

وقد فُسِّرَتْ تلك الإضاءة وذهاب النور بأنها في الدنيا. وفُسِّرت بالبرزخ. وفسرت بيوم القيامة.

والصواب: أن ذلك شأنهم في الدور الثلاثة؛ فإنهم لما كانوا كذلك في الدنيا جوزوا/في البرزخ وفي القيامة بمثل حالهم جزاء وِفاقاً: ﴿ومَا ربُّك بِظَلّامٍ للعبيد﴾ [فصلت: ٤٦]، فإن المعاد يعود على العبد فيه ما كان حاصلاً له في الدّنيا، ولهذا يسمى يوم الجزاء: ﴿ومَنْ كانَ في هذه أعْمَى فهُو في الآخرة أعْمَى وأضَلُّ سَبيلا﴾[الإسراء: ٧٢]. ﴿ويزيدُ اللهُ الذينَ اهْتَدَوْا هُدىً﴾[مريم: ٧٦]. ١٢/ب

ومن كان مستوحشاً مع الله بمعصيته إياه في هذه الدار فوحشته معه في

البرزخ يوم المعاد أعظم وأشد، ومن قَرَّتْ عَيْنُهُ به في [هذه الحياة] الدنيا قَرَّتْ عَيْنُهُ به يوم لقائه، وعندَ المَوْتِ، ويومَ البَعْث، فيموت العبدُ على ما عاش عليه، ويبعث على ما مات عليه، وتعود عليه عمله بعينه، فينعم به ظاهراً وباطناً أو يعذب به ظاهراً أو باطناً فيعود عليه حكم العمل الصالح باطناً، فيورثه من الفرح والسرور واللذة والبهجة وقرة العين والنعيم وقوة القلب واستبشاره وحياته وانشراحه واغتباطه ما هو من أفضل النعيم وأجله وأطيبه وألذه. وهل النعيم إلا طيب النفس، وفرحة القلب وسروره وانشراحه واستبشاره هذا، وينشأ له من أعماله ما تشتهيه نفسه، وتلذ عينه من سائر المشتهيات وكمالها وبلوغها مرتبة الحسن والموفقة بحسب كمال عمله ومتابعته فيه وإخلاصه وبلوغه مرتبة الإحسان فيه وبحسب تنوعه، فمن تنوعت أعماله المرضية لله المحبوبة له في هذه الدار تنوعت الأقسام التي يتلذذ بها في تلك الدار، وتكثرت له بحسب تكثر أعماله هنا، وكان مزيده بتنوعها والابتهاج بها والالتذاذ بنيلها هناك على حسب مزيده من الأعمال وتنوعه فيها في هذه الدار.

وقد جعل الله سبحانه وتعالى لكل عمل من الأعمال المحبوبة له والمسخوطة أثراً وجزاء ولذة وألماً يخصّه، لا يشبه أثر الآخر وجزاءه، ولهذا تنوعت لذات أهل الجنة، وآلام أهل النار، وتنوع ما فيهما من الطيبات والعقوبات، فليست لذة من ضرب في كل مرضاة لله بسهم، وأخذ منها بنصيب، كَلَذَّةِ من أنمى سهمه ونصيبه في نوع واحد منها، ولا ألم من ضرب في كل مسخوط لله بنصيب وعقوبته كألم من ضرب بسهم واحد في مساخطه.

وقد أشار النبي ﷺ إلى أنَّ كمالَ ما يستمتع به من الطيبات في الآخرة بحسب كمال ما قابله من الأعمال في الدنيا، فرأى قنواً من حشف معلقاً في المسجد للصدقة فقال: «إنَّ صاحبَ هذا يأكل الحشف يوم القيامة»[1].

---

(١) أبو داود رقم (١٦٠٨)، والنسائي ٤٣/٥ و٤٤، وابن ماجه رقم (١٨٢١)، من حديث عوف ابن مالك رضي الله عنه، وهو حديث حسن.

فأخبر أن جزاءه/يكون من جنس عمله فيجزى على تلك الصدقة بحشف ١٣/أ من جنسها، وهذا الباب يفتح لك أبواباً عظيمة من فهم المعاد، وتفاوت الناس في أحواله، وما يجري فيه من الأمور المتنوعة:

منها: خفة حمل العبد على ظهره وثقله إذا قام من قبره، فإنه بحسب خفة وزره وثقله، إن خف خف وإن ثقل ثقل.

ومنها: استظلاله بظل العرش أو ضحاؤه للحر والشمس، إنْ كان له من الأعمال الصالحة الخالصة والإيمان مما يظلّه في هذه الدار من حرّ الشرك والمعاصي والظلم، استظلّ هناك في ظلّ أعماله تحت عرش الرحمن، وإن كان ضاحياً هنا للمناهي والمخالفات والبدع والفجور ضحى هناك للحرّ الشديد.

ومنها طول وقوفه في الموقف ومشقته عليه وتهوينه عليه، إن طال وقوفه في الصلاة ليلاً ونهاراً لله، وتحمل لأجله المشاق في مرضاته وطاعته خف عليه الوقوف في ذلك اليوم، وسهل عليه، وإن آثر الراحة هنا والدعة والبطالة والنعمة طال عليه الوقوف هناك واشتدت مشقته عليه، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا عليْك القُرآنَ تَنْزيلاً * فاصْبِرْ لحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً * واذْكُرِ اسْمَ ربِّكَ بُكْرةً وأَصِيلاً * وَمِنَ اللَّيْلِ فاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَويلاً * إنَّ هَؤلَاءِ يُحِبُّونَ العَاجِلَةَ وَيَذَرُوْنَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً﴾ [الإنسان: ٢٣ ـ ٢٧] فمن سبَّح الله ليلاً طويلاً، لم يكنْ ذلك اليوم ثقيلاً عليه، بل كان أخف شيءٍ عليه.

ومنها: أنّ ثِقل ميزانه هناك بحسب تحمله ثقل [عمل] الحق في هذه الدار، لا بحسب مجرد كثرة الأعمال، وإنما يثقل الميزان باتباع الحق والصبر عليه وبذله إذا سئل، وأخذه إذا بذل، كما قال الصدّيق [في وصيته] لعمر رضي الله عنهما: واعلم أنّ لله حقاً بالليل لا يقبله بالنهار، وله حق بالنهار لا يقبله

باللیل. واعلم إنه إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه باتباعهم الحق، وثقل ذلك عليهم في دار الدنيا وحق لميزان يوضع فيه الحق أن يكون ثقيلاً، وإنما خفت موازين من خفت موازينه باتباعهم الباطل في دار الدنيا وخفته عليهم وحق الميزان يوضع فيه الباطل أن يكون خفيفاً.

ومنها أن ورود الناس الحوض وشربهم منه يوم العطش الأكبر، بحسب ورودهم سنة رسول الله ﷺ وشربهم منها، فمن/وردها في هذه الدار وشرب منها وتضلع ورد هناك لحوضه وشرب منه وتضلع فله ﷺ حوضان عظيمان حوض في الدنيا وهو سنته وما جاء به، وحوض في الآخرة، فالشاربون من هذا الحوض في الدنيا هم الشاربون من حوضه يوم القيامة، فشارب ومحروم ومستقل ومستكثر، والذين يذودنَّهم هو والملائكة عن حوضه يوم القيامة هم الذين كانوا يذودون أنفسهم واتباعهم عن سنته ويؤثرون عليها غيرها، فمن ظمىء من سنته في هذه الدنيا ولم يكن له منها شرب فهو في الآخرة أشد ظمأً وأحر كبداً، وأن الرجل ليلقى الرجل فيقول: يا فلان أشربت فيقول: نعم والله، فيقول: لكني ما شربت واعطشاه ١٣/ب

فرد أيها الظمآن والورد ممكن ... فإن لم ترد فاعلم بأنك هالك
وإن لم يكن رضوان يسقيك شربة ... سيسقيها إذا أنت ظمآن هالك
وإن لم ترد في هذه الدار حوضه ... ستصرف عنه يوم يلقاك آنك

ومنها قسمة الأنوار في الظلمة دون الجسر، فإن العبد يعطي من النور هناك بحسب قوة نور إيمانه ويقينه وإخلاصه ومتابعته للرسول ﷺ في دار الدنيا، فمنهم من يكون نوره كالشمس ودون ذلك وكالقمر دونه كأشد كوكب في السماء إضاءة، ومنهم من يكون نوره كالسراج في قوته وضعفه وما بين ذلك، ومنهم من يعطي نوراً على إبهام قدمه يضيء مرة ويطفىء أخرى، بحسب ما كان معه من نور الإيمان في دار الدنيا، فهو هذا النور بعينه أقدره الله

لعبده في الآخرة ظاهراً يرى عياناً بالأبصار، ولا يستضيء به غيره، ولا يمشي أحد إلا في نور نفسه. إن كان له نور مشى في نوره، وإن لم يكن له نور أصلاً لم ينفعه نور غيره.

ولما كان المنافق في الدنيا قد حصل له نور ظاهر غير مستمر ولا متصل بباطنه، ولا له مادة من الإيمان أعطي في الآخرة نوراً ظاهراً لا مادة له، ثم يطفأ عنه أحوج ما كان إليه.

ومنها: أنّ مشيهم على الصراط في السرعة والبطء، بحسب سرعة سيرهم وبطئه على صراط الله المستقيم في الدنيا، فأسرعهم سيراً هنا أسرعهم هناك، وأبطأهم هنا أبطأهم هناك. وأشدهم ثباتاً على الصراط المستقيم هنا أثبتهم هناك، ومن خطفته كلاليبُ الشهوات والشبهات والبدع المضلّة هنا. خطفته الكلاليبُ التي كأنها شوك السعدان هناك، ويكون تأثير كلاليب الشهوات والشبهات/والبدع فيه ها هنا، فناج مسلم ومخدوش مسلم ومخردل. ١٤/أ أي مقطع بالكلاليب مكردس في النار، كما أثر فيهم تلك الكلاليب في الدنيا جزاء وفاقاً. وما ربك بظلام للعبيد.

والمقصود أنّ الله تبارك وتعالى ضربَ لعباده المثلَيْن: المائي والناري في سورة البقرة، وفي سورة الرعد. وفي سورة النور، لما تضمن المثلان من الحياة والإضاءة، فالمؤمن حي القلب مستنيره، والكافر والمنافق ميت القلب مظلمه، وقال الله تعالى: ﴿أَوَمَنْ كانَ مَيْتاً فأَحْيَيْناهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشي بِهِ في النَّاس كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ الآية، [الأنعام: ١٢٢] وقال تعالى: ﴿ومَا يَسْتوي الأعْمَى والبَصيرُ * ولا الظُّلُمات ولا النُّورُ * ولا الظِّلُّ ولا الحرورُ * ومَا يَسْتوي الأحْياء ولاَ الأمْواتُ﴾ [فاطر: ١٩-٢٣]. فجعل من اهتدى بهداه واستنار بنوره بصيراً حياً في ظلٍّ يَقِيهِ مِنْ حرِّ الشبهات والضلال والبدع والشرك، مستنيراً بنوره، والآخر أعمى ميتاً في حرِّ الكفر والشرك والضلال

منغمساً في الظلمات، وقال تعالى: ﴿وكذلكَ أوحَيْنا إليْكَ رُوحاً مِنْ أمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي ما الكِتَابُ ولا الإيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبادِنا﴾ [الشورى: ٥٢].

وقد اختلف في تفسير الضمير من قوله تعالى: ﴿ولكن جعلناه نوراً﴾:

فقيل: هو الإيمان لكونه أقرب المذكورين.

وقيل: هو الكتاب، فإنه النور الذي هدى به عباده.

قال شيخنا: والصواب أنه عائد على الروح المذكور في قوله تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا مَا كُنْتَ تَدْري مَا الكِتابُ وَلَا الإيمانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبادِنَا﴾ فسمَّى وَحْيَهُ رُوحاً لما يحصل به من حياة القلوب والأرواح التي هي الحياة في الحقيقة، ومن عدمها فهو ميت لا حي.

والحياة الأبدية السرمدية في دار النعيم هي ثمرة حياة القلب بهذا الروح الذي أوحى إلى الرسول ﷺ، فمن لم يحيا به في الدنيا، فهو ممن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا، وأعظم الناس حياة في الدور الثلاث دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار الجزاء، أعظمهم نصيباً من الحياة بهذه الروح، وسماه روحاً في غير موضع من القرآن كقوله تعالى: ﴿رفيعُ الدّرجات ذُو العَرْشِ يُلْقي الرُّوحَ منّ أمْرِهِ على مَنْ يشاء من عِباده لِيُنذرَ يومَ التّلاقِ﴾ [غافر: ١٥]. وقال تعالى: ﴿يُنزِّل المَلائِكَةَ بالرّوح منْ أمره على مَنْ يشاء من عِباده أنْ أنْذرُوا أنّه لا إلَه إلاَّ أنا فاتّقُونِ﴾ [النحل: ٢].

١٤/ب وسماه نوراً لما يحصل به من استنارة القلوب وإضاءتها. /وكمال الروح بهاتين الصفتين بالحياة والنور ولا سبيل إليهما إلا على أيدي الرسل [صلوات الله وسلامه عليهم]، والاهتداء بما بعثوا به، وتَلَقِّي العلم النافع والعمل الصالح من مشكاتهم، وإلا فالروح ميتة مظلمة، وإن كان العبد مشاراً إليه بالزهد والفقه

والفضيلة والكلام والبحوث، فإن الحياة والاستنارة بالروح الذي أوحاه الله تعالى إلى رسوله ﷺ، وجعله نوراً يهدي به من يشاء من عباده وراء ذلك كله.

فليس العلم كثرة النقل والبحث والكلام، ولكن نور يميز به صحيح الأقوال من سقيمها، وحقها من باطلها، وما هو من مشكاة النبوة مما هو من آراء الرجال. ويميز النقد الذي عليه سكة [أهل] المدينة النبوية الذي لا يقبل الله عز وجل ثمناً لجنته سواه، من النقد الذي عليه سكة جنكسخان ونوابه من الفلاسفة، والجهمية، والمعتزلة، وكل من اتخذ لنفسه سكة وضرباً ونقداً يروجه بين العالم، فهذه الأثمان كلها زيوف لا يقبل الله سبحانه وتعالى في ثمن جنته شيئاً منها، بل ترد على عاملها أحوج ما يكون إليها، وتكون من الأعمال التي قدم الله تعالى إليها، فجعلها هباء منثوراً ولصاحبها نصيب وافر من قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُم فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُم يَحْسَبُونَ أَنَّهُم يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٤].

وهذا حال أرباب الأعمال التي كانت لغير الله عز وجل، أو على غير سنّة رسول الله ﷺ، وحال أرباب العلوم والأنظار التي لم يتلقوها عن مشكاة النبوة، ولكن تلقوها عن زبالة أذهان الرجال، وكناسة أفكارهم، فأتعبوا قواهم وأفكارهم وأذهانهم في تقرير آراء الرجال والانتصار لهم، وفَهْمِ ما قالوه وبَثّه في المجالس والمحاضر، وأعرضوا عما جاء به الرسول ﷺ صفحاً، وَمَنْ به رمق منهم يعيره أدنى التفات طلباً للفضيلة.

وأما تجريد أتباعه وتحكيمه واستفراغ قوى النفس في طلبه وفهمه وعرض آراء الرجال عليه، وردّ ما يخالفه منها، وقبول ما وافقه، ولا يلتفت إلى شيء من آرائهم وأقوالهم، إلا إذا أشرقت عليها شمس الوحي، وشهد لها بالصحة، فهذا أمر لا يكاد ترى أحداً منهم يحدث به نفسه، فضلاً عن أن يكون أخيته ومطلوبه، وهذا الذي لا ينجي سواه.

فوارحمتا لعبد شقي في طلب العلم، واستفرغ فيه قواه، واستنفد فيه أوقاته، وآثره على ما الناس فيه، والطريق بينه وبين رسول الله ﷺ مسدودة وقلبه عن المرسِل سبحانه وتعالى وتوحيده والإنابة إليه والتوكل عليه والتنعم بحبه والسرور بقربه مطرود ومصدود، وقد طاف عمره كله على أبواب المذاهب، فلم يفز إلا بأخس المطالب.

[سبحان الله] هي والله فتنة أعمت القلوب عن مواقع رشدها، وحيّرت العقول عن طرق قصدها، تربّى فيه الصغير وهرم عليه الكبير، وظنت خفافيش الأبصار أنها الغاية [التي تسابق إليها المتسابقون، والنهاية] التي تتنافس فيها المتنافسون، وهيهات/ أين الظلام من الضياء، وأين الثرى من كوكب الجوزاء، وأين الحرور من الظلال، وأين طريقة أصحاب اليمين من طريقة أصحاب الشمال، وأين القول الذي لم تضمن لنا عصمة قائله بدليل معلوم من النقل المصدق عن القائل المعصوم، وأين العلم الذي سنده محمد بن عبد الله ﷺ، عن جبرائيل ﷺ، عن رب العالمين سبحانه وتعالى، إلى الحوض الذي سنده شيوخ الضلال من الجهمية والمعتزلة وفلاسفة المشائين؟!!. ١٥/أ

بل أين الآراء التي أعلى درجاتها أن تكون عند الضرورة سائغة الإتباع إلى النصوص النبوية الواجب على كل مسلم تحكيمها والتحاكم إليها في موارد النزاع، وأين الآراء التي نهى قائلها عن تقليده فيها، وحذر إلى النصوص التي فرض على كل عبد أن يهتدي بها ويتبصر، وأين الأقوال والآراء التي إذا مات أنصارها والقائمون بها فهي من جملة الأموات إلى النصوص التي لا تزول، إلا إذا زالت الأرض والسموات.

لقد استبان والله الصبح لمن له عينان ناظرتان، وتبين الرشد من الغي لمن له أذنان واعيتان، لكن عصفت على القلوب أهوية البدع والشبهات والآراء

المختلفات، فأطفأت مصابيحها وتحكمت فيها أيدي الشهوات، فأغلقت أبواب رشدها وأضاعت مفاتيحها، وران عليها كسبها وتقليدها لآراء الرجال، فلم تجد حقائق القرآن والسنة فيها منفذاً، وتمكنت منها أسقام الجهل والتخبيط، فلم تنتفع معها بصالح الغذاء، واعجباً جعلت غذاءها من هذه الآراء التي لا تسمن ولا تغني من جوع، ولم تقبل الاغتذاء بكلام الله تعالى، ونص نبيه المرفوع. واعجباً كيف اهتدت في ظلم الآراء إلى التمييز بين الخطأ فيها والصواب، وعجزت عن الاهتداء بمطالع الأنوار ومشارقها من السنّة والكتاب، فأقرت بالعجز عن تلقي الهدى والعلم من مشكاة السنّة والقرآن، ثم تلقته من رأي فلان ورأي فلان.

سبحان الله! ماذا حرم المعرضون عن نصوص الوحي واقتباس الهدى من مشكاتها من الكنوز والذخائر، وماذا فاتهم من حياة القلوب واستنارة البصائر. قنعوا بأقوال استنبطها معاول الآراء فكراً وتقطعوا أمرهم بينهم لأجلها زبراً، وأوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً، فاتخذو لأجل ذلك مهجوراً، درست معالم القرآن في قلوبهم، فليسوا يعرفونها، ودثرت معاهده عندهم، فليسوا/ يعمرونها، ووقعت أعلامه من أيديهم، فليسوا يرفعونها، وأَفَلَتْ كواكبه ١٥/ب من آفاقهم فليسوا يبصرونها، وكسفت شمسه عند اجتماع ظلم آرائهم وعقدها، فليسوا يثبتونها. خلعوا نصوص الوحي عن سلطان الحقيقة، وعزلوها عن ولاية اليقين، وشنوا عليها غارات التحريف بالتأويلات الباطلة، فلا يزال يخرج عليها من جيوشهم المخذولة كمين بعد كمين. نزلت عليهم نزول الضيف على أقوام لئام، فعاملوها بغير ما يليق بها من الاجلال والإكرام، وتلقوها من بعيد، ولكن بالدفع في صدورها والإعجاز. وقال ما لك عندنا من العبور، وإن كان لا بد فعلى سبيل المجاز، أنزلوا النصوصَ منزلة الخليفة العاجز في هذه الأزمان، له السكة والخطبة وما له حكم نافذ ولا سلطان، حرموا والله الوصول بخروجهم عن منهج الوحي، وتضييع لأصول، وتمسكوا بأعجاز لا صدور لها، فخانتهم

أحرص ما كانوا عليها، وتقطعت بهم أسبابها أحوج ما كانوا إليها، حتى إذا بُعْثِرَ ما في القبور، وحُصِّلَ ما في الصدور، وتميَّزَ لكل قوم حاصلهم الذي حصلوه، وانكشفت لهم حقيقة ما اعتقدوه، وقدموا على ما قدموه، وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون، وسقط في أيديهم عند الحصاد لما عاينوا غلة ما بذروه.

فيا شدة الحسرة عندما يعاين المبطل سعيه وكدّه هباء منثوراً، ويا عظم المصيبة عندما تبين بوارق آماله وأمانيه خلباً وغروراً.

فما ظنّ من انطوت سريرته على البدعة والهوى والتعصب للآراء بربه سبحانه وتعالى يوم تبلى السرائر؟!.

وما عذر من نبذ كتاب وسنّة رسوله ﷺ، وراء ظهره في يوم لا ينفع فيه الظالمين المعاذر؟!!.

أفيظن المعرض عن كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ أن ينجو غداً بآراء الرجال، ويخلص من مطالبة الله تعالى [له] بكثرة البحوث والجدال. أو ضروب الأقيسة وتنوع الأشكال، أو بالشطحات والإشارات وأنواع الخيال؟!!.

هيهات! والله لقد ظنّ أكذب الظنّ ومنّى نفسه أبين المحال، وإنما ضمنت النجاة لمن حكم هدى الله تعالى على غيره، وتزوّد التقوى، وأتم بالدليل، وسلك الصراط المستقيم، واستمسك من التوحيد واتباع الرسول ﷺ بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها. والله سميع عليم.

* * *

١١ ـ فصل

وملاك النجاة والسعادة والفوز بتحقيق التوحيدَيْن اللذَيْن عليهما مدار كتاب الله تعالى، وبتحقيقهما بعث الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ، وإليهما دعت الرسلُ صلوات الله وسلامه عليهم من أوّلهم إلى آخرهم.

أحدهما: التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي، المتضمن إثبات صفات الكمال لله تعالى، وتنزيهه فيها عن التشبيه والتمثيل، وتنزيهه عن صفات النقص.

والتوحيد الثاني: عبادته وحده لا شريك له وتجريد محبته والإخلاص له، وخوفه ورجاؤه والتوكل عليه والرضى به رباً وإلهاً وولياً وأن لا يجعل له عدلاً في شيء من الأشياء.

وقد جمع سبحانه وتعالى هذين النوعين من التوحيد في سورتَي الإخلاص وهما سورة: ﴿قُلْ يَاْ أَيُّهَا الْكَاْفِرُونَ﴾ المتضمنة للتوحيد العملي الإرادي، وسورة: /﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾. المتضمنة للتوحيد العلمي الخبري. ١٦/أ

فسورة ﴿قل هو الله أحد﴾ فيها بيان ما يجب لله تعالى من صفات الكمال وبيان ما يجب تنزيهه من النقائص والأمثال، وسورة ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ فيها إيجاب عبادته وحده [لا شريك له،] والتبرىء من عبادة كل ما سواه.

ولا يتمّ أحد التوحيدَيْن إلا بالآخر، ولهذا كان النبي ﷺ يقرأ بهاتين السورتين في سُنَّةِ الفجر والوتر[1]. اللتَيْنِ هما فاتحة العمل وخاتمته ليكون مبدأ النهار توحيداً وخاتمته توحيداً.

فالتوحيد العلمي الخبري له ضدّان: التعطيل والتشبيه والتمثيل، فَمَنْ نَفَى صِفَاتِ الرَّبِ تعالى وَعَطَّلَهَا كذَّب تَعْطِيْلُهُ تَوْحِيْدَهُ، وَمَنْ شَبَّهَهُ بخلقه وَمَثَّلَهُ بِهِمْ كَذَّبَ تَشْبِيْهُهُ وتَمْثِيْلُهُ تَوْحِيْدَهُ.

---

(١) أخرج مسلم رقم (٧٢٦)، وأبوداود رقم (١٢٥٦)، والنسائي ٢/١٥٥ و ١٥٦، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قرأ في ركعتي الفجر ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ و ﴿قل هو الله أحد﴾.
وأخرج أبو داود رقم (١٤٢٤)، والترمذي رقم (٤٦٣) من حديث عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في الأولى بـ ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾، وفي الثانية بـ ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ وفي الثالثة بـ ﴿قل هو الله أحد﴾ والمعوذتين. وهو حديث صحيح.

والتوحيد الإرادي العملي له ضدّان أيضاً: الإعراض عن محبته والإنابة إليه والتوكل عليه، والإشراك به في ذلك، واتخاذ أوليائه شفعاء من دونه. وقد جمع سبحانه وتعالى بين التوحيدين في غير موضع من القرآن.

فمنها: قوله تعالى: ﴿يا أيُّها النّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الّذِي خَلَقكُم والّذينَ مِنْ قَبْلِكُم لعَلّكُم تَتَّقُونَ * الّذي جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ فِرَاشاً والسَّماءَ بِنَاءً وأنْزَلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً فأخْرَجَ بِهِ منَ الثَّمراتِ رِزْقاً لَكُمْ فلاَ تَجْعَلُوا لِلهِ أنْداداً وأنْتُمْ تَعْلَمُون﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢].

ومنها: قوله تعالى: ﴿اللهُ الّذي جَعَلَ لَكُم الليْلَ لتَسْكُنُوا فيهِ والنّهارَ مُبْصراً، إنَّ اللهَ لذُو فَضْلٍ على النّاسِ ولكنّ أكثرَ النّاس لا يشْكرون * ذلكُم اللهُ ربُّكُم خالقُ كلّ شيء لا إلَه إلاَّ هُو فأنّى تُؤفكُون * كذلكَ يُؤفك الّذينَ كَانُوا بآياتِ اللهِ يَجْحَدُونَ * اللهُ الّذي جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ قراراً والسّماء بِنَاءً وصوّركُم فأحْسَنَ صُوَركُم ورَزَقَكُم مِنَ الطَّيِّبات ذلكُمُ اللهُ ربُّكُمْ فَتَبارَكَ اللهُ ربُّ العالمين * هُو الحيُّ لا إلَه إلاَّ هُو فادْعُوه مُخْلِصِينَ لهُ الدِّينَ، الحمدُ للهِ ربِّ العالمين﴾ [غافر: ٦١ - ٦٥].

ومنها: قوله تعالى: ﴿اللهُ الّذي خَلَقَ السّمواتِ والأرْضَ ومَا بيْنَهُما في ستّةِ أيّامٍ ثمّ اسْتوى على العَرْش مَا لَكُم مِنْ دونِهِ منْ وليٍّ ولاَ شَفيعٍ أفلاَ تَتَذَكّرون * يُدَبِّر الأمْرَ مِنَ السّماء إلى الأرضِ ثمّ يَعْرُجُ إليهِ في يومٍ كانَ مقْداره ألفَ سَنَةٍ ممّا تعُدُّون * ذلكَ عالِمُ الغَيْبِ والشّهادةِ العَزيزُ الرّحيمُ﴾ [السجدة: ٤ - ٦].

وتأمَّل ما في هذه الآيات من الرد على طوائف المعطِّلين والمشركين فقوله: ﴿خَلَق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾ [السجدة: ٤] يتضمن إبطال قول الملاحدة القائلين: بقدم العالم وإنه لم يزل، وإن الله سبحانه لم يخلقه بقدرته ومشيئته، ومن أثبت منهم وجود الرب جعله لازماً لذاته أزلاً وأبداً

غير مخلوق، كما هو/ قول ابن سينا والنصير الطوسي وأتباعهما من الملاحدة ١٦/ب الجاحدين، لما اتفقت عليه الرسل عليهم الصلاة والسلام والكتب، وشهدت به العقول والفطر.

وقوله تعالى: ﴿ثم استوى على العرش﴾ [السجدة: ٤] يتضمن إبطال قول المعطلة والجهمية الذين يقولون: ليس على العرش شيءٌ سوى العَدَم. وإن الله ليس مستوياً على عرشه. ولا تُرْفَعُ إليه الأيدي. ولا يَصْعَدُ إليه الكلم الطيب. ولا رُفِعَ المسيحُ عليه الصلاة والسلام إليه. ولا عُرِجَ برسوله محمد ﷺ، ولا تَعْرُجُ الملائكةُ والروحُ إليه. ولا ينزل من عنده جبريلُ عليه الصلاة والسلام ولا غيرُه، ولا ينزل هو كل ليلة إلى السماء الدنيا ولا يخافه عبادُه من الملائكة وغيرهم من فوقهم. ولا يراه المؤمنون في الدار الآخرة عياناً بأبصارهم مِنْ فَوْقِهِمْ. ولا تجوز الإشارة إليه بالأصابع إلى فوق كما أشار إليه النبي ﷺ في أعظم مجامعه في حجة الوداع، وجعل يرفع أصبعه إلى السماء وينكبها إلى الناس ويقول: «اللهم اشهد»(١).

قال شيخ الإسلام: وهذا كتاب الله من أوّله إلى آخره وسنّة رسوله ﷺ وعامة كلام الصحابة والتابعين وكلام سائر الأئمة مملوء بما هو نص أو ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى فوق كل شيء، وإنه فوق العرش فوق السموات مستوٍ على عرشه مثل قوله تعالى: ﴿إليْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ والعَمَلُ الصَّالح يُرْفعه﴾ [فاطر: ١٠]. وقوله تعالى: ﴿إذْ قَالَ الله يا عيسى إنِّي مُتوفِّيكَ ورافعك إليَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]. وقوله تعالى: ﴿بَلْ رفَعَهُ الله إلَيْه﴾. [النساء: ١٥٨]. وقوله تعالى: ﴿ذي المَعَارجِ * تَعْرُجُ المَلاَئِكَةُ والرُّوحُ إلَيْه﴾ [المعارج: ٣-٤]. وقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السّماءِ إلى الأَرْضِ ثمَّ يَعْرُجُ إلَيْه﴾ [السجدة: ٥]. وقوله تعالى:

---

(١) قطعة من حديث أخرجه مسلم رقم (١٢١٨)، وأبوداود رقم (١٩٠٥)، والنسائي ١٤٣/٥، وابن ماجه رقم (٣٠٧٤)، وأحمد ٧٣/٥، والدارمي رقم (١٨٥٧)، من حديث جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما.

﴿يَخافُونَ رَبَّهُم مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]. وقوله تعالى: ﴿هُوَ الّذي خَلَقَ لَكُمْ ما في الأَرْضِ جَميعاً ثمّ اسْتَوى إلى السّماء فَسَوّاهُنّ سَبْعَ سَمَواتٍ﴾ [البقرة: ٢٩]. وقوله تعالى: ﴿إنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الّذي خَلَقَ السّموات والأرْضَ في سِتّةِ أَيّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يُغْشِي اللّيْلَ النّهارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً والشّمسَ والقَمَرَ والنُّجُومَ مُسَخّراتٍ بأمْرِهِ، أَلَا لَهُ الخَلْقُ والأَمْرُ تَبارَكَ اللهُ ربُّ العالمينَ * ادْعُوا رَبَّكُم تَضَرُّعاً وخُفْيَةً إنّهُ لا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤ ـ ٥٥]. وقوله تعالى: ﴿إنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الّذي خَلَقَ السّمواتِ والأرْضَ في سِتّةِ أيّامٍ ثمّ استوى على العَرْشِ يُدَبِّرُ الأمْرَ مَا مِنْ شَفيعٍ إلاّ مِنْ بَعْدِ إذْنِهِ ذلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣]. فذكر التوحيدين في هذه الآية. وقوله تعالى: ﴿تَنْزِيلاً ممّنْ خَلَقَ الأرْضَ والسّمواتِ العُلى * الرّحْمَنُ على العَرْشِ اسْتوى﴾ [طه: ٤ ـ ٥]. وقوله تعالى: ﴿وتَوكَّلْ عَلَى الحَيِّ الّذي لا يَموتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عبادِهِ خَبيراً * الَّذي خَلَقَ السَّمواتِ والأرْضَ ومَا بيْنَهُما في سِتّةِ أيّامٍ ثم اسْتَوَى على العَرْشِ، الرّحْمَنُ فاسْئَلْ بِهِ خبيراً﴾ [الفرقان: ٥٨ ـ ٥٩].

١٧/أ وقوله تعالى: ﴿هُوَ الّذي خَلَقَ/ السّمواتِ والأرْضِ في سِتّةِ أيّامٍ ثمّ اسْتَوى على العَرْشِ يعْلَمُ ما يلجُ في الأرضِ وما يخرجُ مِنْها وما ينْزِلُ منَ السّماءِ وما يعْرجُ فيها وهُو مَعَكُم أينَما كُنْتُم والله بما تعْلَمونَ بصير﴾ [الحديد: ٤]. فذكر عموم علمه، وعموم قدرته، وعموم إحاطته، وعموم رؤيته.

وقوله عز وجل: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمواتِ وَالأرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّة أَيَّامٍ ثم اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ مَا لَكُم مَنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ ولا شَفيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ * يُدَبِّرُ الأمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلى الأرْضِ ثُمَّ يَعْرِجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٤ ـ ٥]. وقوله تعالى: ﴿أأمِنْتُمْ مَنْ في السّماءِ أنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فإذا هِيَ تَمُور * أمْ آمِنْتُمْ مَنْ في السّماءِ أن يُرْسِلَ عَلَيْكُم حَاصِباً فَسَتعْلَمُونَ كيْفَ نَذير﴾ [الملك: ١٦]. وقوله تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ منْ حَكِيمٍ

حَمِيد﴾ [فصلت: ٤٥]. وقوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللهِ العَزِيزِ الحَكِيم﴾ [الزمر: ١]. وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَونُ يا هامانُ ابنِ لي صَرْحاً لعلِّي أبْلغ الأسْباب * أسْبابَ السّمواتِ فاطَّلِعَ إلى إلَهِ مُوسى وإنِّي لأظُنّه كاذباً﴾ [غافر: ٣٦ - ٣٧].

قال أبو الحسن الأشعري: وقد احتج بهذه الآية على الجهمية، فكذّب فرعون موسى عليه السلام في قوله: إن الله فوق السماء[1]، وسيأتي [إن شاء الله تعالى حكاية] كلامه بحروفه.

وقال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إذا فُزِع عَن قُلُوبِهم قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُم قَالُوا الحَقَّ وَهُوَ العليُّ الكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣] وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذي فِي السَّمَاءِ إلَهٌ وفِي الأَرْضِ إلَهٌ وَهُوَ الحَكيمُ العَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٨٤] وقال الله تعالى: ﴿وَهُو الغَفُورُ الوَدُودُ * ذُو العَرْشِ المَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥ ـ ١٦]. وقال: ﴿فَالحُكْمُ للهِ العَلِيِّ الكَبِير﴾ [غافر: ١٢].

أقوال رسل الله والسفراء بينه وبين خلقه وأعرف الخلق به وأعظمهم تنزيهاً له.

وقد اتفقت كلهم من أولهم إلى آخرهم على أن الله فوق سمواته عالٍ على خلقه، مستوٍ بذاته على عرشه، قال الشيخ أبو محمد عبد القادر الجيلي: وعلو الله على خلقه فوق سمواته في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل.

*** قول آدم أبو البشر عليه السلام:**

ذكر عكرمة ووهب عن ابن عباس قال: اهبط الله آدم إلى الأرض وقال له: سَأُبَوِّئُكَ بيتاً أخصه بكرامتي وادخره لنفسي، ولست أسكنه وليس ينبغي له أن يسعني ولا يحملني ولكن على كرسي الكبرياء والجبروت، وهو الذي يستقل

(١) «الإبانة عن أصول الديانة» بتحقيقنا ص ٩٧.

بعزتي، وهو الذي وضعت عليه عظمتي وجلالي وهنالك استقر قراري، وهو بعد ضعيف عني لولا قوتي.

* **قول داود عليه السلام:**

قال أحمد بن شيبان: حدثنا جعفر قال: سمعت كاتباً يقول: كان داود
١٧/ب يطيل الصلاة من الليل/ فيركع الركعة ثم يرفع رأسه فينظر إلى أديم السماء ثم يقول: إليك رفعت رأسي يا عامر السماء.

وقال ابن منيع: حدثنا علي بن مسلم قال: حدثنا شيبان بن حاتم قال: حدثنا جعفر بن سليمان قال: حدثنا ثابت قال: كان داود يطيل الصلاة ثم يركع ثم يرفع رأسه فيقول: إليك رفعت رأسي يا عامر السماء، نظر العبيد إلى أربابها.

وقال أحمد: حدثنا أبو عمر الصديد حدثنا: حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الله الجدلي قال: ما رفع داود عليه السلام رأسه إلى السماء بعد ما أصاب الخطيئة حتى مات.

وقال سليمان بن حرب: حدثنا حماد بن سلمة حدثنا عطاء بن السائب عن أبي عبد الله الجدلي قال: ما رفع داود رأسه إلى السماء بعد الخطيئة حياءً من ربه عز وجل.

* **قول إبراهيم الخليل عليه السلام:**

قرأت بخط الماوزي: أن الله أوحى إلى خليله إبراهيم: أنا ذو الغنى عن جميع خلقي، أفيض برحمتي من أشاء، وبيدي الفضل والجود والكرم، ورحمتي وسعت كل شيء علماً، وأنا خلقت الغيرة وأنا غيور، فاحذر أن اطلع من فوق عرشي إلى قلبك فأراه معرضاً عني مشغولاً بغيري، فأمحو اسمك من ديوان أهل محبتي، وكن والهاً بذكري مشغولاً بجلالي، لا يخفي عليَّ شيء في الأرض ولا في السماء، الخفي عندي جهير.

* **قول يوسف عليه السلام:**

قال وهب بن منبه: قالت امرأة العزيز ليوسف: ادخل معي القيطون ـ يعني الستر ـ فقال: إن القيطون لا يسترني من ربي.

* **قول موسى عليه السلام:**

قال أحمد: حدثنا عبد الرحمن عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عطاء بن يسار قال: قال موسى: يا رب من أهلك الذين تظلهم في ظل عرشك، قال: هم التربة أيديهم، الطاهرة قلوبهم، الذين يتحابون بجلالي، الذين إذا ذكرت ذكروا بي، واذا ذكروا ذكرت بذكرهم، الذين يسبغون الوضوء في المكاره، وينيبون إلى ذكري كما يثب النسور إلى وكورها، ويكلفون بحبي كما يكلف الصبي بحب الناس، ويغضبون لمحارمي اذا استحلت، كما يغضب النمر إذا جرد.

* **قول نبينا محمد سيد الأولين والآخرين ﷺ:**

ثبت في الصحيحين[1]، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خَلَقَ الله الخلقَ كتبَ في كتابه فهو عنده فوقَ العرش: إنَّ رحمتي تغلب غضبي». وفي لفظ آخر «كتب في كتابه على نفسه فهو موضوع عنده: إنّ رحمتي تغلب غضبي». وفي لفظ: «وهو وضعٌ عنده على العرش». وفي لفظ: «وهو مكتوب عنده فوق العرش». وهذه الألفاظ كلها في «صحيح البخاري».

وحديث المعراج[2]/ وهي متواترة، وتجاوز النبي ﷺ السموات سماء ١٨/أ

---

(١) البخاري رقم (٣١٩٤) و(٧٤٠٤) و(٧٤٢٢) و(٧٤٥٣) و(٧٥٥٣) و(٧٥٥٤)، ومسلم رقم (٢٧٥١)، والترمذي (٣٥٣٧)، وابن ماجه رقم (١٨٩) و(٤٢٩٥)، وأحمد ٢٥٨/٢ و٢٦٠ و٣١٣ و٣٥٨ و٣٨١ و٣٩٧.

(٢) البخاري رقم (٣٢٠٧) في بدء الخلق: باب ذكر الملائكة وفي كتب أخرى، ومسلم رقم

سماء، حتى انتهى إلى ربه تعالى فقربه وأدناه وفرض عليه الصلوات خمسين صلاة، فلم يزل بين موسى عليه السلام، وبين ربه تبارك وتعالى، وينزل من عند ربه تعالى إلى عند موسى، فيسأله كم فرض عليك؟. فيخبره، فيقول: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فيصعد إلى ربه فيسأله التخفيف.

وفي «صحيح مسلم»[1]، عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات، فقال: «إنَّ الله لا ينامُ ولا ينبغي له أنْ ينامَ، يخفضُ القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».

وفي «مسند الحارث بن أبي أسامة»[2] حديث أبي قرة، عن مالك، عن زياد بن سعد، حدثنا أبو الزبير، قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة جمعت الأمم ودعي كل أناس بإمامهم فجئنا أخر الناس، فيقول قائل الناس: من هذه الأمة؟ قال: ويشرف إلينا الناس، فيقال: هذه الأمة الأمينة هذه أمة محمد وهذا محمد في أمته، فينادي منادٍ: أنكم الآخرون الأولون، قال: فنأتي فنتخطى رقاب الناس حتى نكون أقرب الناس إلى الله منزلة، ثم تدعى الناس كل أناس بإمامهم، فتدعى اليهود فيقال: من أنتم؟ فيقولون: نحن اليهود، فيقال: من نبيكم؟ فيقولون: نبينا موسى، فيقول: ما كتابكم، فيقولون: كتابنا التوراة، فيقول: ما تعبدون؟ فيقولون: نعبد عزير أو نعبد الله، فيقول الملأ حولهم: اسلكوا بهم في جهنم، ثم تدعى النصارى فيقول: من أنتم؟ فيقولون: نحن النصارى، فيقول من

---

(١٦٤) في الإيمان: باب الإسراء برسول الله ﷺ من حديث أنس رضي الله عنه. انظر ما قاله الحافظ في الفتح» ٢٠٣/٧ في وقت الاسراء والمعراج.

(١) تقدم تخريجه ص (١٥) برقم (١).

(٢) لم أجده في «المطالب العالية».

نبيكم؟ فيقولون: نبينا عيسى. فيقول: ما كتابكم؟ فيقولون: كتابنا الانجيل، فيقول: ما تعبدون؟ فيقولون: نعبد المسيح عيسى، فيقول لعيسى: ﴿يا عيسى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله؟ قال: سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب * ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم. فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد * إنْ تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾[المائدة: ١١٦ - ١١٨] ثم يدعى كل أناس بإمامهم وما كانوا يعبدون، ثم يصرخ الصارخ: أيها الناس من كان يعبد إلهاً فليتبعه تقدمهم إلهتهم منها الخشب والحجارة/ ومنها الشمس والقمر، ومنها الرجال، ١٨/ب حتى يبقى المسلمون، فيقف عليهم فيقول: من أنتم؟ فيقولون: نحن المسلمون، قال: خير اسم وخير داعية، فيقول: من نبيكم؟ فيقولون: محمد، فيقول: ما كتابكم؟ فيقولون: القرآن، فيقول: ما تعبدون؟ فيقولون: نعبد الله وحده لا شريك له، قال: سينفعكم ذلك إن صدقتم، قالوا هذا يومنا الذي وعدنا، فيقول: أتعرفون الله إن رأيتموه؟ فيقولون: نعم، فيقول: وكيف تعرفونه ولم تروه؟ فيقولون: نعلم أنه لا عدل له، قال: فتجلى لهم تبارك وتعالىٰ، فيقولون: أنت ربنا تباركت أسماؤك، ويخرون له سجداً، ثم يمضي النور بأهله».

وذكر البخاري في كتاب التوحيد في «صحيحه» [1] حديث أنس - رضي الله عنه - حديث الإسراء وقال فيه: «ثم علا به - يعني جبرائيل - فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله، حتى جاوز سدرة المنتهى، ودنا الجبار رب العزة فتدلى،

---

(١) البخاري رقم (٧٥١٧) في التوحيد: باب ما جاء في ﴿وكلم الله موسىٰ تكليماً﴾.

فكان قاب قوسين أو أدنا، فأوحى الله[1] فيما أوحى إليه خمسين صلاة كل يوم وليلة، ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه فقال: يا محمد! ماذا عهد إليك ربك؟ قال: «عهد إليَّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة»، قال: إنّ أمتك لا تستطيع ذلك، فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم، فالتفت النبي ﷺ إلى جبرائيل كأنه يستشيره في ذلك، فأشار إليه جبريل: أن نعم إن شئت، فعلا به إلى الجبار تبارك وتعالى، فقال وهو مكانه: «يا رب خفف عنا» وذكر الحديث.

وفي «الصحيحين»[2] من حديث الأعمش عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قال رسول ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر».

وفي «الصحيحين»[3]، عن الأعرج، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنَّ رسول الله ﷺ قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلّون وأتيناهم وهم يصلّون».

ولما حكم سعدُ بن معاذ - رضي الله عنه - في بني قُريظة بأن تُقتل مقاتلهم، وتُسبى ذريتهم، وتغنم أموالهم، قال له النبي ﷺ: «لقد حكمت فيهم

(١) هو مما تفرد به شريك، وعد من أوهامه، رواه مسلم رقم (٤٩) في الإيمان: باب النهي عن المنكر، وأحمد في «المسند» ٣/١٠ و٢٠ و٥٣ و٥٤ و٩٢، والترمذي رقم (٢١٧٣) في الفتن: باب ما جاء في تغيير المنكر باليد، وأبوداود رقم (١١٤٠) في صلاة العيدين: باب الخطبة بعد العيد، ورقم (٤٣٢٠) في الملاحم: باب الأمر بالنهي، والنسائي ٨/١١١ في الإيمان: باب تفاضل أهل الإيمان، وابن ماجه رقم (٤٠١٣) في الفتن: باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
والرواية الأخيرة: رواها مسلم رقم (٥٠) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) مسلم رقم (١٠٧)، والنسائي ٥/٨٦، وأحمد ٢/٤٨٠، ولم يروه البخاري كما قال المصنف رحمه الله تعالى.

(٣) البخـاري رقم (٥٥٥)، ورقم (٣٢٢٣)، و(٧٤٢٩) و(٧٤٨٦)، ومسلم رقم (٦٣٢)، والنسائي ١/٢٤٠ - ٢٤١، وأحمد ٢/٢٥٧ و٣١٢ و٤٨٦.

بحكم الملك من فوق سبعة أرقعة». وفي لفظ: «من فوق سبع سموات»[٤].
وأصل القصة في الصحيحين[١]،/ وهذا السياق لمحمد بن إسحاق في ١٩/أ «المغازي».

وفي «الصحيحين»[٢]، من حديث أبي سعيد ـ رضي الله عنه ـ قال: بعث علي ابن أبي طالب إلى النبي ﷺ بذُهَيبةٍ في أديم مقروظ لم تحصَّلْ من ترابها قال: فقسمها بين أربعة: بين عيينة بن بدر، والأقرع بن حابس، وزيد الخيل، [والرابعُ إما علقمة، وإما عامر بن الطفيل]. فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحقَّ بهذا من هؤلاء. فبلغ النبي ﷺ فقال: «ألا تأمنوني وأنا أمينُ مَنْ في السماء، يأتيني خبرُ السماء مساءً وصباحاً».

وفي «الصحيحين»[٣] من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض» وفي لفظٍ لمسلم: «إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إني أحب فلاناً فأحبه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فتحبه أهل السماء، قال: ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلاناً فأبغضه، قال: فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه، ثم يوضع له البغضاء في الأرض».

---

(٤) قال الألباني في تخريج «مختصر العلو» ص ٨٧: اسناده حسن.

(١) البخاري رقم (٣٠٤٣) و(٣٨٠٤) و(٤١٢١) و(٦٢٦٢)، ومسلم رقم (١٧٦٨)، وأبوداود (٥٢١٥ و٥٢١٦) وأحمد ٢٢/٣ و٧١ و٣٥٠، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) البخاري رقم (٣٣٤٤) وفي أبواب كتب أخرى، ومسلم رقم (١٠٦٤)، و«الموطأ» ١/ ٢٠٤ و٢٠٥، وأبو داود (٤٧٦٤)، والنسائي ٨٧/٥، وأحمد ٤/٣ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) البخاري (٣٢٠٩) و(٦٠٤٠) و(٧٤٨٥)، ومسلم رقم (٢٦٣٧)، و«الموطأ» ٩٥٣/٢، والترمذي (٣١٦٠)، وأحمد ٢٦٧/٢ و٣٤١ و٤١٣ و٤٨٠ و٥٠٩ و٥١٤.

وفي «صحيح مسلم»[1] من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظل يوم لا ظل إلا ظلي».

وفي «صحيح مسلم»[2]، عن معاوية بن الحكم السلمي - رضي الله عنه - قال: لطمت جارية لي، فأخبرت رسول الله ﷺ، فعظم ذلك عليَّ، فقلت: يا رسول الله! أفلا أعتقها؟ قال: «بلى ائتني بها» قال: فجئت بها رسولَ الله ﷺ فقال لها: «أين الله»؟. قالت: في السماء. قال: «فمن أنا؟». قالت: أنت رسول الله. قال: «أعتقها فإنها مؤمنة».

وفي «صحيح البخاري»[3]، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كانت زينب - رضي الله عنها - تفتخر على أزواج النبي ﷺ وتقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سموات.

وفي «سنن أبي داود»[4]، من حديث جبير بن مطعم، قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! نهكت الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال، استسق لنا ربك، فإنّا نستشفع بالله عليك وبك على الله، فقال النبي ﷺ: «سبحان الله، سبحان الله» فما زال يسبّح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، فقال: «ويحك، أتدري ما الله؟ إنّ شأنه أعظم من ذلك، إنّه لا يستشفع به على أحد من خلقه، إنه لفوق سمواته على عرشه، وإنه عليه لهكذا، وانه ليئط/به أطيط الرحل بالراكب». ١٩/ب

---

(١) مسلم رقم (٢٥٦٦)، و«الموطأ» ٢/٩٥٢، وأحمد ٢/ ٢٣٧ و٣٣٨ و٣٧٠ و٤٣٩ و٥٢٣ و٥٣٥ والدارمي رقم (٢٧٦٠).

(٢) مسلم رقم (٥٣٧)، وأبوداود رقم (٩٣٠)، والنسائي ٣/١٤ - ٩١، وأحمد ٥/٤٤٧ و٤٤٨.

(٣) البخاري رقم (٤٧٨٧) و(٧٤٢٠)، والترمذي رقم (٣٢١٠) و(٣٢١٢)، والنسائي ٦/٨٠، وأحمد ٣/٢٢٦، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) أبوداود رقم (٤٧٢٦)، وابن أبي عاصم رقم (٥٧٥) واسناده ضعيف.

وفي «سنن أبي داود» أيضاً، و«مسند الإمام أحمد»[1] من حديث العباس ابن عبد المطلب ـ رضي الله عنه ـ قال: كنت في البطحاء في عصابة، وفيهم رسول الله ﷺ، فمرت سحابة، فنظر إليها فقال: «ما تسمون هذه؟ قالوا: السحاب. قال: «والمزن» [قالوا والمزن.] قال: «والعنان». قالوا: والعنان. قال: «هل تدرون [ما] بعد ما بين السماء والأرض». قالوا: لا ندري. قال: «إنّ بُعْدَ ما بينهما إما واحدة وإما إثنتان أو ثلاث وسبعون سنة، ثم السماء فوقها كذلك حتى عدَّ سبع سموات، ثم فوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهم العرش، أسفله وأعلاه، [مثل] ما بين سماء إلى سماء. ثم الله ـ عز وجل ـ فوق ذلك». زاد أحمد: وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم.

وفي «سنن أبي داود»[2] أيضاً، عن فضالة بن عبيد، عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من اشتكى منكم أو اشتكى أخٌ له، فليقل: ربنا الله الذي في السماء تقدّس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء، اجعل رحمتك في الأرض، أنت رب الطيبين اغفر لنا حوبنا وخطايانا، وأنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ».

وفي «مسند الإمام أحمد»[3]، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رجلاً أتى النبي ﷺ بجارية سوداء أعجمية، فقال: يا رسول الله! إنَّ عليَّ رقبة مؤمنة،

---

(١) أبوداود رقم (٤٧٢٤)، والترمذي رقم (٣٣٢٠)، وابن ماجه رقم (١٩٣)، وأحمد ١/٣٠٦ـ ٣٠٧، وابن أبي عاصم رقم (٥٧٧)، واسناده ضعيف.

(٢) أبوداود رقم (٣٨٩٢)، وأحمد ٦/٢١، والحاكم ١/٣٤٤، وفي اسناده زيادة بن محمد الأنصاري، وهو منكر الحديث.

(٣) أحمد ٢/٢٩١، وهو حديث صحيح.

فقال لها رسول الله ﷺ: «أين الله؟» فأشارت بأصبعها إلى السماء. فقال لها: «من أنا؟» فأشارت بأصبعها إلى رسول الله ﷺ وإلى السماء أي أنت رسول الله، فقال: «اعتقها».

وفي «جامع الترمذي»[1]، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ أنّ رسول الله ﷺ قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا مَنْ في الأرض يرحمكم مَنْ في السماء». قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وذكر هشيم بن بشير السلمي عن مسروق عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال: «إن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، وإن الله تعالى يباهي بالعبد الملائكة إذا نام في سجوده، يقول للملائكة: انظروا إلى عبدي روحه عندي وجسده في عبادتي أشهدكم إني قد غفرت له»[2].

وقال قتيبة بن سعيد حدثنا نوح بن قيس قال: حدثني أبو هارون العبدي عن أبي سعيد/ الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «ليلة أسري بي انطلق بي إلى خلق من خلق كثير نساء معلقات بثديهن ومنهن بأرجلهن منكسات ولهن صراخ وخوار، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء اللواتي يزنين ويقتلن أولادهن ويجعلن لأزواجهن ورثة من غيرهم[3].

٢٠/ب

وفي «جامع الترمذي»[4] من حديث أسماء بنت عميس رضي الله عنها. قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الأعلى، بئس العبد عبد تخيل واختال ونسي الكبير المتعال».

---

(١) أبوداود رقم (٤٩٤١)، والترمذي رقم (١٩٢٥)، وأحمد ١٦٠/٣، والحاكم ٤ /١٥٩ وهو حديث صحيح. انظر «الأحاديث الصحيحة» رقم (٩٢٥).

(٢) في إسناده ضعف وانقطاع.

(٣) في إسناده أبو هارون العبدي وهو متروك.

(٤) الترمذي رقم (٢٤٥٠) في صفة القيامة: باب ١٧، واسناده ضعيف. وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وليس اسناده بالقوي. اهـ.

وفي «جامع الترمذي»[1] أيضاً، عن عمران بن حصين، قال: قال النبي ﷺ لأبي: «يا حصين كم تعبد اليوم إلهاً؟» قال أبي: سبعة، ستة في الأرض وواحد في السماء. قال: «فأيهم تعد لرغبتك ورهبتك؟» قال: الذي في السماء، قال: «يا حصين! أما إنك لو أسلمت لعلمتك كلمتين تنفعانك» قال: فلما أسلم حصين قال: يا رسول الله! علمني الكلمتين اللتين وعدتني، قال: «قل: اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي».

وفي «صحيح مسلم»[2]، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده ما منْ رَجُل يْدعُو امرأتَهُ إلى فراشها فتأبى عليْه إلاَّ كَانَ الذي في السّماء سَاخطاً عليْها حتى يَرْضى عنها».

وذكر عثمان بن سعيد الدارمي أن أبا بردة بن أبي موسى الأشعري: أن عمر بن عبد العزيز قال: حدثنا أبو موسى أن رسول الله ﷺ قال: «يجمع الله الأمم يوم القيامة في صعيد واحد، فإذا بدا له أن يصدع بين خلقه مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون فيتبعونهم حتى يقحمونهم النار، ثم يأتينا ربنا ونحن في مكان فيقول: من أنتم، فنقول: نحن المؤمنون، فيقول: ما تنتظرون؟ فنقول: ننتظر ربنا، فيقول: من أين تعلمون أنه ربكم؟ فنقول: حدثنا الرسل أو جاءتنا الرسل، فيقول: هل يعرفونه؟ فيقولون: نعم أنه لا عِدْلَ له، فيتجلى لنا ضاحكاً، ثم يقول: ابشروا معشر المسلمين فإنه ليس منكم أحد إلا قد جعلت مكانه في النار يهودياً أو نصرانياً» فقال عمر لأبي بردة: الله لقد سمعت أبا موسى

(١) الترمذي (٣٤٧٩)، وقال الألباني في «تخريج المشكاة» رقم (٢٤٧٦): حديث ضعيف.
قال المباركفوري في «التحفة» ٩/ ٤٥٥: وهذا الحديث من جوامع الكلم النبوية، لأن طلب إلهام الرشد يكون به السلامة من كل ضلالة، والاستعاذة من شر النفس يكون لها السلامة من غالب معاصي الله سبحانه وتعالى، فإن أكثرها من جهة النفس الأمارة بالسوء. اهـ.

(٢) البخاري رقم (٣٢٣٧) و(٥١٩٣) و(٥١٩٤)، ومسلم رقم (١٤٣٦)/(١٢١) و(١٢٢)، وأبوداود رقم (٢١٤١)، وأحمد ٢/ ٤٣٩ و٤٨٠.

يحدث بهذا الحديث عن رسول الله ﷺ، قال: أي والله الذي لا إله إلا هو، لقد سمعت أبـا بكرة عن رسول الله ﷺ غير مرة ولا مرتين ولا ثلاثاً، فقال عمر ابن عبد العزيز: ما سمعت في الإسلام حديثا هو أحب إليَّ منه[1].

وروى الشافعي في «مسنده»[2]، من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: أتىٰ جبريل بمرآة بيضاء فيها نكتة سوداء/إلى النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: ما هذه [يا جبريل؟] قال: هذه الجمعة فضّلت بها أنت وأمتك، فالناس لكم تبع: اليهود والنصارى، ولكم فيها خير، وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله بخير إلا استجيب له، وهو عندنا يوم المزيد، فقال النبي ﷺ: «يا جبريل! وما يوم المزيد؟ فقال: إن ربك اتخذ في الجنة وادياً أفيح فيه كثب من مسك، فإذا كان يوم الجمعة، أنزل الله تبارك وتعالى ما شاء من ملائكته، وحوله منابر من نور، عليها مقاعد النبيين، وحفَّ تلك المنابر بمنابَر من ذهب، مكللة بالياقوت والزبرجد، عليها الشهداء والصديقون، فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب، فيقول الله ـ عز وجل ـ: أنا ربكم قد صدقتكم وعدي فاسألوني أعطكم. فيقولون: ربنا، نسألك رضوانك، فيقول: قد رضيت عنكم ولكم ما تمنيتم ولدي مزيد. فهم يحبّون يومَ الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير، وهو اليوم الذي استوى فيه ربكم سبحانه وتعالى على العرش، وفيه

٢٠/أ

(١) الدارمي في «الرد على الجهمية» رقم (١٨٠)، وأحمد ٤/٤٠٧ و٤٠٨، من طريق حماد ابن سلمة، ثنا علي بن زيد، عن عمارة القرشي عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه، قال في «الأحاديث الصحيحة» رقم (٧٥٥): وهذا إسناده ضعيف، عمارة هذا لم أعرفه، وقول: «بدا الله» منكر، وعلي بن زيد وهو ابن جدعان ضعيف الحفظ، لكن الحديث صحيح في الجملة وللحديث شواهد. انظر «الأحاديث الصحيحة» رقم (٧٥٥)، و(٧٥٦).

(٢) أبو يعلى في «مسنده» (٤٢٢٨). وإسناده صحيح. وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» ٦/١٠٨ إلى الشافعي في «الأم» وإلى أبي الدنيا في «صفة الجنة»، وابن أبي شيبة والبزار وأبو يعلى، وابن جرير وابن المنذر والطبراني في «الأوسط» وابن مردويه والآجري في «الشريعة» والبيهقي في «الرؤية» وأبو نصر السجري في «الإبانة» من طرق جيدة. اهـ. انظر «مجمع الزوائد» ١٠/٤٢١ ـ ٤٢٢ و«المطالب العالية» ١/١٥٧ ـ ١٥٩.

تقوم الساعة. ولهذا الحديث عدة طرق جمعها أبو بكر بن أبي داود في جزء.

وفي «سنن ابن ماجه»[1] من حديث جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور، فرفعوا رؤوسهم، فإذا الرب تبارك وتعالى قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة. [قال:] وذلك قوله تعالى: ﴿سَلامٌ قَوْلاً من رَبٍّ رَحيم﴾ [يس: ٥٨] قال: فينظر إليهم وينظرون إليه، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه، حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم».

وفي «الصحيحين» من[2] حديث أبي صالح، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تصَدَّقَ بعَدْل تمْرة منْ كَسِب طَيِّبٍ ـ ولا يَصْعد إلى الله إلاَّ الطيب ـ فإنَّ الله يتقبّلها بيمينهِ ثمَّ يربِّيها لصاحبها كما يربِّي أحدُكُم فُلُوَّهُ حتى تكون مثل الجبل».

وفي «صحيح ابن حبان»[3]، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «إنَّ ربّكم حي كريم يسْتحي من عبْده إذا رفعَ إليهِ يديه أنْ يردَّهما صِفراً».

وروى ابن وهب قال: أخبرني سعيد بن أبي أيوب، عن زهرة بن معبد عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أخبره أنه سمع عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ

---

(١) ابن ماجه رقم (١٨٤)، وأبو نعيم في «الحلية» ٦/٢١٨ ـ ٢٠٩، والبزار رقم (٢٢٥٣) وفي إسناده أبو عاصم العباداني، وإسمه عبد الله بن عبيد الله، وهو لين الحديث، وشيخه فيه الفضل بن عيسى الرقاشي، وهو منكر الحديث.

(٢) البخاري رقم (١٤١٠)، ورقم (٧٤٣٠)، ومسلم رقم (١٠١٤)، و«الموطأ» ٢/٩٩٥، والترمذي رقم (٦٦١ و ٦٦٢)، والنسائي ٥/٥٧، وأحمد ٢/٣٣١ و ٣٨١ و ٤١٨ و ٤١٩ و ٤٣١ و ٤٧١ و ٥٣٨ و ٥٤١، والدارمي رقم (١٦٨٢)، وابن ماجه رقم (١٨٤٢).

(٣) أبوداود رقم (١٤٨٨)، والترمذي رقم (٣٥٥١)، وابن ماجه رقم (٣٨٦٥)، وصححه ابن حبان رقم (٢٣٩٩و٢٤٠٠)، وهو حديث صحيح.

يقول: قال رسول الله ﷺ: «مَن توضّأ فأحْسَنَ وضوءه ثم رفَعَ نَظَره إلى السّماءِ فقال: أشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ لَهُ/ [وأشْهدُ] أنَّ محمداً عَبْده ورسوله فُتحَتْ لهُ ثمانيةُ أبواب الجنة يدخلُ من أيِّها شاء»[1]. ٢١/أ

وفي حديث الشفاعة الطويل، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «فأدخل على ربي تبارك وتعالى وهو على عرشه...» وذكر الحديث[2].

وفي بعض ألفاظ البخاري في «صحيحه»[3]: «فاستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه...»

قال عبد الحق «في الجمع بين الصحيحين»: هكذا قال: «في داره» في المواضع الثلاث، يريد مواضع الشفاعات الثلاث التي يسجد فيها، ثم يرفع رأسه.

وروى يحيى بن سعيد الأموي في «مغازيه» من طريق محمد بن إسحاق قال: خرج عبد أسود لبعض أهل خيبر [حتى] جاء رسول الله ﷺ، فقال: من هذا؟ قالوا: رسول الله ﷺ، قال: الذي في السماء؟ قالوا: نعم. قال: أنت رسول الله؟ قال: نعم. قال: الذي في السماء؟ قال: نعم، فأمره رسول الله ﷺ بالشهادة، فتشهد، فقاتل حتى استشهد».

وروى عدي بن عميرة الكنـدي، عن علي ـ رضي الله عنه ـ أن

---

(١) أحمد ١٥١/٤، وإسناده ضعيف، ولكن قد صح الحديث دون رفع البصر أخرجه مسلم رقم (٢٣٤)، وأبو داود رقم (١٦٩) و(١٧٠)، والترمذي رقم (٥٥)، والنسائي ٩٢/١ ـ ٩٣.

(٢) قال في «العلو» ص ٣٢ ـ ٣٣: وأخرجه أبو أحمد العسال في «كتاب المعرفة» بإسناد قوي عن ثابت عن أنس، وفيه: «فآتي باب الجنة فيفتح لي، وآتي ربي تبارك وتعالى وهو على كرسيه أو سريره، فأخر له ساجداً...» وذكر الحديث.

(٣) البخاري رقم (٧٤٤٠)، وأحمد ٢٤٤/٣. انظر «جامع الأصول» رقم (٨٠٢٥).

رسول الله ﷺ حدّث عن ربّه - عز وجل - قال: «وعزّتي وجلالي وارتفاعي فوق عرشي ما من أهل قرية ولا بيت ولا رجل ببادية كانوا على ما كرهت من معصيتي، فتحوّلوا عنها إلى ما أحببت من طاعتي، إلّا تحوّلت لهم عمّا يكرهون من عذابي إلى ما يحبّون من رحمتي» رواه ابن أبي شيبة في كتاب العرش، وأبو أحمد العسال في كتاب المعرفة[1].

وصح عن أبي هريرة رضي الله عنه بإسناد مسلم قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ لِله ملائكةً سيارة يتبعون مجالسَ الذِّكر فإذا وجدوا مجلس ذكر جلسوا معهم، وإذا تفرقوا صعدوا إلى ربهم». وأصل الحديث في «صحيح مسلم» ولفظه «فإذا تفرقوا صعدوا إلى السماء، فيسألهم الله - عز وجل - وهو أعلم بهم - من أين جئتم؟» . . [2] الحديث.

وذكر الدارقطني في كتاب نزول الرب - عز وجل - كل ليلة إلى سماء الدنيا من حديث عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل الله كلَّ ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: ألا عبدٌ منْ عبادي يدعوني فأستجيب له، ألا ظالم لنفسه يدعوني فأفكّه، فيكون كذلك إلى مطلع الصبح، ويعلو على كرسيه»[3].

وعن جابر بن سليم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ رجلا ممّن كانَ قبْلَكم لَبسَ بُرْدَين فتبختر، فنظر الله إليه من فوق عرشه، فمقته فأمر الأرض فأخذته، فهو يتجلجل فيها»[4] ورواه الدارمي عن سهل بن بكار أحد شيوخ

---

(١) قال الذهبي في «العلو» ص ٥٣: اسناده ضعيف.

(٢) البخاري رقم (٦٤٠٨)، ومسلم رقم (٢٦٨٩)، والترمذي رقم (٣٥٩٥)، وأحمد ٢/٢٥٢ و ٣٥٩ و ٣٨٢.

(٣) «كتاب النزول» ص ٩٧، من طريق موسى بن عقبة عن اسحاق بن الوليد بن عبادة عن عبادة. قال في «العلو» ص (٥٣): اسحاق ضعيف لم يدرك جد أبيه.

(٤) ذكره في «العلو» ص ٣٦، وقال: إسناده لين، وللحديث طرق، وخرجه أبو داود وبعضه الترمذي. اهـ.

٢١/ب البخاري، وله شاهد في «صحيح البخاري»[(١)]/ من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

وعن عمران بن حصين ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «اقبلوا البشرى يا بني تميم» قالوا: بشرتنا فأعطنا. قال: «اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم» قالوا: قد بشرتنا فاقض لنا على هذا الأمر كيف كان، فقال: «كان الله ـ عز وجل ـ على العرش، وكان قبل كل شيء، وكتب في اللوح المحفوظ كل شيء يكون»[(٢)]. حديث صحيح أصله في البخاري.

وروى الخلال في «كتاب السنة» بإسناد صحيح على شرط البخاري، عن قتادة بن النعمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه»[(٣)].

وفي قصة وفاة النبي ﷺ من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لعلي رضي الله عنه: «إذا أنا مت فاغسلني أنت، وابن عباس يصب الماء، وجبرائيل ثالثكما، وكفني في ثلاثة أثواب [بيض] جدد، وضعوني في المسجد، فإن أول من يصلي علي الرب ـ عز وجل ـ من فوق عرشه»[(٤)].

وقد روي في حديث خطبة علي ـ رضي الله عنه ـ لفاطمة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ لما استأذنها قالت: يا أبت كأنك إنما أدخرتني لفقير

---

(١) البخاري رقم (٥٧٨٩)، ومسلم رقم (٢٠٨٨)، والدارمي رقم (٤٤٣)، وأحمد ٢/٢٦٧ و ٣١٥ و ٣٩٠ و ٤١٣ و ٤٥٦ و ٤٦٧ و ٤٩٢ و ٤٩٧ و ٥٣١.

(٢) البخاري رقم (٣١٩٠) و(٤٣٦٥و٤٣٨٦) و(٧٤١٨)، والترمذي رقم (٣٩٤٦)، وأحمد ٤/٤٢٦ و ٤٣١ و ٤٣٣ و ٤٣٦.

(٣) قال في «العلو» ص (٥٢): رواته ثقات، رواه أبو بكر الخلال في «كتاب السنة» له.

(٤) عزاه في «العلو» لأبي نعيم في «الحلية» ثم قال: هذا حديث موضوع وأراه من افتراء عبدالمنعم ـ يعني ابن إدريس بن سنان أحد رواته ـ وإنما رويته لهتك حاله. ا هـ.

قريش. فقال: «والذي بعثني بالحق [نبياً] ما تكلَّمت بهذا حتى أذن الله فيه من السماء». فقالت: رضيت [بالله] وبما رضي الله لي»[1].

وفي «مسند الإمام أحمد»[2] من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قصة الشفاعة الحديث بطوله مرفوعاً، وفيه «فآتي ربي ـ عز وجل ـ فأجده على كرسيه أو سريره جالساً».

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ قال: يأتوني فأمشي بين أيديهم حتى آتي باب الجنة وللجنة مصراعان من ذهب، مسيرة ما بينهما خمسمائة عام». قال معبد: فكأني أنظر إلى أصابع أنس حين فتحها يقول: مسيرة ما بينهما خمسمائة عام ـ فأستفتح فيؤذن لي، فأدخل على ربّي، فأجده قاعداً على كرسي العزّ، فأخرّ له ساجداً[3]. رواه خشيش بن أصرم النسائي في «كتاب السنة» له.

وذكر عبد الرزاق عن معمر، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «إنَّ الله ـ عز وجل ـ ينزل إلى سماء الدنيا وله في كل سماء كرسي، فإذا نزل إلى سماء الدنيا جلس على كرسيه، ثم يقول: من ذا الذي يقرض غير عديم ولا ظلوم، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له، من ذا الذي يتوب فأتوب عليه، فإذا كان عند الصبح ارتفع فجلس على كرسيه»[3] رواه أبو عبد الله بن منده[«في مسنده»] وروي عن سعيد مرسلاً وموصولاً، قال الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ: مرسل سعيد عندنا حسن.

---

(١) قال في «العلو» ص٩٨: هذا حديث منكر، لعل محمد بن كثير افتراه، فإنه متهم، فإن الأوزاعي ما نطق به قط، ولم أرو هذا ونحوه إلا للتزيف والكشف، والضراء ليس بثقة. ا هـ.

(٢) أحمد ١/٢٨٢ و٢٩٦ قال الألباني في تخريج «مختصر العلو» ص٩٣: ليست هذه الزيادة عند أحمد ولا عند غيره، فأظنها مصحفة، ولا أعلم في جلوس الرب تعالى حديثاً ثابتاً. ا هـ.

(٣) لم أجده.

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جَمَع الله الخلائِق حاسَبَهم فيُميِّز بينَ أهل الجنة وأهلِ النّار وهو في جنّته على عَرْشه»(١). قال محمد بن عثمان الحافظ: [هذا] حديث صحيح.

٢٢/أ وعن جابر بن سليم قال: سمعت رسول الله ﷺ/ يقول: «إنَّ رجلاً ممّن كانَ قَبْلَكُم لَبسَ بُرْدَين فَتَبْختَر فَنظَر الله إليهِ مِن فوْقِ عرشهِ فمَقَتَه فأمَرَ الأرضَ فأخذَتْه»(٢) حديث صحيح.

وروى عبد الله بن بكر السهمي، حدثنا يزيد بن عوانة، عن محمد بن ذكوان، عن عمرو بن دينار، عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: كنا جلوساً ذات يوم بفناء رسول الله ﷺ إذ مرت بنا إمرأةٌ من بناتِ رسولِ الله ﷺ، فقال رجلٌ من القوم: هذه ابنة رسول الله ﷺ، فقال أبو سفيان: ما مثل محمد في بني هاشم إلا كمثل ريحانة في وسط الزبل، فسمعت تلك المرأة فأبلغته رسول الله ﷺ، فخرج رسول الله ﷺ ولا أحسبه قال مغضباً، فصعد على منبره، وقال: «ما بالُ أقوالٍ تَبْلغني عَنْ أقوامٍ؟ إن الله خلق سموات سبعاً فاختار العليا فسكنها، وأسكن سمواته من شاء من خلقه، وخلق أرضين سبعاً فاختار العليا فأسكنها ما شاء من خلقه، واختار خلقه فاختار بني آدم، ثم اختار من بني آدم فاختار العرب، ثم اختار العرب فاختار مضر، ثم اختار مضر فاختار قريشاً، ثم اختار قريشاً فاختار بني هاشم، ثم اختار بني هاشم فاختارني، فلم أزل خيار من خيار، ألا من أحبَّ قريشاً فبحبي أحبهم، ومَنْ أبْغَضَ العرب فببغضي أبغضهم»(٣).

---

(١) لم أجده.

(٢) تقدم تخريجه ص (٦٧) رقم (٤).

(٣) قال في «العلو» ص٢٣: تابعه حماد بن واقد وغيره عن محمد بن ذكوان أحد الضعفاء، وبعضهم يقول فيه: عبدالله بن ديفار بدل عمرو بن دينار، وهو حديث منكر، رواه جماعة من كتب السنة، وأخرجه ابن خزيمة في «كتاب التوحيد» اهـ.

وقال يعقوب بن سفيان في «مسنده» حدثنا ابن المُصَفَّىٰ حدثنا سويد ابن عبدالعزيز حدثنا عمرو بن خالد عن زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي ابن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «يزور أهل الجنة الرب تبارك وتعالى في كل جمعة ـ، وذكر ما يعطون ـ، قال: ثم يقول الله تعالى: اكشفوا الحجب فيكشفوا حجاباً ثم حجاباً حتى يتجلى لهم عن وجهه تبارك وتعالى، فكأنهم لم يروا نعمة قبل ذلك، وهو قول الله عز وجل ﴿ولدينا مزيد﴾[1].

وقال عثمان الدارمي: حدثنا أبو موسى، حدثنا أبو عوانة، حدثنا الاجلح، حدثنا الضحاك بن مزاحم ـ، قال: إن الله يأمر السماء يوم القيامة فتنشق بمن فيها فيحيطون بالأرض ومن فيها، ثم يأمر السماء الثانية ـ حتى ذكر سبع سموات ـ فيكونون سبعة صفوف قد أحاطوا بالناس، ثم ينزل الملك الأعلى جل جلاله في بهائه وجماله ومعه ما شاء من الملائكة[2].

وقال عثمان بن سعيد: حدثنا هشام بن خالد الدمشقي ـ وكان ثقة ـ حدثنا محمد بن شعيب بن سابور، حدثنا عمر بن عبد الله مولى عفرة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «جاءني جبريل/وفي كفه مرآة فيها نكتة سوداء، فقلت: ما ٢٢/ب هذه يا جبريل؟ قال: هذه الجمعة أرسل بها إليك ربك لتكون هدى لك ولأمتك من بعدك، فقلت: ومالنا فيها؟ قال: لكم فيها خير أنتم الأخرون السابقون يوم القيامة وفيها ساعة لا يوافقها عبد مؤمن مصلٍ يسأل الله خيراً هو له يقسم إلا أتاه، ولا خيراً ليس له يقسم إلا وجد له أفضل منه، ولا يستعيذ بالله من شر ما هو مكتوب عليه إلا رفع عنه أكثر منه، قلت: ما هذه النكتة السوداء؟ قال: هذه

(١) في اسناده عمرو بن خالد القرشي مولاهم، وهو متروك، ورواه وكيع بالكذب. وسعيد بن عبد العزيز وهو لين الحديث، ومحمد بن المصفى صدوق له أوهام، وكان يدلس. كما قال الحافظ في «التقريب».

(٢) الدارمي في «الرد على الجهمية» رقم (١٤٤). وإسناده حسن.

الساعة يوم تقوم القيامة، وهو سيد الأيام ونحن نسميه عندنا يوم المزيد، قلت: ولم تسمونه يوم المزيد يا جبريل؟ قال: لأن ربك اتخذ في الجنة وادياً افتح من مسك أبيض، فإذا كان يوم الجمعة من أيام الأخرة هبط الجبار عن عرشه إلى كرسيه إلى ذلك الوادي، وقد حف الكرسي بمنابر من نور يجلس عليها الصديقون والشهداء يوم القيامة، ثم يجيء أهل الغرف حتى يحضوا بالكثيب ثم يبدو لهم ذو الجلال والإكرام تبارك وتعالى فيقول: أنا الذي صدقتكم وعدي وأتممت عليكم نعمتي وأحللتكم دار كرامتي فسئلوني؟ فيقولون بأجمعهم: نسألك الرضى عنا، فيشهد لهم على الرضى، ثم يقول لهم اسألوني؟ فيسألونه حتى تنتهي نُهْيَةُ كل عبدٍ منهم، ثم يقول لهم: سلوني فيسألونه حتى تنتهي نُهْيَةُ كل عبد منهم، ثم يقول لهم: سلوني؟ فيقولون: حسبنا ربنا رضينا، فيرجع الجبار جل جلاله إلى عرشه فيفتح لهم بقدر إشراقهم من يوم الجمعة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم، وهي غرفة من لؤلؤة بيضاء وياقوتة حمراء وزمردة خضراء ليس منها فصم ولا وصم مطرقة فيها أنهارها، متدلية فيها ثمارها، فيها أزواجها وخدمها ومساكنها، فليسوا إلى يوم أجرح منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا فضلاً من ربهم ورضواناً»[1]. رواه عن أنس جماعة منهم: عثمان بن عمير أبي اليقظان، ومن طريقه رواه الشافعي في «مسنده»، وعبد الله بن الإمام أحمد في «السنة»، ومنهم أبو صالح والزبير بن عدي وعلي بن الحكم البُناني وعبد الملك بن عمير ويزيد الرقاشي وعبد الله بن بريرة كلهم عن أنس، وصححه جماعة من الحفاظ، وزاد الشافعي في «مسنده» في أخره: «وهو اليوم الذي استوى فيه ربكم على العرش» وساقه عثمان بن أبي شيبة من طرق، وقال في بعضها: «ثم ٢٣/أ تجلى / لهم ربهم تبارك وتعالى فيقول: أنا الذي صدقتكم وعدي وأتممت

(١) الدارمي في «الرد على الجهمية» رقم (١٤٤) وفي اسناده عمر بن عبد الله مولى عفرة، وهو ضعيف، كما قال الحافظ في «التقريب».

عليكم نعمتي وهذا محل كرامتي - إلى أن قال -: ثم يرتفع على كرسيه وترفع معه النبيون والصديقون والشهداء، ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم».

وذكر محمد بن الزبرقان عن مقاتل بن حبان عن أبي الزبير عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الجنة ليحتاجون إلى العلماء في الجنة كما يحتاجون إليهم في الدنيا، وذلك أنهم يزرون ربهم في كل جمعة، فيقول لهم: تمنوا؟ فيقولون: وما نتمنى وقد ادخلتنا الجنة وأعطيتنا، فيقال لهم: تمنوا؟ فيلتفتون إلى العلماء...» وذكر الحديث في قصة الجمعة.

ورواه ابن منده من حديث الأعمش عن وائل عن حذيفة عن النبي ﷺ قصة الجمعة بطولها وفيها يقول: «سلوني؟ فيقولون: أرنا وجهك رب العالمين ننظر إليك، فيكشف الله تبارك وتعالى تلك الحجب ويتجلى لهم فينظرون إليه».

وروى الإمام أحمد في «مسنده»[1] من حديث ابن أبي ذئب، عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن سعيد بن يسار، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «إنَّ الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان، وربٍّ غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك، حتي ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل، وإذا كان الرجل السوء قال: أخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، أخرجي [ذميمة]، وأبشري بحميم وغساق وآخرين شكله أزواج، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم تعرج بها إلى السماء فيستفتح لها، فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان، فيقال: لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ارجعي ذميمة، فإنه لا يفتح لك أبواب السماء، فترسل من السماء، ثم تصير إلى القبر».

(١) أحمد ٢/٣٦٤ وصححه الحاكم ١/٣٥٢ - ٣٥٣ ووافقه الذهبي.

وروى الإمام أحمد في «مسنده»[1] من حديث البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار وانتهينا إلى القبر ولم يلحد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنَّ على رؤوسنا الطَّيْرَ، وفي يده عود ينكت به في الأرض، فرفع رأسه فقال: استعيذوا بالله مِنْ عَذابِ القَبْرِ. مرتين أو ثلاثاً. ثم قال: «إنَّ العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة نَزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، / كأن وجوههم الشمس، معهم كَفَن، من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء مَلَكُ الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من اللهِ ورضوان. قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض. قال: فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الطيبة؟ فيقولون: فلان ابن فلان ـ بأحسن أسمائه التي كانوا يسمّونه في الدنيا، حتى ينتهوا إلى سماء الدنيا، فيستفتحون له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهوا بها إلى السماء السابعة، فيقول الله تعالى: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أُخْرِجهم تارةً أخرى. قال: فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان، فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله. فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله. فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت القرآن فآمنت به وصدقت. فينادي مناد من السماء: أن صدق

٢٣/ب

---

(١) أحمد ٢٨٧/٤ و ٢٩٥ ـ ٢٩٦، وأبوداود (٤٧٥٣)، والطيالسي رقم (٧٥٣)، وابن أبي شيبة ٣٨٠/٣ ـ ٣٨٢، وعبد الرزاق رقم (٦٧٣٧)، وأبو نعيم في «الحلية» ٥٦/٩، وصححه الحاكم ٣٧/١ ـ ٤٠ ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.

عبدي، فأفرشوه من الجنَّةِ، وألبسوه من الجنَّةِ، وافتحوا له باباً إلى الجنة. قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره. قال: ويأتيه رجلٌ حسن الوجه حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، فهذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يبشر بالخير. فيقول: أنا عملك الصالح. فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي» وذكر الحديث، وهو صحيح، صححه جماعة من الحفاظ.

وقال عثمان بن سعيد الدارمي الإمام الحافظ أحد أئمة الإسلام: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد ـ وهو ابن سلمة ـ حدثنا عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «لمّا أسريَ بي مررتُ برائحةٍ طيّبةٍ فقلتُ: يا جبرائيل ما هذه الرائحة الطيبة؟ قال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون/ وأولادها، كانت تمشطها، فوقع المشط ٢٤/أ من يدها، فقالت: بسم الله تعالى، فقالت ابنته: أبي؟ قالت: لا، ولكن ربي ورب أبيك: الله، فقالت: أخبر بذلك أبي؟ قالت: نعم. فأخبرته فدعا بها فقال: من ربك؟ هل لك رب غيري؟ قالت: ربي وربك الله الذي في السماء، فأمر بنقرة من نحاس فأحميت، ثم دعا بها وبولدها، فألقاهم فيها»[1] وساق الحديث بطوله.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كان ملكُ الموتِ يأتي الناسَ عِياناً فأتى موسى، فلطمه فذهب بعينه، فعرج إلى ربه، فقال: بعثتني إلى موسى، فلطمني فذهب بعيني ولولا كرامته عليك لشققت عليه، فقال: ارجع إلى عبدي، فقل له: فليضع يده على متن ثور، فله بكل

(١) أحمد ١/٣٠١ ـ ٣٠٢ و٣٠٢، والطبراني في «الكبير» (١٢٢٧٩)، والحاكم ٢/٤٩٦ ـ ٤٩٧، والدارمي في «الرد على الجهمية» رقم (٧٣). وإسناده ضعيف، عطاء بن السائب صدوق اختلط، وحماد بن سلمة ممن روى عنه قبل الإختلاط وبعده.

شعرة وارت كفه سنة يعيشها، فأتي فبلغه ما أمر به، فقال: ما بعد ذلك؟ قال: الموت. قال: الآن طابت نفسي. فشمه شمة قبض روحه فيها، ورد الله على ملك الموت بصره»[1] هذا حديث صحيح أصله وشاهده في «الصحيحين»[2].

وقال أيضاً: حدثنا أبو هشام الرفاعي، حدثنا إسحاق بن سليمان. حدثنا أبو جعفر الرازي، عن عاصم بن بهدلة، عن أبي صالح، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لمّا ألقيَ إبراهيمُ في النّار قال: اللهم إنك في السماء واحد، وأنا في الأرض واحد أعبدك»[3].

وفي «الترمذي» من حديث الأوزاعي حدثني حسان بن عطية عن سعيد بن المسيب: أنه لقى أبا هريرة فقال أبو هريرة: أسال الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة، فقال سعيد: أو فيها سوق، [قال: نعم] قال: أخبرني رسول الله ﷺ: «إن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم، فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون الله تبارك وتعالىٰ، فيبرز لهم عرشه، ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة، فيوضع لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤٍ، ومنابر من ياقوت، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم وما فيهم دنيٌّ على كثبان المسك والكافور، ما يرون أن أهل الكراسي أفضل منهم مجلساً، قال أبو هريرة: فقلت: يا رسول الله وهل نرى ربنا؟ قال: «نعم هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر» قلنا: لا، قال: كذلك لا تمارون في رؤية/ربكم ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا ٢٤/ب

---

(١) أحمد ٢/٢٦٩ و٣١٥ و٣٥١ و٥٣٣.

(٢) البخاري رقم (١٣٣٩) و(٣٤٠٧)، ومسلم رقم (٢٣٧٢)، والنسائي ٤/١١٨ ـ ١١٩، وأحمد ٢/٣١٥ و٣٥١ و٥٣٣.

(٣) أخرجه أبو يعلى كما في «تفسير ابن كثير» ٥/٣٤٥، وأبو نعيم في «الحلية» ١/١٩، والخطيب في «التاريخ» ١٠/٣٤٦ من طريق محمد بن يزيد الرفاعي، قال في «التقريب» ليس بالقوي. وعزاه في «المجمع» ٨/٢٠٢ إلى البزار وقال: فيه عاصم بن عمر بن حفص، وثقه ابن حبان، وقال: يخطىء ويخالف، او ضعفه الجمهور. اهـ.

حاضره الله محاضرة حتى يقول للرجل منهم : يا فلان ابن فلان أتذكر يوم كذا وكذا، عملت كذا وكذا، فيذكره ببعض غدراته في الدنيا، فيقول: يا ربِّ أفلم تغفر لي؟ فيقول: بلى فبسعة مغفرتي بلغت منزلتك هذه، قال: فبينا هم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم، فأمطرت عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط، ثم يقول: قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة، فخذوا ما اشتهيتم، فنأتي سوقاً قد حفّت به الملائكة، فيه ما لم تنظر العيون إلى مثله، ولم تسمع الآذان، ولم يخطر على القلوب، فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يباع فيها ولا شراء، وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضاً، فيقبل الرجل ذو المنزلة الرفيعة، فيلقى من هو دونه، وما فيهم حديثه دنيٌّ، فيروعه ماعليه من اللباس، فما ينقضي آخر حديثه حتى يتمثل عليه أحسن منه، وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها، ثم ننصرف إلى منازلنا فتلقانا أزواجنا، فيقلن: مرحباً وأهلاً، لقد جئت وإنّ لك من الجمال والطيب أكثر مما فارقتنا عليه! فيقول: إنّا جالسنا اليوم ربنا الجبار، ويحق لنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا»[1]

وعن [عتبة] ابن مسعود يرفعه: «عجبتُ مِن ملكَيْن نَزَلاَ يلتَمِسان عبْداً في مصلاه كان يصلي فيه، فلم يجداه، فعرجا إلى الله فقالا: يا رب كنا نكتب لعبدك المؤمن في يومه وليلته من العمل كذا وكذا، فوجدناه قد حبسته في حبالك فلم نكتب له شيئاً، فقال الله عز وجل: اكتبوا لعبدي عمله الذي كان يعمل» رواه ابن أبي الدنيا[2]، وله شاهد في البخاري.

وفي حديث عبد الله بن أنيس الأنصاري الذي رحل إلى جابر بن عبد الله ـ رضي الله تعالى عنه ـ من المدينة إلى مصر حتى سمع منه، وقال له: بلغني أنك تحدّث بحديث في القصاص عن رسول الله ﷺ لم أشهده، وليس أحد أحفظ له منك. قال: نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ الله

---

(١) الترمذي رقم (٢٥٥٢) في صفة الجنة: باب ما جاء في سوق الجنة، وإسناده ضعيف وقال الترمذي: هذا حديث غريب.

(٢) قال الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٣٦٨٢): رواه أبو داود الطيالسي والطبراني في «الأوسط»، وهو حديث ضعيف.

يبعثكم يومَ القيامةِ حُفاةً عُراة غُرْلاً بُهْماً، ثم يجمعهم، ثم ينادي وهو قائم على عرشه»[1] وذكر الحديث. احتج به أئمة أهل السنة أحمد بن حنبل وغيره.

وفي «الصحيحين»[2] عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة!، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك/والخير في يديك فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: ومالنا لا نرضى، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب! وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم».

وروى الترمذي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، أنه قال: «يجمع الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد، ثم يطلع عليهم رب العالمين تبارك وتعالى، فيقول: ألا ليتبع كل إنسان ما كان يعبد، فيمثل لصاحب الصليب صليبه، ولصاحب التصاوير تصاويره، ولصاحب النار ناره، فيتبعون ما كانوا يعبدون، ويبقى المسلمون فيطلع عليهم رب العالمين فيقول: ألا تتبعون الناس؟ فيقولون: نعوذ بالله منك [نعوذ بالله منك] الله رَبُّنَا، هذا مكاننا حتى نرى ربنا، وهو يأمركم ويُثَبِّتُهُم، ثم يتوارى، ثم يطلع فيقول: ألا تتبعون الناس؟ فيقولون: نعوذ بالله منك، نعوذ بالله منك، الله رَبُّنَا، وهذا مكاننا حتى نرى ربَّنا وهو يأمركم ويثبتهم، قالوا: وهل نراه يا رسول الله؟ قال: وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فإنكم لا تضارون في رؤية تلك الساعة، ثم يتوارى، ثم يطلع فيعرفهم نفسه، ثم يقول: أنا ربكم فاتبعوني، فيقوم المسلمون ويوضع الصراط، فيمرون عليه مثل جياد الخيل والركاب،

---

(١) ذكره في «العلو» ص ٥٦، وفيه اسحاق بن بشير، وهو كذاب، ولذا قال: «فهذا اشبه موضوع».

(٢) البخاري (٦٥٤٩) و(٧٥١٨)، ومسلم (٢٨٢٩)، والترمذي (٢٥٥٨)، وأحمد ٣/٨٨ و ٩٥.

وقولهم: سَلِّمْ سَلِّمْ، ويبقى أهل النار فيطرح منهم فيها فوج، ثم يقال: هل امتلأت؟ فتقول: ﴿هل من مزيد﴾، حتى إذا أوعبوا فيها، وضع الرحمن تبارك وتعالى قدمه فيها وأزوى بعضها إلى بعض، [ثم قال: قط،] قال: قط قط، فإذا أدخل الله أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، قال: أتى بالموت مُلَبَّباً، فيوقف على السور الذي بين أهل الجنة، وأهل النار، ثم يقال: يا أهل الجنة فيطلعون [خائفين، ثم يقال: يا أهل النار؟ فيطلعون] مستبشرين يرجون الشفاعة، فيقال لأهل الجنة وأهلِ النار هل تعرفون هذا؟ فيقولون هؤلاء وهؤلاء، قد عرفناه ـ هو الموت الذي وُكِّل بنا، فيضجع فيذبح ذبحاً على السور [الذي بين الجنة والنار،] ثم يقال: يا أهل الجنة خلود لا موت، ويا أهل النار خلود لا موت».
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وأصله في «الصحيحين» لكن هذا السياق أجمع وأخصر، وفي لفظ للترمذي: «أن أحداً مات فرحاً لمات أهل الجنة، ولو أن أحداً مات حزناً لمات أهل النار»[1]

وروى الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» من حديث عبادة بن نسي، عن عبد الرحمن بن غنم، عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «إنَّ الله ليكره في السماء/ أن يخطأ أبو بكر في الأرض»[2]. ولا تعارض ٢٥/أ بين هذا الحديث، وبين قول النبي ﷺ له ـ رضي الله عنه ـ في حديث الرؤيا: «أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً»[3]. لوجهين.

أحدهما: أن الله سبحانه وتعالى يكره تخطئة غيره من آحاد الأمة له ولا

---

(١) الترمذي (٢٥٦٠) وهو حديث صحيح، وأصله عند البخاري (٨٠٦) و(٦٥٧٣) و(٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢)، انظر «جامع الأصول» (٧٩٧٤). والرواية الاخيرة أخرجها الترمذي (٣١٥٥).

(٢) قال الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (١٧٥٧): حديث موضوع.

(٣) البخاري رقم (٧٠٠٠) و(٧٠٤٦)، ومسلم رقم (٢٢٦٩)، والترمذي رقم (٢٢٩٤)، وأبوداود (٤٦٣٢)، وابن ماجه رقم (٣٩١٨)، والدارمي رقم (٢١٦٢)، وأحمد ١/٢٣٦، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

تخطئة الرسول ﷺ له في أمر ما، فإنَّ الحقَّ والصوابَ مع رسول الله ﷺ قطعاً بخلاف غيره من الأمة، فإنه إذا أخطأ الصدّيق ـ رضي الله عنه ـ لم يتحقق أن الصواب معه، بل ما تنازع الصدّيق وغيره في أمر ما، إلا وكان الصواب مع الصديق ـ رضي الله عنه ـ.

الثاني: أن التخطئة هنا نسبة إلى الخطأ العمد الذي هو ضد قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَتْلَهُم كانَ خطئاً كبيراً﴾ [الإسراء: ٣١] لا من الخطأ الذي هو ضد [العلم] والتعمّد. والله أعلم.

وفي «صحيح البخاري»[١] عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان [ينفذهم ذلك حتى] إذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير».

وروى أبو نعيم من حديث شعبة، عن الحكم، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ العبد لَيشرف على حاجة من حاجات الدنيا، فيذكره اللهُ من فوق سبع سموات، فيقول: ملائكتي إن عبدي هذا قد أشرف على حاجة من حاجات الدنيا، فإن فتحتها له فتحت له باباً من أبواب النار، ولكن أزوها عنه، فيصبح العبدُ عاضّاً على أنامله، فيقول: من دهاني؟ من سبقني؟ وما هي إلا رحمة رحمه الله بها»[٢].

وفي «مسند الإمام أحمد» من حديث أسامة بن زيد ـ رضي الله عنهما ـ قال: قلت: يا رسول الله، لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان؟. قال: «ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع

---

(١) البخاري رقم (٤٨٠٠) ورقم (٧٤٨١)، والترمذي رقم (٣٢٢١).

(٢) أبو نعيم في «الحلية» ٣/٣٠٥ و٧/٢٠٨ وقال: هذا حديث غريب من حديث شعبة والحكم عن مجاهد لم نكتبه إلا من حديث علي بن معبد عن صالح. اهـ.

فيه الأعمال إلى رب العالمين ـ عز وجل ـ، فأحبُّ أن يُـرْفَعَ عملي وأنـا صائم»[1].

وفي «الثقفيات» من حديث جابر بن سليم رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «أن رجلاً ممن كان قبلكم لبس بردين فتبختر فيهما، فنظر الله إليه من فوق عرشه، فمقته فأمر الأرض فأخذته، فهو يتجلجل في الأرض، فاحذروا معاصي الله»[2] وأصله في «الصحيحين»[3].

وقال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا عبدة بن سليمان، عن أبي حيان، عن حبيب بن أبي ثابت، أن حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ أنشد النبيَّ ﷺ:

شَهِـدتُ بـإذْنِ اللهِ أنَّ مُحَـمّـداً ... رَسولُ الذي فَوْقَ السمواتِ من عَلُ

/وإنَّ أبا يحيى ويحيى كِلاهُمـا ... لَـهُ عَـمَـلٌ مِـن ربِّـه مُـتَـقَـبَّـلُ ٢٥/ب

وإنَّ أخـا الأحْقـافِ إذْ قـامَ فيهم ... يقـولُ بـذاتِ اللهِ فيهمْ ويَعْـدِلُ[4]

وفي «الصحيحين»[5] من حديث مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء ابن يسار عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة: فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: ومالنا لا نرضى وقد أعطينا ما لم تعط أحداً من خلقك،

---

(١) أحمد ٥/٢٠١، والنسائي ٤/٢٠١ وهو حديث حسن. «صحيح النسائي رقم (٢٢٢١)».

(٢) تقدم تخريجه ص (٦٧) رقم (٤).

(٣) البخاري رقم (٥٧٨٩)، ومسلم رقم (٢٠٨٨)، وأحمد ٢/٢٦٧ و٣١٥ و٤١٣ و٤٦٣ و٤٦٧ و٥٢١، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
ولفظه: «بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه، مُرَجِّل رأسَه، يختال في مشيته إذ خسف الله به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة».

(٤) قال الهيثمي في «المجمع» ١/٢٤: رواه أبو يعلى وهو مرسل.

(٥) البخاري رقم (٦٥٤٩) و (٧٥١٨)، ومسلم رقم (٢٨٢٩)، والترمذي رقم (٢٥٥٨)، وأحمد ٣/٨٨.

فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب أي شيء أفضل من ذلك، فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبداً».

وقال هشام: حدثنا محمد بن شعيب بن سابور، حدثنا عبد الرحمن ابن سليمان، حدثنا سعيد بن عبد الله الخرشي القاضي أنه سمع أبا إسحاق الهمداني يحدث عن الحارث الأعور عن علي بن أبي طالب يرفعه قال: «إن الله إذا أسكن أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، بعث إلى أهل الجنة الروح الأمين فيقول: يا أهل الجنة إن ربكم يقرئكم السلام ويأمركم أن تزوروه إلى فناء الجنة وهو أبطح الجنة، تربته المسك وحصباؤه الدر والياقوت وشجره الذهب الرطب وورقه الزمرد، فيخرج أهل الجنة مستبشرين مسرورين، فثم تجمعهم، وثم كرامة الله والنظر إلى وجهه وهو موعد الله أنجزه لهم، فيأذن الله لهم في السماع والأكل والشرب، ويكسون حلل الكرامه، ثم ينادي مناد: يا أولياء الله هل بقي مما وعدكم ربكم شيء؟ فيقولون: لا وقد أنجزنا ما وعدنا وما بقي شيء إلا النظر إلى وجهه، فيتجلى لهم الرب في حجب. فيقول: يا جبريل ارفع حجابي لعبادي كي ينظرون إلى وجهي، قال: فيرفع الحجاب الأول فينظرون إلى نور من نور الرب، فيخرون لله حامدين ساجدين، فيناديهم الرب: يا عبادي ارفعوا رؤوسكم إنها ليست بدار عمل إنما هي دار ثواب ونعيم مقيم، فيرفع الحجاب الثالث فعند ذلك ينظرون إلى وجه رب العالمين، فيقولون حين ينظرون إلى وجهه: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، فيقول: كرامتي أمكنتكم من النظر إلى وجهي وأحلتكم داري، فيأذن للجنة أن تجملي فيقول طوبى لهم وحسن مآب». وقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ / [القيامة: ٢١ - ٢٢][1]. ٢٦/أ

٢٦/ب / وقال شيخ الإسلام الهروي: أخبرنا ابن منده، أخبرنا خيثمة

---

(١) اسناده ضعيف.

ابن سليمان، حدثنا السريّ بن يحيى، حدثنا هناد بن السري، حدثنا أبو بكر ابن عياش، عن أبي سعد البقال، عن عكرمة، عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: أن اليهود أتوا النبي ﷺ، فسألوه عن خَلْقِ السمواتِ والأرض.. فذكر حديثاً طويلاً. قال: ثم ماذا يا محمد؟ قال: ثم استوى على العرشِ. قال: أصبت يا محمد لو أتممت، ثم استراح فغضب غضباً شديداً، فأنزل الله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنا السّمواتِ والأرْضَ وما بَيْنَهُما في سِتَّةِ أيّامٍ وما مَسَّنا مِنْ لُغوبٍ﴾ [ق: ٣٨](1).

* * *

١٢ - فصل

فيما حفظ عن أصحاب رسول الله - ﷺ - والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم من ذلك

*** قول أبي بكر الصديق - رضي الله عنه:**

قال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا محمد بن فضيل، عن أبيه، عن نافع، عن ابن عمر قال: لما قُبِض رسولُ الله ﷺ قال أبو بكر - رضي الله عنه -: أيها النّاس إنْ كان محمدٌ إلهكم الذي تعبدون، فإنّ إلهكم قد مات، وإنْ كان إلهكم اللهُ الذي في السماء. فإنَّ إلهكم لم يمت، ثم تلا ﴿ومَا مُحَمّدٌ إلاَّ رسولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ حتى ختم الآية. [آل عمران: ١٤٤](2).

وقال البخاريُّ في «تاريخه»: قال محمد بن فضيل، عن فضيل ابن غزوان، عن نافع، عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: لمّا قُبض رسولُ

(١) في اسناده أبو سعد البقال وهو سعيد بن المرزبان الكوفي وهو ضعيف مدلس كما قال الحافظ في «التقريب».

(٢) «الرد على الجهمية» ص (٤٤ - ٤٥) رقم (٧٨)، قال الذهبي في «العلو» ص ٦٢: هذا حديث صحيح.

اللهِ ﷺ دخلِ أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ عليه، فأكبَّ عليه وقَبَّلَ جبهته، وقال: بأبي أنتَ وأُمّي طبتَ حيّاً وميتاً، وقال: مَن كانَ يعبدُ محمداً فإنَّ محمداً قد مات، ومن كان يعبد اللهَ فإنَّ اللهَ في السماء حيٌّ لا يموت[1].

وفي «صحيح البخاري»[2] من حديث سهل بن سعد الساعدي ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ ذهب إلى بني عمرو [بن عوف] ليصلح بينهم فحانت الصلاة، فجاء المؤذن إلى أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ . . . فذكر الحديث وفيه: أنّ رسول اللهِ ﷺ أشار إلى أبي بكرٍ ثم أنِ امكث مكانك، فرفع أبو بكر يديه فحمد الله على ما أمره به رسول الله ﷺ، ثم استأخر فذكره . .

* قول عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ:

قال اسماعيل عن قيس قال: لما قدم عمرُ ـ رضي الله عنه ـ الشام استقبله الناسُ وهو على بعيره فقالوا: يا أمير المؤمنين! لو ركبت برذوناً لتلقاك عظماء الناس ووجوههم، فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: ألا أراكم ها هنا إنَّ الأمرَ من ها هنا، وأشار بيده إلى السماء[3].

وذكر أبو نعيم بإسناده عنه: ويلٌ لديان الأرض من ديان السماء يوم يلقونه إلا من أمر بالعدل وقضى بالحق ولم يقض على هوى ولا قرابة ولا رغب ولا رهب، وجعل كتاب الله مرآة بين عينيه.

وقال ابن أبي شيبة: حدثنا وكيع عن اسماعيل عن قيس قال: لما قدم عمر الشام/ استقبلته الناس وهو على بعيره، فقالوا: يا أمير المؤمنين لو ركبت برذوناً يلقاك عظماء الناس ووجوههم، فقال عمر: ألا أراكم ها هنا إنما الأمر ٢٧/أ

---

(١) البخاري في «تاريخه» ١/١/٢٠٢.

(٢) البخاري رقم (٦٨٤)، ومسلم رقم (٤٢١)، وأبوداود رقم (٩٤٠)، و«الموطأ» ١/١٦٣.

(٣) قال الألباني في «مختصر العلو» ص ١٠٣: أخرجه الدارمي ص ١٠٥، وفي «الرد على الجهمية» ص ٢٦، ومن طريق المصنف باسناد إليه، وهو إسناد صحيح على شرط الشيخين.

من ها هنا وأشار بيده إلى السماء. [خلو سبيل جملي][1].

وقال عثمان بن سعيد الدارمي: حدثنا موسى بن إسماعيل قال: حدثنا جرير بن حازم قال: سمعت أبا يزيد المدني قال: لقيت امرأة عمر ابن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يقال لها خولة بنت ثعلبة ـ رضي الله عنها ـ وهو يسير مع الناس، فاستوقفته فوقف لها، ودنا منها، وأصغى إليها حتى قضت حاجتها وانصرفت، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين حبست رجالات من قريش على هذه العجوز. قال: ويلك تدري من هذه؟ قال: لا. قال: هذه امرأة سمع اللهُ شكواها من فوق سبع سموات، هذه خولة بنت ثعلبة، والله لو لم تنصرف عني إلى الليل ما انصرفت حتى تقضي حاجتها، إلا أن تحضرني صلاة فأصليها، ثم أرجع إليها حتى تقضي حاجتها[2].

وقال خليد بن دعلج، عن قتادة قال: خرج عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ من المسجد ومعه جارود العبدي، فإذا بامرأة بارزة على ظهر الطريق، فسلَّم عليها عمرُ ـ رضي الله عنه ـ فردّت عليه السلام، وقالت: إيهاً يا عمر، عهدتك يا عمر وأنت تسمى عميراً في سوق عكاظ ترع الصبيان بعصاك، [فلم تذهب الأيامُ حتى سمّيت عمر،] ولم تذهب الأيام حتى سمّيت أمير المؤمنين، فاتّق الله في الرعية، واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت خشي الفوت. فقال الجارود: لقد أكثرت أيتها المرأة على أمير المؤمنين. فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: دعها أما تعرفها؟ هذه خولة بنت حكيم التي سمع اللهُ قولها من فوق سبعِ سموات، فعمر أحقّ أن يسمعَ لها[3].

---

(١) الزيادة من «الحلية» ١/٤٧.

(٢) «الرد على الجهمية» رقم (٧٩) واسناده حسن.

(٣) «الاستيعاب» ١٢/٣٠٢ وقال ابن عبد البر: «هكذا في هذا الخبر خولة بنت حكيم امرأة عبادة ابن الصامت، وهو وهم، وخليد ضعيف سيء الحفظ، وإنما هي امرأة أوس بن الصامت على الاختلاف في اسم أبيها. اهـ. وانظر ترجمتها في «الإصابة» ١٢/٢٣١ رقم (٣٥٩).

قال ابن عبد البر قال: روينا من وجوه عن عمر بن الخطاب أنه خرج ومعه الناس. فمر بعجوز فاستوقفته، فوقف فجعل يحدثها وتحدثه، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين! حبست الناس على هذه العجوز. قال: ويلك تدري من هذه؟! هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات... وذكر الحديث[1].

*** قول عبد الله بن رواحة ـ رضي الله عنه ـ:**

قال ابن عبد البَرّ ـ رحمه الله تعالى ـ في كتاب «الاستيعاب»:

روينا من وجوه صحاح أن عبد الله بن رواحة ـ رضي الله عنه ـ مشى إلى أَمَةٍ له فنالها، فرأته امرأتُهُ فلامته فجحدها، فقالت له: إن كنت صادقاً فاقرأ القرآن، فإن الجنبَ لا يقرأ القرآن، فقال:

شَهِدتُ بأنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ... وأنَّ النّارَ مَثْوَى الكافِرينا
٢٧/ب /وأنَّ العَرشَ فَوقَ الماءِ طافٍ ... وفَوقَ العَرشِ رَبُّ العالمينا
وتَحْمِله مَلائِكَةٌ شِدادٌ ... ملائِكَةُ الإلهِ مُسَومينا

فقالت: آمنت بالله وكذبت عيني، وكانت لا تحفظ القرآن [ولا تقرؤه][2].

*** قول عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.**

قال الدارمي: حدثنا موسى بن إسماعيل قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زرّ، عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: ما بين السماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماء مسيرة خمسمائة عام،

---

(١) «الاستيعاب» ١٢/٣٠٠ ـ ٣٠١.

(٢) «الرد على الجهمية» رقم (٨٢) في اسناده انقطاع بين قدامة بن ابراهيم وابن رواحة رضي الله عنه. وقد روي من وجوه مرسلة انظر «العلو الغفار» ص (١٠٦).

وبين السماء السابعة وبين الكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي إلى الماء مسيرة خمسمائة عام والعرش إلى الماء، والله تعالى فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه[1].

وروى الأعمش عن خيثمة عنه: أن العبد ليهم بالأمر من التجارة أو الإمارة، حتى إذا تيسر له نظر الله إليه من فوق سبع سموات، فيقول للملك: اصرفه عنه، قال: فيصرفه [عنه].

وقال عبد الله بن مسعود: ليس عند ربكم ليل ولا نهار، ونور السموات من نور وجهه، وإن مقدار كل يوم من أيامكم عند الله اثنتا عشرة ساعة، فتعرض عليه أعمالكم بالأمس أول النهار أو اليوم، فينظر فيها ثلاث ساعات، فيطلع منها على بعض ما يكره فيغضبه ذلك، فأول من يعلم بغضبه الذين يحملون العرش يجدونه يثقل عليهم فيسبحه الذين يحملون العرش وسرادقات العرش والملائكة والمقربون وسائر الملائكة، وينفخ جبريل في الغرف فلا يبقى شيء إلا سمعه إلا الثقلين الإنس والجن فيسبحونه ثلاث ساعات حتى يجعل الرحمن رحمة، فتلك ست ساعات، ثم يؤتى بما في الأرحام فينظر فيها ثلاث ساعات، فيصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم، فتلك تسع ساعات، ثم ينظر في أرزاق الخلق كلهم ثلاث ساعات فيبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليم. ثم قرأ ﴿كل يوم هو في شأن﴾، ثم قال عبد الله: هذا من شأنكم وشأن ربكم تبارك وتعالى. رواه عثمان بن سعيد الدارمي.

حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد بن سلمة عن الزبير عن عبد السلام عن أيوب بن عبد الله الفهري عن ابن مسعود.

ورواه الحسن بن إدريس عن خالد بن الصياح عن أبيه عن عباد بن كثير

---

(١) «الرد على الجهمية» رقم (٨١). قال الهيثمي في «المجمع» ١/٨٦: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

عن جعفر بن الحارث عن معدان عن ابن مسعود: «إن ربكم ليس عنده نهار ولا ليل وإن السموات/ مملوءات نوراً من نور الكرسي وأن يوماً عند ربكم اثنتا عشرة ساعة، فترفع منها أعمال الخلائق في ثلاث ساعات، فيرى فيها ما يكره فيغضبه ذلك، وإن أول من يعلم بغضبه حملة العرش يرونه يثقل عليهم فيسبحون له وتسبح سرادقات العرش في ثلاث ساعات من النهار فتلك ساعات، ثم ترفع إليه أرحام كل دابة فيخلق فيها ما يشاء ويجعل المدة لمن يشاء في ثلاث ساعات من النهار، فتلك اثنتا عشرة ساعة، ثم تلا ابن مسعود هذه الآية ﴿كل يوم هو في شأن﴾ هذا من شأن ربنا تبارك وتعالى.

٢٨/أ

*** قول عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ:**

ذكر عبد الله بن أحمد بن حنبل في «كتاب السنة» من حديث سعيد ابن جبير [عن ابن عباس] رضي الله عنه قال: تفكّروا في كلّ شيء، ولا تفكّروا في ذاتِ الله، فإنَّ بين السموات السبع إلى الكرسي سبعة آلاف نور، وهو فوق ذلك.

وفي «مسند الحسن بن سفيان»، «وكتاب عثمان بن سعيد الدارمي» من حديث عبد الله بن أبي مليكة، أنه حدثه ذكوان قال: استأذن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ على عائشة ـ رضي الله عنها ـ وهي تموت، فقال لها: كنت أحبَّ نساء النبي ﷺ إليه، ولم يكن رسول الله ﷺ يحبّ إلا طيّباً، وأنزل اللهُ براءتك من فوق سبع سموات، جاء بها الروح الأمين، فأصبح ليس مسجد من مساجد الله يذكر فيها، إلا وهو يتلى فيها آناء الليل وآناء النهار[1].

وذكر الطبري[2] في «شرح السنة» من حديث سفيان، عن أبي هاشم،

(١) «الرد على الجهمية» ص (٤٩) رقم (٨٨)، ذكره الذهبي في «العلو» ص ٩٦، وقال الألباني: سنده صحيح على شرط مسلم.

(٢) في المطبوع: الطبراني.

عن مجاهد، قال: قيل لابن عباس: إنّ ناساً يكذبون بالقدر. قال: يكذبون بالكتاب، لئن أخذت شعر أحدهم لا ينبتونه، إنَّ الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً فخلق الخلقَ، فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، [فإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه.]

وقال إسحاق بن راهويه: أخبرنا إبراهيم بن الحكم بن أبان، عن أبيه، عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧] قال: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لم يستطع أن يقولَ: من فوقهم، علم أن الله من فوقهم.

* قول أبي أمامة الباهلي ـ رضي الله عنه ـ:

قال: لما لعن اللهُ إبليسَ، وأخرجه من سمواته وأخزاه قال: رب أخزيتني ولعنتني وطردتني من سمواتك وجوارك، فوعزتك/ لأغرينّ خلقك ما دامت ٢٨/ب الأرواح في أجسادهم، فأجابه الربُّ تبارك وتعالى فقال: وعزتي وجلالي وارتفاعي على عرشي لو أن عبدي أذنب حتى ملأ السماء والأرض خطايا، ثم لم يبقَ من عمره إلا نَفَسٌ واحد، فندم على ذنوبه لغفرتها وبدّلت سيآته كلها حسنات.

وقد روي هذا المتنُ مرفوعاً، ولفظه: وعزتي وجلالي وارتفاعي لو أنّ عبدي... وذكره. رواه ابن لهيعة، عن دراج عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: إن الشيطان قال: وعِزَّتك لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الرب: وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لا أزال أغفر لهم ما استغفروني.

* قول عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ:

قال الدارمي: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا جويرية بنت أسماء

قال: سمعت نافعاً يقول: قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: وأيم الله إني لأخشى لو كنت أحبّ قتله لقتلته ـ يعني عثمان ـ ولكن علم الله من فوق عرشه أني لم أحبّ قتله[1].

*** قول زينب بنت جحش أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ:**

ثبت في «الصحيحين»[2] من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: كانت زينب رضي الله عنها تفتخر على أزواج النبي ﷺ وتقول: زوجكن أهاليكنّ، وزوجني الله من فوق سبع سموات.

وروى العسال باسناده عنها رضي الله عنها أنها كانت تقول: زوجنيك الرحمنُ من فوقِ عرشه، كان جبريل السفير بذلك، وأنا ابنة عمتك.

*** قول الصحابة كلهم ـ رضي الله عنهم ـ:**

قال يحيى بن سعيد الأموي في «مغازيه»: حدثنا البكّائي عن ابن إسحق قال: حدثني يزيد بن سنان، عن سعيد بن الأجرد الكندي، عن العرس ابن قيس الكندي، عن عدي بن عميرة ـ رضي الله عنه ـ قال: خرجت مهاجراً إلى النبي ﷺ، فذكر قصة طويلة وقال فيها: فإذا هو ومن معه يسجدون على وجوههم ويزعمون أنّ إلههم في السماء، فأسلمت وتبعته.

ذكر أقوال التابعين رضي الله عنهم:

*** قول مسروق**

قال علي بن الأرقم: كان مسروق إذا حدّث عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قال: حدثتني الصديقة بنت الصديق ـ رضي الله عنهما ـ حبيبة رسول الله ﷺ، المبرّأة من فوق سبع سمواتٍ.

---

(١) «الرد على الجهمية» ص (٤٧) رقم (٨٣) وإسناده حسن.

(٢) تقدم تخريجه ص (٦٠) رقم (٣).

* قول/ عكرمة رحمه الله تعالى: ٢٩/أ

قال سلمة بن شبيب: حدثنا إبراهيم بن الحكم قال: حدثني أبي عن عكرمة ـ رحمه الله تعالى ـ قال: بينما رجل مستلق على مثلة في الجنة فقال في نفسه ـ لم يحرك [شفتيه] ـ: لو أن الله يأذن لي لزرعت في الجنة، فلم يعلم إلا والملائكة على أبواب جنته قابضين على أكفّهم، فيقولون: سلام عليك، فاستوى قاعداً، فقالوا له: يقول ربّك تمنيتَ شيئاً في نفسك قد علمته، وقد بعث معنا هذا البذر، يقول [لك]: ابذر، فألقى يميناً وشمالاً وبين يديه وخلفه، فخرج أمثال الجبل على ما كان تمنى وزاد، فقال له الربُّ من فوق عرشه: كُلْ يا ابنَ آدمَ، فإنَّ ابنَ آدمَ لا يشبع.

* قول قتادة رحمه الله تعالى:

قال الدارمي: أخبرنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو هلال، حدثنا قتادة قال: قالت: بنو إسرائيل يا رب! أنت في السماء ونحن في الأرض، فكيف لنا أن نعرف رضاك وغضبك؟ قال: إذا رضيت عنكم استعملت عليكم خياركم، وإذا غضبت استعملت عليكم شراركم[1].

* قول سليمان التيمي رحمه الله تعالى:

قال ابن أبي خيثمة في «تاريخه»: حدثنا هارون بن معروف قال: حدثنا [ابن] ضمرة، عن صدقة التيمي، عن سليمان التيمي قال: لو سئلت أين الله؟ لقلت: في السماء.

* قول كعب الأحبار رحمه الله تعالى:

قال الليث بن سعد: حدثني خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال أن زيد بن أسلم حدثه عن عطاء بن يسار قال: أتى رجل كعباً وهو في نفر، فقال:

---

(١) «الرد على الجهمية» ص ٤٩ رقم (٨٧)، وأورده الذهبي في «العلو» ص ٩٦ وقال: هذا ثابت عن قتادة.

يا أبا إسحاق! حدثني عن الجبار، فأعظم القوم له، فقال كعب: دعوا الرجل فإن كان جاهلاً تعلّم، وإن كان عالماً ازداد علماً. ثم قال كعب: أخبرك أن الله خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن، ثم جعل ما بين كل سمائين كما بين سماء الدنيا والأرض وكثفهن مثل ذلك، ثم رفع العرش فاستوى عليه فوقه.

وقال نعيم بن حماد: أخبرنا أبو صفوان الأموي، عن يونس بن يزيد، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن كعب قال: قال الله في التوراة: أنا الله فوق عبادي، وعرشي فوق جميع خلقي، وأنا على عرشي أدبّر أمور عبادي، لا يخفى عليَّ شيء من أمر عبادي في سمائي ولا في أرضي، وإليَّ مرجع خلقي، فأنبئهم بما خفي عليهم من علمي، أغفر لمن شئت منهم بمغفرتي، وأعاقب من شئت بعقابي.

* قول مقاتل ـ رحمه الله تعالى ـ:

ذكر البيهقي في «الأسماء/والصفات»[1]، عن بكير بن معروف، عن ٢٩/ب مقاتل: بلغنا والله أعلم في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿هُوَ الأَوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ والباطِنُ﴾ [الحديد: ٣] الأول قبل كل شيء، والآخر بعد كل شيء، والظاهر فوق كل شيء، والباطن أقرب من كل شيء. وإنما يعني القرب بعلمه وقدرته وهو فوق عرشه وهو بكل شيء عليم.

وبهذا الإسناد عنه في قوله تعالى: ﴿إلَّا هو معهم﴾ يقول بعلمه وذلك قوله: ﴿إنَّ اللهَ بكلِّ شيءٍ عَليم﴾ [التوبة: ١١٥] فيعلم نجواهم، ويسمع كلامهم ثم ينبئهم يوم القيامة بكل شيء، وهو فوق عرشه وعلمه معهم[2].

* قول الضحاك ـ رحمه الله تعالى ـ:

روى بكير بن معروف، عن مقاتل بن حيان عنه: ﴿ما يكون مِنْ نَجْوى

---

(١) «الأسماء والصفات» للبيهقي ٢/١٧٣

(٢) «الأسماء والصفات» ٢/١٧٣ ـ ١٧٤.

ثَلاثَةٍ إلَّا هُوَ رابِعُهُم ولا خَمْسةٍ إلا هُوَ سادِسُهُم﴾ [المجادلة: ٧] قال: هو الله عز وجل على العرش وعلمه معهم[١].

*** قول التابعين جملة:**

روى البيهقي[٢] بإسناد صحيح إلى الأوزاعي قال: كنا والتابعون متوافرون نقول: إنّ الله تعالى جلّ ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت السُّنةُ به من صفاته.

قال شيخ الإسلام: وإنما قال الأوزاعي ذلك بعد ظهور جهم المنكر لكون الله ـ عز وجل ـ فوقَ عرشه والنافي لصفاته، ليعرف الناس أنّ مذهب السلف كان بخلاف قوله.

وقال أبو عمر ابن عبد البر في «التمهيد»: وعلماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله تعالى: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم [ولا خمسة إلا هو سادسهم]﴾: [المجادلة: ٧] هو على العرش وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحدٌ يُحْتَجُّ به.

*** قول الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ:**

روى أبو بكر الهذلي، عن الحسن ـ رحمه الله تعالى ـ قال: ليس شيء عند ربك من الخلق أقرب إليه من إسرافيل، وبينه وبين ربه سبع حجب كل حجاب مسيرة خمسمائة عام، وإسرافيل دون هؤلاء ورأسه تحت العرش ورجلاه في تخوم السابعة.

*** قول مالك بن دينار رحمه الله تعالى:**

ذكر أبو العباس السراج، حدثنا عبد الله بن أبي زياد وهارون قالا: حدثنا

---

(١) «الأسماء والصفات» ٢/١٧٣.

(٢) «الأسماء والصفات» ٢/١٥٠.

سيار قال: حدثنا جعفر قال: سمعت مالك بن دينار يقول: إن الصدّيقين إذا قرئ عليهم القرآن طربت قلوبهم إلى الآخرة، ثم يقول: خذوا، فيقرأون، ويقول: اسمعوا إلى قوله الصادق من فوق عرشه.

وكان مالك بن دينار وغيره من السلف يذكرون هذا الأثر: ابن آدم خيري إليك نازل وشرك يصعد إليَّ، وأتحبب إليك بالنعم، وتتبغض إلي بالمعاصي ولا يزال ملك كريم قد عرج إليَّ منك بعمل قبيح.

٣٠/أ *** قول ربيعة بن عبد الرحمن/ ـ رحمه الله ـ شيخ مالك بن أنس ـ رحمة الله عليه ـ:**

قال يحيى بن آدم، عن أبيه، عن ابن عيينة قال: سئل ربيعة عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله تعالى الرسالة، وعلى الرسول ﷺ البلاغ، وعلينا التصديق.

*** قول عبد الله بن الكوَّا ـ رحمه الله تعالى ـ:**

ذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر ـ رحمه الله تعالى ـ في «تاريخه»، عن هشام بن سعد قال: قدم عبد الله بن الكوا على معاوية فقال له: أخبرني عن أهل البصرة؟ قال: يقاتلون معاً ويدبرون شتى. قال: فأخبرني عن أهل الكوفة؟ قال: أنظر الناس في صغيرة وأوقعهم في كبيرة، قال: فأخبرني عن أهل المدينة؟ قال: أحرص الناس على الفتنة وأعجزهم عنها. قال: فأخبرني عن أهل مصر؟ قال: لقمة أكل. قال: فأخبرني عن أهل الجزيرة؟ قال: كناسة بين مدينتين. قال: فأخبرني عن أهل الموصل؟ قال: قلادة وليدة فيها من كل شيء خرزة. قال: فأخبرني عن أهل الشام؟ قال: جند أمير المؤمنين لا أقول فيهم شيئاً. قال: لتقولنّ. قال: أطوع الناس لمخلوق وأعصاه لخالق ولا يحسبون للسماء ساكناً.

قول تابعي التابعين

*** ذكر قول عبد الله بن المبارك رحمه الله:**

روى الدارمي والحاكم والبيهقي وغيرهم بأصح إسناد إلى علي ابن الحسين بن شقيق قال: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: نعرف ربنا بأنه فوق سبع سموات على العرش استوى بائن من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية.

وفي لفظ آخر: قلت: كيف نعرف ربنا؟ قال: في السماء السابعة على عرشه، ولا نقول كما قالت الجهمية.

قال الدارمي: حدثنا الحسن بن الصباح البزار، وحدثنا علي بن الحسين بن شقيق، عن ابن المبارك قال: قيل له: كيف نعرف ربنا؟ قال: بأنه فوق السماء السابعة على العرش بائن من خلقه[1].

قال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي: ومما يحقق قولَ ابن المبارك قولُ رسول الله ﷺ للجارية: «أين الله» يمتحن بذلك إيمانها، فلما قالت: في السماء. قال: أعتقها فإنها مؤمنة. والآثار في ذلك عن رسول الله ﷺ كثيرة، والحجج متظاهرة، والحمد الله على ذلك[2]، ثم ساقها الدارمي ـ رضي الله عنه ـ.

وذكر ابن خزيمة عن ابن مبارك أنه قال له رجل: يا أبا عبد الرحمن: قد

---

(١) «الرد على الجهمية» رقم (٦٧)، واسناده حسن.
(٢) «الرد على الجهمية» رقم (٦٨).

٣٠/ب خفت من كثرة ما/أدعو على الجهمية. قال: لا تخف فإنهم يزعمون أنّ إلهك الذي في السماء ليس بشيء[١].

وصحّ عن ابن مبارك أنه قال: إنّا نستطيع أن نحكي كلامَ اليهود والنصارى، ولا نستطيع أن نحكي كلامَ الجهمية[٢].

*** قول الأوزاعي رحمه الله تعالى:**

قال أبو عبد الله الحاكم: أخبرني محمد بن علي الجوهري ببغداد، حدثنا إبراهيم بن الهيثم، حدثنا محمد بن كثير المصيصي قال: سمعت الأوزاعي يقول: كنا والتابعون متوافرون نقول: إنّ الله تعالى ذكره فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة[٣]. وهذا الأثر يدخل في حكاية مذهبه ومذهب التابعين، فلذلك ذكرناه في الموضعين.

*** قول حماد بن زيد رحمه الله تعالى:**

قال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة: حدثنا أحمد بن إبراهيم قال: حدثنا سليمان بن حرب قال: سمعت حماد بن زيد يقول: الجهمية إنما يحاولون أن يقولوا: ليس في السماء شيء[٤].

قال شيخ الإسلام: وهذا الذي كانت الجهمية يحاولونه قد صرّح به المتأخرون منهم، وكان ظهور السنة وكثرة الأئمة في عصر أولئك يحول بينهم وبين التصريح به، فلما بعد العهد وخفيت السنة وانقرضت الأئمة صرحت الجهمية النفاة بما كان سلفهم يحاولونه ولا يتمكّنون من إظهاره.

---

(١) «السنة» ص (١٣) رقم (٢٥).
(٢) «السنة» ص (١٣) رقم (٢٤).
(٣) تقدم تخريجه برقم (١١١).
(٤) «السنة» ص (١٥) رقم (٤٠).

* قول سفيان الثوري رحمه الله تعالى:

قال معدان: سألت سفيان الثوري عن قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]: «علمه». ذكره أبو عمر.

* قول وهب بن جرير رحمه الله تعالى:

قال الأثرم: حدثنا أبو عبد الله الأويسي قال: سمعت وهب بن جرير يقول: إنما تريد الجهمية أنه ليس في السماء شيء.

قال: وقلت لسليمان بن حرب: أي شيء كان حماد بن زيد يقول في الجهمية؟ فقال: كان يقول: إنما يريدون أنه ليس في السماء شيء.

* * *

ذكر أقوال الأئمة الأربعة رحمهم الله تعالى

* قول الإمام أبي حنيفة قدّس اللهُ روحه:

قال البيهقي: حدثنا أبو بكر بن الحارث الفقيه قال: أخبرنا أبو محمد ابن حيان، أخبرنا أحمد بن جعفر بن نصر [قال:] حدثنا يحيى بن يعلى قال: سمعت نعيم بن حماد يقول: سمعت نوح بن أبي مريم أبا عصمة يقول: كنا عند أبي حنيفة أولَ ما ظهر، إذ جاءته امرأةٌ من ترمذ كانت تجالس جهماً، فدخلت الكوفة، فقيل لها: إن ها هنا رجلاً قد نظر في المعقول يقال له: أبا حنيفة، [فَأْتِيهِ،] فأتته فقالت: أنت/الذي تعلّم الناس المسائل وقد تركت دينك؟ أين إلهك الذي تعبده؟ فسكت عنها، ثم مكث سبعة أيام لا يجيبها، ثم خرج إلينا وقد وضع كتاباً: إنّ الله تبارك وتعالى في السماء دون الأرض، فقال له رجل: أرأيت قولَ الله عز وجل: ﴿وهُوَ مَعَكُم﴾ قال: هو كما كتب للرجل إني معكم وأنت عنه غائب[1].

٣١/أ

قال البيهقي: لقد أصاب أبو حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ فيما نفي عن الله عز وجل من الكون في الأرض، وفيما ذكر من تأويل الآية، وتبع مطلق السمع في قوله: إنّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في السماء.

قال شيخ الإسلام: وفي «كتاب الفقه الأكبر» المشهور عند أصحاب أبي حنيفة الذي رواه بإسناد عن أبي مطيع البلخي الحكم بن عبد الله قال: سألت أبا حنيفة عن الفقه الأكبر قال: لا تكفر أحداً بذنب، ولا تنفي أحداً من الإيمان به، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتعلم أنّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولا تتبرأ من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ، ولا توالي أحداً دونِ أحد، وأن ترد أمر عثمان وعلي ـ رضي الله عنهما ـ إلى الله

---

(١) «الأسماء والصفات» ٢/١٧٠ ـ ١٧١، وفي الاسناد نوح بن أبي مريم أبا عصمة، وهو متهم بالوضع. ونعيم بن حماد ضعيف.

تعالى. قال أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ: الفقه الأكبر في الدين خير من الفقه في العلم، ولأن يتفقه الرجلُ كيف يعبد الله ـ عز وجل ـ خير من أن يجمع العلم الكثير. قال أبو مطيع: قلت: فأخبرني عن أفضل الفقه؟ قال: يتعلّم الرجلُ الإيمانَ والشرائعَ والسننَ والحدودَ واختلافَ الأئمة... وذكر مسائل في الإيمان، ثم ذكر مسائل في القدر، ثم قال: فقلت: فما تقول فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيتبعه على ذلك أناس فيخرج عن الجماعة؟ هل ترى ذلك؟ قال: لا. قلت: ولِمَ وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو فريضة واجبة؟ فقال: كذلك، لكن ما يفسدون أكثر مما يصلحون من سفك الدماء، واستحلال الحرام... وذكر الكلامَ في قتال الخوارج والبغاة إلى أن قال: قال أبو حنيفة: ومن قال: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض، فقد كفر، لأن الله تعالى يقول: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] وعرشه فوق سبع سموات.

قلت: فإن قال إنه على العرش، ولكنه يقول: لا أدري العرش في السماء أم في الأرض؟ قال: هو كافر، لأنه أنكر أن يكون في السماء، لأنه تعالى في أعلى عليين، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل.

وفي لفظ سألت أبا حنيفة عمن يقول: لا أعرف ربي / في السماء أو في الأرض؟ قال: فقد كفر، لأن الله يقول: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ وعرشه فوق سبع سموات. قال: فإنه يقول: على العرش استوى، ولكنه لا يدري العرش في الأرض أو في السماء؟ قال: إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر[1]. ٣١/ب

---

(١) في اسناده أبو مطيع، قال القاضي أحمد بن أبي العز في «شرح العقيدة الطحاوية» ص (٣٧٦) طبعتنا ـ مكتبة دار البيان بدمشق: هو الحكم بن عبد الله بن مسلمة البلخي، ضعفه أحمد بن علي الفلاس، والبخاري وأبوداود، والنسائي، وأبو حاتم الرازي، وأبو حاتم عن ابن حبان البستي، والعقيلي، وابن عدة والدارقطني وغيرهم. أهـ.

وروي هذا عن شيخ الإسلام [أبي] إسماعيل الأنصاري في كتابه «الفاروق» بإسناده.

قال شيخ الإسلام أبو العباس أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ: ففي هذا الكلام المشهور عن أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ عند أصحابه أنه كَفَّرَ الواقف الذي يقول: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض، فكيف يكون الجاحد النافي الذي يقول: ليس في السماء ولا في الأرض؟ واحتج على كفره بقوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥] قال: وعرشه فوق سبع سموات وبيّن بهذا أن قوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ بيّن في أن الله ـ عز وجل ـ فوق السموات فوق العرش، وأن الاستواء على العرش، دل على أن الله نفسه فوق العرش، ثم أردف ذلك بكفر من توقّف في كَوْنِ العرش في السماء أو في الأرض، قال: لأنه أنكر أن يكون في السماء، وأن الله في أعلى عليين، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل، واحتج بأنّ الله في أعلى عليين، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل، وكل من هاتين الحجتين فطرية عقلية، فإنّ القلوبَ مفطورةٌ على الإقرار بأنّ الله ـ عز وجل ـ في العلو، وعلى أنه يدعى من أعلى لا من أسفل، وكذلك أصحابه من بعده كأبي يوسف، وهشام بن عبيد الله الرازي.

كما روى ابنُ أبي حاتم وشيخ الإسلام بإسنادهما إلى أن هشام بن عبيد الرازي، صاحب محمد بن الحسن قاضي الري حبس رجلًا في التجهّم، فتاب، فجيء به إلى هشام ليمتحنه، فقال: الحمد لله على التوبة، فامتحنه هشام فقال: أشهد أن الله على عرشه بائن من خلقه. فقال: تشهد أن الله على عرشه، ولا تدري ما بائن من خلقه، فقال: ردّوه إلى الحبس، فإنه لم يتب.

وسيأتي قول الطحاوي عند أقوال أهل الحديث.

*** قول إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه:**

ذكر أبو عمر بن عبد البر في «كتاب التمهيد»: أخبرنا عبد الله بن

محمد بن عبد المؤمن، حدثنا أحمد بن جعفر بن أحمد أن ابن مالك قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل: حدثني أبي قال: حدثنا شريح بن النعمان، حدثنا عبدالله بن نافع قال: قال مالك بن أنس: الله في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو منه مكان. قال: وقيل لمالك ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه: ٥] كيف استوى؟ فقال مالك ـ رحمه الله تعالى ـ: استواؤه معقول وكيفيته مجهولة وسؤالك عن هذا بدعة وأراك رجل سوء.

وكذلك أئمة أصحاب مالك من بعده:

قال يحيى بن إبراهيم الطليطلي في «كتاب سير» ـ الفقهاء ـ وهو كتاب جليل غزير العلم ـ: حدثني/ عبد الملك بن حبيب، [عن عبد الله] بن المغيرة، عن الثوري، عن الأعمش، عن إبراهيم قال: كانوا يكرهون قول الرجل: يا خيبة الدهر، وكانوا يقولون: الله هو الدهر، وكانوا يكرهون قول الرجل: رغم أنفي لله، وإنما يرغم أنف الكافر، وكانوا يكرهون قول الرجل: لا والذي خاتمه على فمي، وإنما يختم على فم الكافر، وكانوا يكرهون قول الرجل: والله حيث كان، أو أن الله بكل مكان. ١/٣٢أ

قال أصبغ: وهو مستو على عرشه؟ وبكل مكان علمه وإحاطته. وأصبغ من أجلّ أصحاب مالك وأفقههم.

*** ذكر قول أبي عمر الطلمنكي:**

قال في «كتابه في الأصول»: أجمع المسلمون من أهل السنة على أن الله استوى على عرشه بذاته.

وقال في هذا الكتاب أيضاً: أجمع أهل السنة على أن الله تعالى [استوى على عرشه] على الحقيقة لا على المجاز... ثم ساق بسنده عن مالك قوله: الله في السماء وعلمه في كل مكان.

ثم قال في هذا الكتاب: وأجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُم أَيْنَما كُنْتُم﴾ [الحديد: ٤] ونحو ذلك من القرآن بأن ذلك علمه، وأن الله فوق السموات بذاته مستو على عرشه كيف شاء. هذا لفظه في كتابه.

*** قول بخاري الغرب الحافظ أبي عمر بن عبد البر إمام السنة في زمانه رحمه الله تعالى:**

قال في «كتاب التمهيد» في شرح الحديث الثامن لابن شهاب، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له؟»:[1] هذا الحديث ثابت من جهة النقل، صحيح الإسناد لا يختلف أهلُ الحديث في صحته، وفيه دليل على أنّ الله - عز وجل - في السماء على العرش من فوق سبع سموات، كما قالت الجماعة، وهو حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم: إنّ الله في كل مكان وليس على العرش، والدليل على صحة ما قال أهلُ الحق في ذلك قوله تعالى: ﴿الرَّحْمٰنُ عَلى العَرْشِ اسْتَوى﴾[طه: ٥].

(١) البخاري (١١٤٥) و(٦٣٢١) و(٧٤٩٤)، ومسلم (٧٥٨)، و«الموطأ» ١/٢١٤، وأبو داود (١٣١٥) و(٤٧٣٣)، والترمذي (٣٤٩٣)، وابن ماجة (١٣٦٦)، والدارمي (١٤٨٦) و(١٤٨٧)، وأحمد ٢/٢٥٨ و٢٦٤ و٢٦٥ و٢٨٢ و٤١٩ و٤٣٣ و٤٨٧ و٥٠٤، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤٧٦ - ٤٨٦)، وابن السني (٣٦٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي الباب عن علي وابن مسعود وعثمان بن أبي العاص وعمرو بن عبسة رضي الله عنهم عند أحمد، وعن جبير بن مطعم ورفاعة الجهني رضي الله عنهما عند النسائي والدارمي، وعن أبي الدرداء وعبادة بن الصامت رضي الله عنهما عند الطبراني. وعن عقبة بن عامر وجابر بن عبدالله رضي الله عنهم عند الدارقطني. انظر «الإرواء» (٤٥٠)

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى مؤلف كبير لهذا الحديث، طبع أكثر من مرة باسم «شرح حديث النزول».

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوى عَلى العَرْشِ ما لَكُم مِن دُونهِ من وليٍّ وَلا شَفِيعٍ أفَلا تَتَذكّرون﴾ [السجدة: ٤].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوى إلى السّماءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١].

وقوله تعالى: ﴿إذاً لابْتَغَوْا إلى ذي العَرْشِ سَبيلاً﴾ [الإسراء: ٤٢].

وقوله تبارك اسمه: ﴿إلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطّيِّبُ والعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمّا تَجَلّى ربُّهُ للجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وقوله تعالى: ﴿أءَمِنْتُم مَنْ في السّماءِ أنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأرْضَ﴾ [الملك: ١٦].

وقوله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأعْلى﴾[الأعلى: ١] وهذا من العلو.

وكذلك قوله: ﴿العَلِيُّ العَظيم﴾ [البقرة: ٢٥٥] و﴿الكَبيرُ المُتَعالِ﴾ [الرعد: ٩] و﴿رَفِيعُ الدَّرَجاتِ ذُو العَرْشِ﴾ [غافر: ١٥] و﴿يَخافُونَ رَبّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]. والجهمي يقول: إنه أسفل.

وقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الأمرَ مِنَ السّماءِ إلى الأرْضِ ثُمَّ يَعْرجُ إليْه﴾ [السجدة: ٥].

وقوله: ﴿تَعْرُجُ المَلائِكَةُ والرُّوحُ إليْهِ﴾ [المعارج: ٤]. [والعروج: هو الصعود].

وقوله تعالى: ﴿يا عِيسَى إنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إليَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

وقوله تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ الله إلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨].

وقوله تعالى: ﴿فالذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ﴾ [فصلت: ٣٨].

/وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُ دافِعٌ * مِنَ الله ذي المَعارِجِ * تَعْرُجُ الملائِكَةُ ٣٢/ب والرُّوحُ إلَيْهِ﴾ [المعارج: ٢ ـ ٤]. والعروج: هو الصعود.

وأما قوله: ﴿أَءَمِنْتُم مَنْ في السَّماءِ﴾ [الملك: ١٦] فمعناه: مَنْ في السماء، يعني على العرش، وقد تكون «في» بمعنى «على»، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فَسِيحُوا في الأَرْضِ﴾ [التوبة: ٢] أي على الأرض.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ولأُصَلِّبَنَّكُمْ في جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، وهذا كله يعضده قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الملائِكَةُ والرُّوحُ إليهِ﴾ [المعارج: ٤]، وما كان مثله مما تلونا من الآيات في هذا الباب، وهذه الآيات كلها واضحات في إبطال قول المعتزلة.

وأما ادعاؤهم المجاز في الاستواء، وقولهم في تأويل استوى: استولى، فلا معنى له لأنه غير ظاهر في اللغة، ومعنى الاستيلاء في اللغة: المغالبة، والله تعالى لا يغالبه أحد، وهو الواحد الصمد، ومن حقّ الكلام أن يُحْمَلَ على حقيقته حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز، إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا ـ تعالى ـ إلا على ذلك، وإنما يوجه كلام الله ـ عز وجل ـ على الأشهر والأظهر من وجوهه ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم، ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مُدَّعٍ ما ثبت شيء من العبادات، وجَلَّ الله أن يخاطبَ إلا بما تفهمه العرب من معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين، والاستواء معلوم في اللغة مفهوم، وهو العلو والارتفاع على الشيء والاستقرار والتمكّن فيه.

قال أبو عبيدة في قوله: ﴿الرَّحْمٰنُ عَلى العَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] قال: علا، قال: وتقول العرب: استويت فوق الدابة واستويت فوق البيت. وقال غيره: استوى أي استقر، واحتج بقوله تعالى: ﴿ولمّا بَلَغَ أشُدَّهُ واسْتَوى﴾ [القصص: ١٤] أي انتهى شبابه واستقر، فلم يكن في شبابه مزيد، قال ابن عبد البر: الاستواء: الاستقرارِ في العلو، وبهذا خاطبنا الله ـ عز وجل ـ في كتابه فقال: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُم إذا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الزخرف: ١٣] وقال تعالى: ﴿واسْتَوَتْ عَلى الجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤]، وقال تعالى:

﴿فإذا اسْتَوَيْتَ أنْتَ ومَنْ مَعَكَ عَلَى الفُلْكِ﴾ [المؤمنون: ٢٨]. وقال الشاعر:

فـأوردتـهم مـاءً بـفيـفـاءَ قَـفْـرَةً وقَـدْ حَلّقَ النّجْمُ اليماني فـاسْتَوى

وهذا لا يجوز أن يتأول فيه أحد: استولى، لأن النجم لا يستولي، وقد ذكر النضر بن شميل وكان ثقة مأموناً جليلاً في علم الديانة واللغة قال: حدثني الخليل ـ وحسبك بالخليل ـ قال: أتيت أبا ربيعة الأعرابي، وكان من أعلم ما رأيت، فإذا هو على سطح، فسلمنا، فردّ علينا السلام، وقال: استووا، فبقينا متحيرين ولم ندرِ ما قال، فقال لنا أعرابي إلى جانبه: إنه أمركم أن ترتفعوا، فقال الخليل: هو من قول الله ﴿ثمَّ استَوَى إلى السّماءِ وهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١] فصعدنا إليه.

قال: وأما من نزع منهم بحديث يرويه عبد الله بن داود الواسطي عن إبراهيم بن عبد الصمد، /عن عبد الوهاب بن مجاهد، عن أبيه، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمٰنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾ قال: استولى على جميع بريته فلا يخلو منه مكان. ٣٣/أ

فالجواب: إن هذا حديث منكر على ابن عباس رضي الله عنهما، ونَقَلَته مجهولة وضعفاء، فإما عبد الله بن داود الواسطي، وعبد الوهاب بن مجاهد فضعيفان، وإبراهيم بن عبد الصمد مجهول لا يعرف.

وهم لا يقبلون أخبار الآحاد العدول، فكيف يسوغ لهم الاحتجاج بمثل هذا الحديث لو عقلوا وأنصفوا.

أما سمعوا الله سبحانه حيث يقول: ﴿وقالَ فِرْعَوْنُ يا هَامانُ ابْنِ لي صَرْحاً لَعَلّي أبْلُغُ الأسْبابَ * أسْبابَ السّمواتِ فأطّلِعُ إلى إلهِ مُوسَى وإنّي لأظُنُّهُ كاذِباً﴾ [غافر: ٣٦ ـ ٣٧] فدلّ على أن موسى عليه الصلاة والسلام كان يقول: إلهي في السماء، وفرعون يظنه كاذباً، وقال الشاعر:

فَسُبْحانَ مَنْ لا يقدر الخَلْقَ قَدْرَه ... ومَنْ هُوَ فَوْقَ العَرْشِ فَرْدٌ مُوَحَّدُ
مَليكٌ على عَرْشِ السّماءِ مُهَيْمِنٌ ... لِعزّتِهِ تَعْنُو الوجُوهُ وتَسْجُدُ

وهذا الشعر لأميةَ بن أبي الصلت، وفيه يقول في وصف الملائكة:

وساجِدُهم لا يَرْفَعُ الدَّهْر رأسَه ... يُعَظِّمُ رباً فَوْقَهُ ويُمَجِّدُ

قال: فإن احتجوا بقوله تعالى: ﴿وهُوَ الّذي في السّماءِ إلهٌ وفي الأرْضِ إلهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤] وبقوله تعالى: ﴿وهُوَ الله في السّمواتِ وفي الأرْضِ﴾ [الأنعام: ٣]، وبقوله تعالى: ﴿ما يَكونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إلّا هُوَ رابِعُهُمْ ولا خَمْسَةٍ إلّا هُوَ سادِسُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧].

وَزَعموا أنّ الله سبحانه في كل مكان بنفسه وذاته تبارك الله اسمه وتعالى جدّه، قيل: لا خلاف بيننا وبينكم وبين سائر الأمة، أنه ليس في الأرض دون السماء بذاته، فوجب حمل هذه الآيات على المعنى الصحيح المجمع عليه، وذلك أنه في السماء إله معبود من أهل السماء، وفي الأرض إله معبود من أهل الأرض، وكذا قال أهل العلم بالتفسير، وظاهر هذا التنزيل يشهد أنه على العرش، فالاختلاف في ذلك ساقط وأسعد الناس به من ساعده الظاهر.

وأما قوله في الآية الأخرى ﴿وفي الأرض إله﴾ فالإجماع والاتفاق قد بين أنّ المرادَ أنه معبود من أهل الأرض، فتدبر هذا فإنه قاطع.

ومن الحجة أيضاً في أنه ـ عز وجل ـ على العرش فوق السموات السبع: أن الموحدين أجمعين من العرب والعجم إذا كربهم أمرٌ، ونزلت بهم شدة رفعوا وجوههم إلى السماء ونصبوا أيديهم رافعين لها مشيرين بها إلى السماء يستغيثون الله ربهم تبارك وتعالى، وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج فيه الى أكثر من حكايته، لأنه اضطرار/ لم يوقفهم عليه أحد، ولا أنكره عليهم مسلم، وقد قال ﷺ للأَمَة التي أراد مولاها عتقها، إن كانت مؤمنة، فاختبرها رسول الله ﷺ بأن قال لها: «أين الله؟» فأشارت إلى

١٣٣/ب

السماء، ثم قال لها: «من أنا» قالت: أنت رسول الله. قال: «اعتقها فإنها مؤمنة»[1] فاكتفى رسولُ الله ﷺ منها برفع رأسها إلى السماء واستغنى بذلك عما سواه.

قال: وأما احتجاجهم بقوله تعالى: ﴿ما يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إلَّا هُوَ رابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، فلا حجة لهم في ظاهر هذه الآية، لأن علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل في القرآن قالوا في تأويل هذه الآية: هو على العرش وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله.

وذكر سنيد، عن مقاتل بن حيان، عن الضحاك بن مزاحم في قوله تعالى: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ [المجادلة: ٧] قال: هو على عرشه وعلمه معهم أينما كانوا. قال: وبلغني عن سفيان الثوري مثله.

قال سنيد: حدثنا حماد بن زيد، عن عاصم بن بهدلة، عن زر بن حبيش، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: الله ـ عز وجل ـ فوق العرش [وعلمه في كل مكان] لا يخفى عليه شيء من أعمالكم. ثم ساق من طريق يزيد بن هارون، عن حماد بن سلمة، عن عاصم بن بهدلة، عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام، وما بين كل سماء إلى الأخرى مسيرة خمسمائة عام، وما بين السماء السابعة إلى الكرسي مسيرة خمسمائة عام، وما بين الكرسي إلى الماء مسيرة خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله تبارك وتعالى على العرش ويعلم أعمالكم. وذكر هذا الكلام أو قريباً منه في «كتاب الاستذكار».

*** ذكر قول الإمام مالك الصغير أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني:**

قال في خطبة «رسالته» المشهورة (باب ما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة

(١) تقدم تخريجه ص (٦٠) رقم (٢).

من واجب أمور الديانات): ومن ذلك الإيمان بالقلب والنطق باللسان: أن الله إله واحد لا إله غيره، ولا شبيه له، ولا نظير له، ولا ولد له، ولا والد له، ولا صاحبة له، ولا شريك له، ليس لأوليته ابتداء، ولا لآخرته انقضاء، ولا يبلغ كنه صفته الواصفون، ولا يحيط بأمره المتفكرون، يعتبر المتفكرون بآياته ولا يتفكرون في ماهية ذاته ﴿ولا يُحيطونَ بشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إلَّا بمَا شاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السمواتِ والأرْضِ وَلا يَؤُدُهُ حِفظُهُما وهُو العَلِيُّ العَظيم﴾ [البقرة: ٢٥٥] الخبير، المدبّر القدير السميع البصير العلي الكبير، وإنه فوق عرشه المجيد بذاته، وهو في كل مكان بعلمه.

وكذلك ذكر مثل هذا في «نوادره» وغيرها من كتبه، وذكر في كتابه المفرد في / السنة تقرير العلو واستواء الرب تعالى على عرشه بذاته أتم تقرير فقال: ٣٤/أ

* * *

١٣ - فصل

فيما اجتمعت عليه الأمة من أمور الديانة من السنن التي خلافها بدعة وضلالة إنّ الله سبحانه وتعالى اسمه له الأسماء الحسنى والصفات العلى، لم يزل بجميع صفاته، وهو سبحانه موصوف بأن له علماً وقدرة وإرادة ومشيئة، أحاط علماً بجميع ما بدا قبل كونه وفطر الأشياء بإرادته، وقوله: ﴿إنّما أمْرُهُ إذا أرادَ شَيْئاً أنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيكُون﴾ [يس: ٨٢] وأن كلامه صفة من صفاته، ليس بمخلوق فيبيد، ولا صفة لمخلوق فينفد، وأن الله - عز وجل - كلّم موسى - عليه الصلاة والسلام - بذاته، وأسمعه كلامه لا كلاماً قام في غيره، وأنه يسمع ويرى ويقبض ويبسط، وأن يداه مبسوطتان، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه وأن يداه غير نعمته في ذلك وفي قوله سبحانه: ﴿مَا مَنَعْكَ أنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]. وأنه يجيء يومَ القيامة بعد أن لم يكن جائياً - والمَلَك صفاً صفاً - لعرض الأمم وحسابها وعقابها وثوابها، فيغفر

لمن يشاء ويعذّب منهم من يشاء، وأنه يرضى عن الطائعين ويحب التوابين، ويسخط عن من كفر به، ويغضب فلا يقوم شيء لغضبه، وأنه فوق سمواته على عرشه دون أرضه، وأنه في كل مكان بعلمه، وأن لله سبحانه كرسياً، كما قال ـ عز وجل ـ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّه السّمواتِ والأرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وبما جاءت به الأحاديث أن الله سبحانه يضع كرسيه يوم القيامة لفصل القضاء.

وقال مجاهد: كانوا يقولون: ما السموات والأرض في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض، وأن الله سبحانه وتعالى يراه أولياؤه في المعاد بأبصارهم لا يضاهون في رؤيته، كما قال ـ عز وجل ـ في كتابه، وعلى لسان نبيّه ﷺ: ﴿وجُوهٌ يَومَئِذٍ ناضِرَةٌ * إلى رَبِّها ناظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣] وقال رسول الله ﷺ في قول الله ـ عز وجل ـ ﴿للّذينَ أحْسَنُوا الحُسْنَى وزِيادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]: هو النظر إلى وجهه الكريم، وأنه يكلم عباده يوم القيامة ليس بينهم وبينه واسطة ولا ترجمان، وأن الجنة والنار دارين قد خلقتا أعدت الجنة للمؤمنين المتقين، والنار للكافرين الجاحدين، ولا يفنيان. والإيمان بالقدر خيره وشره، وكلّ ذلك قد قدّره ربُّنا سبحانه وتعالى وأحصاه علمه، وأن مقادير الأمور بيده ومصدرها عن قضائه، تفضل على من أطاعه، فوفّقه وحَبَّب الإيمانَ إليه وَزَيَّنه في قلبه، فيسَّره له وشرح له صدره ونَور له قلبه فهداه ﴿ومَنْ يَهْدِ الله فَما لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾ [الزمر: ٣٧]، /وخذل من عصاه وكفر به فأسلمه ويسره، فحجبه وأضله ﴿ومَنْ يُضْلِلِ الله فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وليّاً مُرْشِداً﴾ [الكهف: ١٧] وكلٌّ ينتهي إلى سابق علمه لا محيص لأحد عنه. ٣٤/ب

وأن الإيمان قول باللسان وإخلاص بالقلب وعمل بالجوارح، يزيد ذلك بالطاعة وينقص ذلك بالمعصية نقصاً عن حقائق الكمال لا محبط للإيمان، ولا قول إلا بعمل، ولا قول ولا عمل إلا بنية، ولا قول ولا عمل ولا نية إلا بموافقة السنة، وأنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب وإن كان كبيراً، ولا يحبط الإيمان غير الشرك بالله تعالى كما قال سبحانه: ﴿لَئِنْ أشْرَكْتَ لَيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر:

٦٥] . وقال تعالى: ﴿إِنَّ الله لا يَغْفِرُ أن يُشْرَكَ بِهِ ويَغْفِرُ ما دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشاءُ﴾ [النساء: ١١٦] وإنَّ على العباد حفظة يكتبون أعمالهم، كما قال تعالى ﴿وإنَّ عليكُمْ لحافظين * كراماً كاتبين * يَعْلَمون ما تَفْعَلُون﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١١]. وقال تعالى: ﴿ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلَّا لَدَيْهِ رَقيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] وأن مَلَكَ الموت يقبض الأرواح كلها بإذن الله تعالى متى شاء. كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفّاكُم مَلَكُ المَوْتِ الذي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١]. وأن الخلق ميتون بآجالهم، فأرواح أهل السعادة باقية منعمة إلى يوم القيامة، وأرواح أهل الشقاء في سِجِّين معذَّبة إلى يوم القيامة، وأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، وأن عذاب القبر حق، وأن المؤمنين يفتنون في قبورهم، ويضغطون ويسألون، وَيُثَبِّت اللهُ منطق من أحب تثبيته، وأنه ينفخ في الصور فَيُصْعَقُ مَنْ في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، كما بدأهم يعودون: عراةً حفاةً غُرْلاً، وأن الأجساد التي أطاعت أو عصت هي التي تبعث يوم القيامة لتجازى، والجلود التي كانت في الدنيا والألسنة والأيدي والأرجل التي تشهد عليهم يوم القيامة على من تشهد عليه منهم.

وتنصب الموازين لوزن أعمال العباد، فأفلح من ثقلت موازينه، وخاب وخسر من خَفَّتْ موازينه. ويؤتون صحائفهم: فمن أوتي كتابه بيمينه حوسب حساباً يسيراً، ومن أوتيه بشماله فأولئك يصلون سعيراً، وأن الصراط جسر مورود ممدود يجوزه العبادُ بقدر أعمالهم. فناجون متفاوتون في سرعة النجاة عليهم من نار جهنم، وقوم أَوْبَقَتْهم أعمالُهُم فيها يتساقطون، وأنه يخرج من النار مَنْ في قلبه شيء من الإيمان، وأن الشفاعة لأهل الكبائر من المؤمنين، ويخرج من النار بشفاعة رسول الله ﷺ قوم من أمّته بعد أن صاروا فيها حمماً يطرحون في نهر الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل.

والإيمان بحوض رسول الله ﷺ ترده أمته لا يظمأ من شرب منه، ويُذاد عنه من غيَّر وبَدَّلَ، /والإيمان بما جاء من خبر الإسراء بالنبي ﷺ إلى السموات ٣٥/أ

على ما صحت به الروايات، وأنه ﷺ رأى من آيات ربه الكبرى، مما ثبت من خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام حَكَماً عدلًا وقتلِهِ الدجالَ، وبالآيات التي بين يدي الساعة من طلوع الشمس من الغرب، وخروج الدابة، وغير ذلك مما صحّت به الروايات.

ونصدق بما جاءنا عن الله تعالى في كتابه، وما ثبت عن رسول الله ﷺ من أخباره، نوجب العمل بمحكمه، [ونؤمن] ونقِّر بِمُشْكِلِهِ ومتشابهه، ونَكِلُ ما غاب عَنّا من حقيقة تفسيره إلى الله سبحانه، والله يعلم تأويلَ المتشابه من كتابه، والراسخون في العلم يقولون: آمنا به ونكل ما غاب منها عنا من حقيقة تفسيره، كلّ من عند ربنا.

وقال بعض الناس: الراسخون في العلم يعلمون مشكله، ولكن الأول قول أهل المدينة، وعليه يدل الكتاب. وأن أفضل القرون قرن الصحابة [رضي الله عنهم]، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، كما قال النبي ﷺ(١) وأن أفضل الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم علي. وقيل: ثم عثمان وعلي(٢) ويكف عن التفضيل بينهما. روي ذلك عن مالك. وقال: ما أدركت أحداً اقتدي به يفضل أحدهما على صاحبه، فرأى الكفّ عنهما. وروي عنه الأول وعن سفيان وغيره، وهو قول أهل الحديث. ثم بقية العشرة، ثم أهل بدر من المهاجرين ثم من الأنصار ومن جميع الصحابة على قدر الهجرة والسابقة والفضيلة، وكل من صحبه ولو ساعة أو رآه ولو مرة، فهو بذلك أفضل من

---

(١) البخاري رقم (٢٦٥١) و(٣٦٥٠) و(٦٤٢٨) و(٦٦٩٥)، ومسلم رقم (٢٥٣٥)، وأبوداود (٤٦٥٧)، والترمذي رقم (٢٢٢٥) و(٢٣٠٣)، والنسائي ١٧/٧ و١٨، وأحمد ٤٢٦/٤ و٤٢٧ و٤٣٦ و٤٤٠، من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٢) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم» أخرجه البخاري رقم (٣٦٥٥) و(٣٦٩٧)، وأبوداود رقم (٤٦٢٧و٤٦٢٨)، والترمذي (٣٧٠٧) وانظر «الفتح» في شرح هذا الحديث ١٦/٧ ـ ١٧.

التابعين، والكفّ عن ذكر أصحاب رسول الله ﷺ إلا بخير ما يذكرون به، وأنهم أحق أن تنشر محاسنهم ويلتمس لهم أفضل المخارج ويظن بهم أحسن الظن المذاهب.

قال النبي ﷺ «لا تؤذوني في أصْحابي فَوالذي نَفْسي بيده لَوْ أنْفَقَ أحَدُكُم مثل أحُد ذَهَباً ما بَلَغَ مُدَّ أحَدِهم ولا نصيفه»[1]، قال ﷺ «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا»[2]، قال أهل العلم: لا يذكرون إلا بأحسن ذكر.

والسمع والطاعة لأئمة المسلمين، وكل من ولي أمر المسلمين عن رضى أو عن غلبة، واشتدت وطأته من بَرّ أو فاجر، فلا يخرج عليه جار أو عدل، ونغزو معه العدو ونحج معه البيت ودفع الصدقات إليهم مجزية إذا طلبوها، ونصلي خلفهم الجمعة والعيدين، قاله غيرُ واحد من العلماء.

وقال مالك: لا نصلي خلف المبتدع منهم، إلا أن نخافه فنصلي، واختلف في الإعادة[3].

ولا بأس بقتال من دافعك من الخوارج واللصوص من المسلمين، وأهل الذمة عن/ نفسك ومالك، والتسليم للسنن لا تعارض برأي ولا تدافع بقياس، ٣٥/ب وما تأوله منها السلف الصالح تأولناه، وما عملوا به عملناه، وما تركوه تركناه، ويسعنا أن نمسك عما أمسكوا، ونتبعهم فيما بينوا، ونقتدي بهم فيما استنبطوه ورأوه في الحوادث، ولا نخرج عن جماعتهم فيما اختلفوا فيه أو في تأويله، وكلّ ما قدمنا ذكره فهو قول أهل السنّة، وأئمة الدين والفقه والحديث على ما

---

(١) البخاري رقم (٣٦٧٣)، ومسلم رقم (٢٥٤١)، وأبوداود رقم (٤٦٥٨)، والترمذي رقم (٣٨٦٠)، وأحمد ١/١١ و٥٤، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) روي من حديث ابن مسعود وثوبان، وابن عمر، وطاووس مرسلاً، وكلها ضعيفة الأسانيد ولكن بعضها يشد بعضاً كما قال الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» رقم (٣٤).

(٣) انظر «شرح العقيدة الطحاوية» ص ٤١٨ ـ ٤٢٤ بتحقيقنا، وهي من منشورات مكتبة دار البيان بدمشق.

بيناه، وكله قول مالك فمنه منصوص من قوله، ومنه معلوم من مذهبه.

قال مالك: قال عمر بن عبد العزيز: سنّ رسولُ الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سنناً الأخذ بها تصديقاً لكتاب الله تعالى، واستكمال لطاعته، وقوة على دين الله تعالى، ليس لأحد تبديلها ولا تغييرها، ولا النظر فيما خالفها، من اهتدى بها مهتدٍ، ومن استنصر بها نُصِرَ، ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولّاه الله ما تولّى، وأصلاه جهنم وساءت مصيراً.

قال مالك: أعجبني عزم عمر ـ رضي الله عنه ـ في ذلك فرضي الله عنه ما كان أصلبه في السنّة وأقومه بها.

وقال في «مختصر المدونة»: وأنه تعالى فوق عرشه بذاته فوق سبع سمواته دون أرضه.

*** قول الإمام أبي القاسم عبد الله بن خلف المقرىء الأندلسي المالكي ـ رحمه الله ـ:**

قال في الجزء الأول من كتاب «الاهتداء لأهل الحق والاقتداء» في شرح الملخص للشيخ أبي الحسن القابسي ـ رحمه الله تعالى ـ عن مالك، عن ابن شهاب، عن [أبي] عبد الله الأغر، وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «ينْزِلُ ربُّنا تبارك وتعالى كلَّ ليلة إلى سماء الدُّنيا حين يبقى ثُلُثُ الليلِ الآخر فيقول: من يدعُوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له».

في هذا الحديث دليل على أنه تعالى في السماء على العرش فوق سبع سموات من غير مماسة ولا تكييف، كما قال أهل العلم، ودليل قولهم أيضاً من القرآن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمٰنُ عَلى العَرْشِ اسْتَوى﴾ [طه: ٥]. وقوله تعالى: ﴿ثمَّ اسْتَوى عَلى العَرْشِ ما لَكُم مِن دُونِهِ مِن وليٍّ وَلا شَفِيع﴾ [السجدة: ٤]. وقوله تعالى: ﴿إذاً لابْتَغوْا إلى ذي العَرْشِ سَبيلاً﴾ [الإسراء: ٤٢]. وقوله تعالى:

﴿يُدَبِّرُ الأمْرَ مِنَ السّماءِ إلى الأرْضِ﴾ [السجدة: ٥]. وقوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الملائكَةُ والرُّوحُ إليه﴾ [المعارج: ٤]. وقوله تعالى لعيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿إنّي مُتَوفّيكَ ورافِعُكَ إليَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُ دافِعٌ * مِنَ الله ذي المَعارج * تَعْرُجُ الملائِكَةُ والرُّوحُ إليهِ﴾ [المعارج: ٢ - ٤] والعروج: هو الصعود.

قال مالك بن أنس: الله عز وجل في السماء، وعلمه في كل مكان لا يخلو منه مكان. يريد والله يعلم بقوله/ «في السماء»: على السماء، كما قال تعالى: ﴿ولأصَلّبَنّكُم في جُذوعِ النّخْلِ﴾ [طه: ٧١]. وكما قال تعالى: ﴿أأمنتم من في السماء﴾ [الملك: ١٦] أي من على السماء يعني على العرش. وكما قال تعالى: ﴿فَسِيحُوا في الأرضِ﴾ [التوبة: ٢] أي على الأرض.

٣٦/أ

فقيل لمالك: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾، كيف استوى؟ قال مالك رحمه الله تعالى لقائله: استواؤه معقول وكيفيته مجهولة وسؤالك عن هذا بدعة وأراك رجل سوء.

قال أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمٰنُ عَلَىٰ العَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾: أي علا. قال: وتقول العرب استويت فوق الدابة وفوق البيت. وكل ما قدمت دليل واضح في إبطال قول من قال المجاز في الاستواء، وإن استوى بمعنى استولى، لأن الاستيلاء في اللغة الغالبة، وأنه لا يغالبه أحد، ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته، حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا سبحانه وتعالى إلا على ذلك، وإنما يوجه كلام الله تعالى إلى الأشهر والأظهر من وجوهه ما لم يمنع ذلك ما يجب له التسليم، ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدعٍ ما ثبت شيء من العبادات، وجَلَّ الله تعالى أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب من معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين. والاستواء معلوم في اللغة، وهو العلو والارتفاع والتمكن في الشيء.

ومن الحجة أيضاً في أن الله سبحانه وتعالى على العرش فوق السموات السبع أن الموحدين أجمعين إذا كربهم أمر رفعوا وجوههم إلى السماء يستغيثون الله ربهم، وقوله ﷺ للأَمَة التي أراد مولاها عتقها: «أين الله؟» فأشارت إلى السماء، ثم قال لها: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله. قال: «أعتقها، فإنها مؤمنة». فاكتفى رسول الله ﷺ منها برفع رأسها إلى السماء. ودلّ على ما قدمناه من أنه على العرش، والعرش فوق السموات السبع، ودليل قولنا أيضاً قول أمية بن أبي أمية بن أبي الصلت في وصف الملائكة:

وساجِدهم لا يرفعُ الدَّهر رأسه يُعَظِّمُ رّباً فوقَهُ ويمَجِّدُ
فسُبحانَ مَن لا يقدر الخَلْقَ قَدرَه ومَن هوَ فوْق العرْش فَرْد موَحّد
مَليكٌ على عرشِ السماءِ مُهَيمنٌ لعزّته تَعْنُو الوُجوه وتَسْجُدُ

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً [لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمٰوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلٰهِ مُوسَىٰ]﴾ [غافر: ٣٦ - ٣٧] فدل على أن موسى عليه الصلاة والسلام كان يقول: إن إلهي في السماء وفرعون يظنه كاذباً؛ فإن احتج أحد علينا فيما قدمناه وقال: لو كان لذلك لأشبه المخلوقات لأن ما أحاطت به الأمكنة واحتوته، فهو مخلوق، فشيء يلزم ولا معنى له، لأنه تعالى ليس كمثله شيء من خلقه، ولا يقاس بشيء من بريته، لا يدرك/ ٣٦/ب بقياس، ولا يقاس بالناس. كان قبل الأمكنة، ثم يكون بعدها لا إله إلا هو خالق كل شيء لا شريك له.

وقد اتفق المسلمون وكل ذي لب أنه لا يعقل كائن إلا في مكان ما، وما ليس في مكان فهو عدم. وقد صح في العقول، وثبت بالدلائل أنه كان في الأزل لا في مكان وليس بمعدوم، فكيف يقاس على شيء من خلقه، أو يجري بينه وبينهم تمثيل أو تشبيه؟!! تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

فإن قال قائل: إذا وصفنا ربنا تعالى أنه كان في الأزل لا في مكان، ثم

خلق الأماكن، فصار في مكان، وفي ذلك إقرار منّا فيه بالتغيير والانتقال إذا زال عن صفته في الأزل، وصار في مكان دون مكان؟!!.

قيل له: وكذلك زعمتَ أنتَ أنه كان لا في مكان، ثم صار في [كل] مكان، فنقل صفته من الكون لا في مكان إلى صفة هي الكون في كل مكان، فقد تغيّر عندك معبودك، وانتقل من لا مكان إلى كل مكان.

فإن قال: إنه كان في الأزل في كل مكان كما هو الآن، فقد أوجب الأماكن والأشياء معه في أزليته، وهذا فاسد.

فإن قال: فهل يجوز عندك أن ينتقل من لا مكان في الأزل إلى مكان؟

قيل له: أما الانتقال وتغيّر الحال، فلا سبيل إلى إطلاق ذلك عليه، لأن كونه في الأزل لا يوجب مكاناً، وكذلك نقلته لا توجب مكاناً، وليس في ذلك كالخلق، لأن كون ما كونه يوجب مكاناً من الخلق ونقلته توجب مكاناً، ويصير منتقلاً من مكان إلى مكان، والله تعالى ليس كذلك، ولكنا نقول: استوى من لا مكان إلى مكان، ولا نقول انتقل، وإن كان المعنى في ذلك واحداً كما نقول: له عرش ولا نقول له سرير، ونقول: هو الحكيم ولا نقول: هو العاقل، ونقول: خليل إبراهيم ولا نقول: صديق إبراهيم، وإن كان المعنى في ذلك كله واحداً لأنا لا نسميه ولا نصفه ولا نطلق عليه إلا ما وصف به نفسه على ما تقدم، ولا ندفع ما وصف به نفسه لأنه دفع للقرآن.

وقد قال الله تعالى: ﴿وجاءَ رَبُّكَ والمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾ [الفجر: ٢٢] وليس مجيئه حركة ولا زوالاً ولا انتقالاً، لأن ذلك إنما يكون إذا كان الجائي جسماً أو جوهراً، فلما ثبت أنه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض، لم يجب أن يكون مجيئه حركة ولا نقلاً، ولو اعتبرت ذلك بقولهم: جاءت فلاناً قيامته، وجاءه الموت، وجاءه المرض، وشبه ذلك مما هو موجود نازل به لا مجيء، / لبانَ لك وبالله العصمة والتوفيق. ٣٧/أ

فإن قال: أنه لا يكون مستوياً على مكان إلا مقروناً بالكيف؟!

قيل له: قد يكون الاستواء واجباً والتكييف مرتفع، وليس رفع التكييف يوجب رفع الاستواء، ولو لزم هذا لزم التكييف في الأزل، ولا يكون كائناً في لا مكان ولا مقروناً بالتكييف.

فإن قال: فإنه كان ولا مكان وهو غير مقرون بالتكييف، وقد عقلنا وأدركنا بحواسنا أنّ لنا أرواحاً في أبداننا ولا نعلم كيفية ذلك، وليس جهلنا بكيفية الأرواح توجب أن ليس لنا أرواح، وكذلك ليس جهلنا بكيفيته على عرشه توجب أن ليس على عرشه.

وقد روي عن أبي رزين العقيلي قال: قلت يا رسول الله: أين كان ربنا تبارك وتعالى قبل أن يخلق السماء والأرض؟ قال: كان في عماء ما فوقه هواء ولا تحته هواء.

قال أبو القاسم: العماء ممدود، وهو السحاب والعمى مقصور: الظلمة، وقد روي الحديث بالمد والقصر، فمن رواه بالمد فمعناه عنده كان في [عماء] سحاب ما تحته هواء ولا فوقه هواء، والهاء راجعة على العماء، ومن رواه بالقصر فمعناه عنده كان في عمى عن خلقه لأنه من عمي عن شيء فقد أظلم عنه.

قال سنيد بسنده عن مجاهد قال: إن بين العرش وبين الملائكة سبعين حجاب من نور وحجاب من ظلمة.

وروى أيضاً سنيد بسنده، عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: ما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام، وما بين السماء السابعة إلى الكرسي مسيرة خمسمائة عام، والعرش على الماء، والله سبحانه وتعالى على العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم.

قال أبو القاسم: يريد فوق العرش، لأن العرش آخر المخلوقات ليس فوقه مخلوق، والله تعالى أعلى المخلوقات دون تكييف ولا مماسة.

ولا أعلم في هذا الباب حديثاً مرفوعاً إلا حديث عبد الله بن عميرة، عن الأحنف، عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نظر إلى سحابة فقال: «ما تسمون هذه؟» قالوا: السحاب. قال: «والمزن؟» قالوا: والمزن. قال: والعنان؟ قالوا: نعم. قال: «كم ترون بينكم وبين السماء؟» قالوا: لا ندري. قال: «بينكم وبينها إما واحد أو إثنان أو ثلاث وسبعون سنة والسماء فوقها، كذلك بينهما مثل ذلك حتى عَدَّ سبع سموات، ثم فوق السماء/ السابعة بحر أعلاه وأسفله كما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء على ظهورهم العرش، بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم الله تعالى إلى فوق ذلك»، هذا حديث [حسن] صحيح خرجه أبو داود(1).

٣٧/ب

* **قول الإمام أبي بكر محمد بن وهب المالكي** شارح «رسالة ابن أبي زيد» المشهور بالفقه والسنة رحمه الله تعالى:

قال في شرحه للرسالة: ومعنى فوق وعلا واحد عند جميع العرب في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وتصديق ذلك قوله تعالى: ﴿ثم اسْتَوَى عَلى العَرْشِ الرَّحْمٰنُ﴾ [الفرقان: ٥٩]. وقال تعالى: ﴿الرَّحْمٰنُ عَلى العَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]. وقال تعالى في وصف خوف الملائكة: ﴿يَخافُون ربَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ويفْعَلونَ ما يُؤْمرونَ﴾ [النحل: ٥٠]. وقال تعالى: ﴿إلَيْهِ يصْعَدُ الكلِمُ الطَّيِّبُ والعملُ الصَّالِحُ يرْفعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]. ونحو ذلك كثير.

وقال رسول الله ﷺ للأعجمية: «أين الله؟» فأشارت إلى السماء، ووصف النبي ﷺ أنه عرج به من الأرض إلى السماء، ثم من سماء إلى سدرة

(١) تقدم تخريجه ص (٦١) رقم (١).

المنتهى، ثم إلى ما فوقها حتى لقد قال: سمعت صريف الأقلام. ولما فرضت الصلوات جعل كلما هبط من مكانه تلقاه موسى عليه السلام في بعض السموات وأمره بسؤال التخفيف عن أمته، فرجع صاعداً مرتفعاً إلى الله سبحانه وتعالى يسأله، حتى انتهت إلى خمس صلوات، وسنذكر تمامه إن شاء الله عن قرب.

*** قول الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي زمنين المالكي المشهور:**

قال في كتابه الذي صنفه في أصول الفقه، باب الإيمان بالعرش: ومن قول أهل السنة أن الله ـ عز وجل ـ خلق العرش، واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق، ثم استوى عليه كيف شاء، كما أخبر عن نفسه في قوله عز وجل: ﴿الرَّحْمٰنُ عَلى العَرْشِ اسْتَوى﴾ [طه: ٥] وفي قوله تعالى: ﴿ثم استوى على العرش﴾ [السجدة: ٤] ﴿يَعْلَمُ ما يَلِجُ في الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنها وما يَنْزِلُ مِنَ السّماءِ وَمَا يَعْرُجُ فيها﴾ [سبأ: ٢] . . . . وذكر حديث أبي رزين العقيلي قلت: يا رسول الله أين كان الله ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض؟ قال: «كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء، ثم خلق عرشه على الماء». .

ثم ذكر الآثار في ذلك إلى أن قال (باب الإيمان بالحجب). قال: ومن قول أهل السنة أنّ الله تعالى بائنٌ من خلقه محتجب عنهم بالحجب، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً. ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أفْواهِهِمْ إنْ يَقُولون إلاَّ كَذِباً﴾ [الكهف: ٥].

إلى أن قال: «باب الإيمان بالتنزيل» قال: ومن قول أهل السنة: أن الله ينزل إلى سماء الدنيا، وذكر حديث النزول ثم قال: وهذا الحديث يبين أن الله تعالى على عرشه في السماء دون الأرض وهو أيضاً بين في كتاب الله/[تعالى وتقدّس]، وفي غير ما حديث عن رسول الله ﷺ قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السّماءِ إلى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥]. . . . وساق الآيات ٣٨/أ

سبحانه: ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ [الرحمن: ٢٧]، وأن له قدماً بقول النبي ﷺ: «حتى يضع الرب فيها قدمه»[١]، يعني في جهنم، وأنه سبحانه يضحك من عبده المؤمن بقول النبي ﷺ للذي قتل في سبيل الله عز وجل «أنه لقي الله وهو يضحك إليه»[٢]. وأنه سبحانه يهبط في كل ليلة إلى سماء الدنيا بخبر رسول الله ﷺ[٣]، وأنه سبحانه ليس بأعور لقول رسول الله ﷺ إذ ذكر الدجّال، فقال: «إنه أعور، وأن ربكم ليس بأعور»[٤]، وأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة بأبصارهم كما يرون القمر ليلة البدر، بخبر الصادق ﷺ[٥]، وأن له أصابع بقول النبي ﷺ: «ما من قلب، إلا وهو بين اصبعين من أصابع الرحمن عز وجل»[٦]. فإن هذه المعاني إلّهية وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ، لا تدرك حقيقة ذلك بالفطرة والرؤية، ولا يكفر بالجهل بها أحداً إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها، فإن كان الوارد بذلك خبراً يقوم في مقام الشهادة والسماع وجبت الدينية بل على سامعه بدقيقته والشهادة عليه، كما عاين وسمع من رسول الله ﷺ، ولكن نثبت هذه الصفات وننفي التشبيه،

---

(١) البخاري (٤٨٤٨) و(٦٦٦١) و(٧٣٨٤) ومسلم (٢٨٤٨)، من حديث أنس رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال: «لا تزال جهنم تقول: هل من مزيد، حتى يضع فيها رب العزّة تبارك وتعالى قدمه، فتقول: قط قط وعزّتك، وتزوي بعضها إلى بعض».

(٢) أخرج البخاري (٢٨٢٦)، ومسلم (١٨٩٠)، والنسائي ٦/٣٨ و ٣٩، وابن ماجة (١٩١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يضحك الله تعالى إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر، كلاهما يدخل الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله ثم يستشهد، فيتوب الله على القاتل فيسلم، فيقاتل في سبيل الله، فيستشهد».

(٣) تقدم تخريجه ص (١٠٢).

(٤) البخاري رقم (٣٠٥٧) في الجهاد: باب كيف يعرض الاسلام على الصبي، وفي أبواب وكتب أخرى، ومسلم رقم (١٦٩)، وأبو داود رقم (٤٧٥٧)، والترمذي رقم (٢٢٣٦) و(٢٢٤٢)، وأحمد ٢/٥٢٧ و٦٤٩ انظر روايات الحديث في «جامع الأصول» رقم (٧٨٤٨).

(٥) تقدم تخريجه ص (٣٨) رقم (٢).

(٦) مسلم (٢٦٥٤)، وأحمد ٢/١٦٨ و١٧٣، من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وفي الباب عن أنس، والنواس بن سمعان، وأم سلمة، وعائشة رضي الله عنهم.

كما نفى ذلك سبحانه عن نفسه تعالى ذكره فقال: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [الشورى: ١١].

/* قول صاحبه إمام الشافعية في وقته أبي إبراهيم إسماعيل بن يحيى ٣٩/أ المزني:

في «رسالته في السنة» التي رواها أبو طاهر السلفي عنه بإسناده، ونحن نسوقها كلها بلفظها:

بسم الله الرحمن الرحيم، عصمنا الله وإياكم بالتقوى ووفقنا وإياكم لموافقة الهدى أما بعد.

فإنك سألتني أن أوضح لك من السنة أمراً تصبر نفسك على التمسك به وتدرأ به عنك شبهة الأقاويل وزيغ محدثات الضالين، فقد شرحت لك منهاجاً موضحاً لم آل نفسي وإياك فيه نصحاً بدأت فيه بحمد الله ذي الرشد والتسديد، الحمد لله أحق ما بدأ وأولى من شكر، وعليه أثني، الواحد الصمد، ليس له صاحبة ولا ولد، جَلَّ عن المثل ولا شبيه له ولا عديل، السميع البصير، العليم الخبير، المنيع الرفيع، عال على عرشه، وهو دان بعلمه من خلقه، أحاط علمه بالأمور، وأنفذ في خلقه سابق المقدور، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فالخلق عاملون بسابق علمه ونافذون لما خلقهم له من خير وشر، لا يملكون لأنفسهم من الطاعة نفعاً، ولا يجدون إلى صرف المعصية عنها دفعاً، خلق الخلق بمشيئته من غير حاجة كانت به، فخلق الملائكة جميعاً لطاعته، وجبلهم على عبادته، فمنهم ملائكة بقدرته للعرش حاملون، وطائفة منهم حول عرشه يسبحون، وآخرون بحمده يقدّسون، واصطفى منهم رسلاً إلى رسله، وبعض مدبرون لأمره، ثم خلق آدم بيده وأسكنه جنته، وقبل ذلك للأرض خلقه، ونهاه عن شجرة قد نفذ قضاؤه عليه بأكلها، ثم ابتلاه بها نهاه عنها منه، ثم سلط عليه عدوه فأغواه عليها، وجعل أكله [إلى الهبوط] إلى الأرض سبباً فما وجد إلى ترك أكلها سبيلاً ولا عنه لها مذهباً.

ثم خلق للجنة من ذريته أهلاً، فهم بأعمالها بمشيئته عاملون، وبقدره في العلو، وذكر من طريق مالك قول النبي ﷺ: «أين الله؟» ثم قال: والحديث في مثل هذا كثير.

* **قول القاضي عبد الوهاب إمام المالكية بالعراق**: من كبار أهل السنة ـ رحمه الله تعالى ـ

صرح بأن الله سبحانه استوى على عرشه بذاته. نقله شيخ الإسلام عنه في غير موضع من كتبه، ونقله عنه القرطبي في «شرح الأسماء الحسنى».

* **قول الإمام محمد بن إدريس الشافعي قدَّس الله روحه**:

قال الإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي: حدثنا أبو شعيب وأبو ثور، عن أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ قال: القول في السنة التي أنا عليها ورأيت أصحابنا عليها أهل الحديث الذين رأيتهم، وأخذت عنهم مثل سفيان ومالك وغيرهما: الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله، وأنّ الله تعالى على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء، وأن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا كيف شاء...

قال عبد الرحمن: وحدثنا يونس بن عبد الأعلى، قال: سمعت أبا عبد الله محمد بن إدريس الشافعي يقول: وقد سئل عن صفات الله وما يؤمن به؟ فقال: لله تعالى أسماء وصفات، جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيه أمته، لا يسع أحداً من خلق الله قامت عليه الحجة ردها لأن القرآن نزل بها، وصحّ عن رسول الله ﷺ القول بها فيما روى عنه العدول، فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر. أما قبل ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل، ولا بالرؤية والفكر، ولا يكفر بالجهل بها أحد إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها، ويثبت هذه الصفات وتنفي عنها التشبيه كما نفي التشبيه عن نفسه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شيء وهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وصح عن الشافعي أنه قال: خلافة أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ حَقٌّ قضاها الله في سمائه، وجمع عليها قلوبَ عباده، ومعلوم أن المقتضي في الأرض والقضاء فعله سبحانه وتعالى المتضمن لمشيئته وقدرته. وقال في خطبة رسالته: الحمد لله الذي هو كما وصف به نفسه، وفوق ما يصفه به خلقه، فجعل صفاته سبحانه إنما تتلقى بالسمع.

وقال يونس بن عبد الأعلى: قال لي محمد بن إدريس الشافعي ـ رضي الله عنه ـ: الأصل: قرآن وسنة، فإن لم يكن فقياس عليهما، وإذا اتصل الحديث عن رسول الله ﷺ وصح الإسناد منه فهو سنة، والإجماع/ أكبر من ٣٨/ب الخبر الفرد والحديث على ظاهره، وإذا احتمل المعاني فما أشبه منها ظاهره فهو أولاها به.

قال الخطيب في «الكفاية»: أخبرنا أبو نعيم الحافظ، حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان، حدثنا عبد الله بن محمد بن يعقوب، حدثنا أبو حاتم الرازي، حدثني يونس بن عبد الأعلى، فذكره[1].

ومن كلام الإمام الشافعي أيضاً، وقد سئل عن صفات الله عز وجل وما ينبغي أن يؤمن به العبد، فقال: لله تعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه وأخبر بها نبيه ﷺ أمته، لا يسع أحداً من خلق الله تبارك وتعالى قامت عليه الحجة ردّها وانكارها، فإن القرآن نزل بها، وصح عن رسول الله ﷺ الخبر بها، فيما روى العدل عن العدل عنه، فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر، فأما قبل ثبوت الحجة عليه فلا من جهة الخبر فهو معذور بالجهل، فإن علم الله تعالى لا يدرك بالعقل ولا بالرؤية والفكر ونحو ذلك، فإن الله تبارك وتعالى أخبر أنه سميع[2]، وأن له يدين بقوله: ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ [المائدة: ٦٤]، وأن له يميناً بقوله سبحانه: ﴿والسموات مطويات بيمينه﴾ [الزمر: ٦٧]، وأن له وجهاً بقوله

---

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» ١٠/ ٢٠ ـ ٢١.
(٢) انظر «سير أعلام النبلاء» ١٠/ ٧٩ ـ ٨٠.

وبإرادته منفذون، وخلق من ذريته للنار أهلاً، فخلق لهم أعيناً لا يبصرون بها، وآذاناً لا يسمعون بها، وقلوباً لا يفقهون بها، فهم بذلك عن الهدى محجوبون، وهم بأعمال أهل النار بسابق قدره يعملون.

والإيمان قول وعمل، وهما شيئان ونظامان وقرينان لا يفرق بينهما، لا إيمان إلا بعمل، ولا عمل إلا بإيمان، والمؤمنون في الإيمان يتفاضلون، وبصالح الأعمال هم مزيدون، ولا يخرجون بالذنوب من الإيمان، ولا يكفرون بركوب كبيرة ولا عصيان، ولا يوجب لمحسنهم بغير ما أوجب له النبي ﷺ، ولا يشهد على مسيئهم بالنار.

والقرآن كلام الله - عز وجل - ومن الله وليس بمخلوق فيبيد، وقدرة الله ونعمته وصفاته كلها غير مخلوقات دائمات أزلية ليست بمحدثات/ فتبيد، ولا كان ربنا ناقصاً فيزيد جَلَّتْ صفاته عن شبه المخلوقين، وقصرت عنه نظر الواصفين، قريب الإجابة عند السؤال، بعيد لا ينال. عال على عرشه بائن عن خلقه موجود ليس بمعدوم ولا مفقود.

٣٩/ب

والخلق ميتون بآجالهم عند نفاذ أرزاقهم وانقطاع آثارهم، ثم هم بعد الضغط في القبور مسؤولون، وبعد البلى منشورون، ويوم القيامة إلى ربهم يحشرون، وعند العرض عليه محاسبون بحضرة الموازين ونشر صحف [الدواوين]. أحصاه الله ونسوه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، لو كان غير الله عز وجل الحاكم بين خلقه، فالله يلي الحكم بينهم بعدله بمقدار القائلة في الدنيا وهو أسرع الحاسبين، كما بدأهم من شقاوة وسعادة يومئذ يعودون فريق في الجنة وفريق في السعير، وأهل الجنة يومئذ يتنعمون، وبصنوف اللذات يتلذذون، وبأفضل الكرامة يحبرون، فهم حينئذ إلى ربهم ينظرون لا يمارون في النظر إليه ولا يشكّون، فوجوههم بكرامته ناضرة، وأعينهم بفضله إليه ناظرة، في نعيم مقيم لا يمسهم فيها نَصَبٌ وما هم منها بمخرجين ﴿أُكُلها

دائم وظلّها، تلك عقبى الذين اتقوا، وعقبى الكافرين النار﴾، وأهل الجحد عن ربهم يومئذ محجوبون، وفي النار مسجّرون. لبئس ما قدّمت لهم أنفسهم إن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون، لا يقضى عليهم فيموتوا، ولا يخفف عنهم من عذابها إلا ما شاء الله إخراجه من الموحدين منها.

والطاعة لأولي الأمر فيما كان عند الله ـ عز وجل ـ مرضياً واجتناب ما كان مسخطاً، وترك الخروج عند تعديهم وجورهم، والتوبة إلى الله ـ عز وجل ـ كيما يعطف بهم على رعيتهم، والإمساك عن تكفير أهل القبلة والبراءة منهم فيما أحدثوا ما لم يبتدعوا ضلالة، فمن ابتدع منهم ضلالة كان على أهل القبلة خارجاً، ومن الدين مارقاً ويتقرب إلى الله سبحانه بالبراءة منه، ويهجر ويتجنب عدته، فهي أعدى من عدة الجرب.

ويقال بفضل خليفة رسول الله ﷺ، ثم عمر، فهما وزيرا رسول الله ﷺ وضجيعاه، ثم عثمان، ثم علي ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ، ثم الباقين من العشرة[1] الذين أوجب لهم رسول الله ﷺ الجنة، وتخلص لهم [رجل منهم] من المحبة بقدر الذي أوجبه له رسول الله ﷺ من [يوم] التفضيل ثم لسائر أصحابه من بعده رضي الله عنهم أجمعين.

ويقال بفضلهم، ويذكرون بمحاسن أفعالهم، ويمسك عن الخوض فيما شجر بينهم، وهم خيار أهل الأرض بعد نبيهم اختارهم الله ـ عز وجل ـ / ٤٠/أ وخلقهم أنصاراً لدينه، فهم أئمة الدين، وأعلام المسلمين، رضي الله عنهم أجمعين. ولا تترك حضور [صلاة] الجمعة، وصلاة مع بَرٍّ هذه الأمة وفاجرها ما كان من البدعة برياً، والجهاد مع كل إمام عدل أو جائر، والحج، وإقصار الصلاة في الأسفار، والتخيير فيه بين الصيام والإفطار.

---

(١) وقد نظمهم بعضهم بقوله:

سعد سعيد والزبير وطلحة   وكذا ابن عوف عامر الخلفاف

هذه مقالات اجتمع عليها الماضون الأولون من أئمة الهدى، وبتوفيق الله اعتصم به التابعون قدوة ورضىً وجانبوا التكلف فيما كفوا، فسددوا بعون الله ووفقوا، لم يرغبوا عن الاتباع فيقصروا، ولم يجاوزوا فيعتدوا، فنحن بالله واثقون وعليه متوكلون وإليه في اتباع آثار رحمته راغبون.

فهذا شرح السنة تحريت كشفها وأوضحته، فمن وفقه الله للقيام بما أتيته مع معونته له بالقيام على أداء فرائضه بالاحتياط في النجاسات، وإسباغ الطهارات على الطاعات، وأداء الصلوات على الاستطاعات، وإيتاء الزكاة على أهل الجدات، والحج على أهل الجدة والاستطاعات، وصيام شهر رمضان لأهل الصحات، وخمس صلوات سنها لنا رسول الله ﷺ وصلاة الوتر في كل ليلة، وركعتا الفجر وصلاة الفطر والنحر وصلاة الكسوف وصلاة الاستسقاء، واجتناب المحارم، والاحتراز من النميمة والكذب والغيبة والبغي بغير الحق، وأن يقول على الله ما لا يعلم، كل هذه كبائر محرمات، والتحري في المكاسب والمطاعم والمحارم والمشارب والملابس واجتناب الشهوات، فإنها داعية لركوب المحرّمات، فمن رَعَى حول الحِمى، فإنه يوشك أن يواقع الحمى، فمن يسر لهذا فإنه من الدين على هدى ومن الرحمن على رجاء. وفقنا الله وإياك إلى سبيله الأقوم، بمنه الجزيل الأقدم، وجلاله العلي الأكرم، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته، وعلى من قرأ علينا السلام، ولا ينال سلام الله تعالى الضالون، والحمد لله رب العالمين.

*** قول إمام الشافعية في وقته أبي العباس بن سريج رحمه الله تعالى:**

ذكر أبو القاسم سعد بن علي بن محمد الزنجاني في جوابات المسائل التي سئل عنها بمكة [فقال]:

الحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، وعلى كل حال، وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى، وعلى الأخيار الطيبين من الأصحاب والآل. سألت -

أيّدك الله تعالى بتوفيقه ـ بيان ما صحّ لديّ وتأدّى حقيقته إلى من [سلك] مذهب السلف، وصالحي الخلف في الصفات الواردة في الكتاب المنزل والسنة المنقولة بالطرق الصحيحة برواية الثقات الأثبات، عن النبي ﷺ المرسل بوجيز من القول، واختصار في الجواب، فاستخرت الله سبحانه وتعالى، وأجبت عنه بجواب بعض الأئمة الفقهاء وهو أبو العباس/ أحمد بن عمر بن سريج رحمه ٤٠/ب الله تعالى، وقد سئل عن مثل هذا السؤال فقال أقول وبالله التوفيق:

حرام على العقول أن تمثل الله سبحانه وتعالى، وعلى الأوهام أن تحده، وعلى الظنون أن تقع، وعلى الضمائر أن تعمق، وعلى النفوس أن تفكر، وعلى الأفكار أن تحيط، وعلى الألباب أن تصف إلا ما وصف [به] نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، وقد صح [وتقرر] واتضح عند جميع أهل الديانة والسنة والجماعة من السلف الماضين والصحابة والتابعين من الأئمة المهتدين الراشدين المشهورين إلى زماننا هذا، أن جميع الآي الواردة عن الله تعالى في ذاته وصفاته والأخبار الصادقة الصادرة عن رسول الله ﷺ في الله، وفي صفاته التي صححها أهل النقل وقبلها النقاد الأثبات يجب على المرء المسلم المؤمن الموفق الإيمان بكل واحد منه كما ورد، وتسليم أمره الى الله سبحانه وتعالى كما أمر ذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرونَ إلَّا أنْ يأتِيهُمُ الله في ظُلَلٍ مِنَ الغَمامِ والملائِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠]. وقوله تعالى: ﴿وجاءَ ربُّكَ والمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾ [الفجر: ٢٢]. وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمٰنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]. وقوله تعالى: ﴿والأرْضُ جَميعاً قبضَتُهُ يومَ القِيامَةِ والسّمواتُ مَطْويّاتٌ بيمينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧].

ونظائرها مما نطق به القرآنُ كالفوقية والنفس واليدين والسمع والبصر والكلام والعين والنظر والإرادة والرضى والغضب والمحبة والكراهة والعناية، والقرب والبعد، والسخط والاستحياء، والدنوّ كقاب قوسين أو أدنى، وصعود الكلم الطيِّب إليه، وعروج الملائكة والروح إليه، ونزول القرآن منه، وندائه

الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقوله للملائكة، وقبضه وبسطه، وعلمه ووحدانيته، وقدرته ومشيئته، وصمدانيته وفردانيته، وأوليته وآخريته، وظاهريته وباطنيته، وحياته وبقائه، وأزليته، وأبديته، ونوره وتجليه، والوجه، وخلق آدم عليه السلام بيده، ونحو قوله تعالى: ﴿أأمِنْتُم مَنْ في السّماءِ أنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأرْضَ﴾ [الملك: ١٦].

وقوله تعالى: ﴿وهُوَ الّذي في السّماءِ إلهٌ وفي الأرضِ إلهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]. وسماعه [من غيره] وسماع غيره منه، وغير ذلك من صفاته المتعلقة به المذكورة في الكتاب المنزل على نبيه ﷺ، وجميع ما لفظ به المصطفى ﷺ من صفاته، كغرسه جنته الفردوس بيده، وشجرة طوبى بيده، وخط التوراة بيده، والضحك والتعجب، ووضعه القدم على النار، فتقول: قط قط، وذكر الأصابع والنزول كل ليلة إلى سماء الدنيا، وليلة الجمعة، وليلة النصف من شعبان، وليلة القدر، وغيرته وفرحه بتوبة العبد، واحتجابه بالنور وبرداء الكبرياء، وأنه ليس بأعور، وأنه يعرض عما يكره، ولا ينظر إليه، / وإن كلتا يديه يمين، واختيار آدم بقبضته اليمنى، وحديث القبضة، وله كل يوم كذا وكذا نظرة في اللوح المحفوظ، وأنه يوم القيامة يحثو ثلاث حثيات من جهنم، فيدخلهم الجنة.

٤١/أ

ولما خلق آدم عليه الصلاة والسلام مسح ظهره بيمينه، فقبض قبضة فقال: هؤلاء للجنة ولا أبالي أصحاب اليمين، وقبض قبضة أخرى وقال: هذه للنار ولا أبالي أصحاب الشمال، ثم ردهم في صلب آدم(١)، وحديث القبضة التي يخرج بها من النار قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً، فيلقون في نهر في الجنة يقال له [نهر] الحياة(٢)، وحديث خلق آدم على صورته وقوله: «لا

(١) أحمد في «المسند» ٤/١٨٦، وصححه ابن حبان رقم (١٨٠٦) «موارد» والحاكم ١/٣١ ووافقه الذهبي، وهو كما قالوا. انظر «الأحاديث الصحيحة» رقم (٤٨ و ٤٩ و ٥٠).

(٢) البخاري رقم (٢٢) و(٤٥٨١) و(٦٥٧٤) و(٧٤٣٨) و(٧٤٣٩)، ومسلم رقم (١٨٣)

تقبحوا الوجه، فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن»[1]. وإثبات الكلام بالحرف والصوت وباللغات وبالكلمات وبالسور، وكلامه تعالى لجبريل والملائكة ولملك الأرحام وللرحم، ولملك الموت ولرضوان ولمالك ولآدم ولموسى ولمحمد ﷺ والشهداء وللموت عند الحساب، وفي الجنة، ونزول القرآن إلى سماء الدنيا، وكون القرآن في المصاحف، «وما أذن الله لشيء كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن»[2] وقوله: «لله أشد أذناً لقارىء القرآن من صاحب القينة الى قينته[3]» ، وأن الله سبحانه يحب العطاس ويكره التثاؤب[4]، وفرغ الله من الرزق والأجل[5] . وحديث ذبح الموت[6] ومباهات الله تعالى وصعود والأقوال

والنسائي ٨/١١٢ - ١١٣، وأحمد ٣/١٧ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(١) أخرج أحمد ٢/٢٥١ و ٤٣٤، قال: حدثنا يحيى عن ابن عجلان عن سعيد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه، ولا تقل قبح الله وجهك، ووجه من أشبه وجهك، فإن الله تعالى خلق آدم على صورته». وسند حسن. انظر «الأحاديث الصحيحة» رقم (٨٦٢)

(٢) البخاري (٥٠٢٣)، ومسلم (٧٩٢) ، وأبو داود (١٤٧٣)، والنسائي ٢/١٨٠، وأحمد ٢/٢٧١ و ٢٨٥ و ٤٥٠، والدارمي (١٤٩٩)، و(٣٤٩٣ - ٣٤٩٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) ابن ماجه رقم (١٣٤٠)، وأحمد ٦/١٩ و ٢٠، وابن حبان رقم (٦٥٩) «موارد»، والحاكم ١/٥٧١، والبيهقي ١٠/٢٣٠ وهو حديث ضعيف كما في «ضعيف الجامع» رقم (٤٦٣٣).

(٤) البخاري رقم (٦٢٢٣) و (٦٢٢٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. انظر «جامع الأصول» رقم (٤٨٨٧).

(٥) وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قالت أم حبيبة زوج النبي ﷺ ورضي الله عنها: اللهم أمتعني بزوجي رسول الله وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية، قال: فقال النبي ﷺ: «قد سألت الله لآجال مضروبة وأيام معدودة وأرزاق مقسومة، لن يعجل شيئاً قبل أجله، ولن يؤخر شيئاً عن أجله، ولو كنت سألت الله أن يعيذك من عذاب النار وعذاب في القبر كان خيراً وأفضل» أخرجه مسلم رقم (٢٦٦٣)(٣٢) و (٣٣)،وأحمد ١/٣٩٠و٤١٣و٤٣٣و٤٤٥ و٤٦٦ .

(٦) أخرجه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه البخاري رقم (٤٧٣٠)، ومسلم رقم (٢٨٤٩)، وأحمد ٣/٩، والترمذي رقم (٣١٥٥)، وفي الباب عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عند البخاري رقم (٦٥٤٨)، ومسلم رقم (٢٨٥٠) (٤٣) وأحمد ٢/١١٨ و ١٢٠ و١٢١، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عند أحمد ٢/٣٧٧ و ٤٢٣ و ٥١٣، والدارمي رقم (٢٨١٤).

والأعمال والأرواح إليه وحديث معراج الرسول ﷺ ببدنه، وبيان نفسه ونظره إلى الجنة والنار، وبلوغه إلى العرش إلى أن لم يكن بينه وبين الله تعالى إلا حجاب العزة، وعرض الأنبياء عليه [وعليهم أفضل الصلاة والسلام]، وعرض أعمال الأمة عليه، وغير هذا مما صح عنه ﷺ من الأخبار المتشابهة الواردة في صفات الله سبحانه ما بلغنا وما لم يبلغنا مما صح عنه اعتقادنا فيه.

وفي الآي الأصل في القرآن أن نقبلها ولا نردها، ولا نتأولها بتأويل المخالفين، ولا نحملها على تشبيه المشبهين، ولا نزيد عليها ولا ننقص منها، ولا نفسرها ولا نكيفها ولا نترجم عن صفاته بلغة غير العربية، ولا نشير إليها بخواطر القلوب ولا بحركات الجوارح، بل نطلق ما أطلقه الله ـ عز وجل ـ ونفسّر الذي فسّره النبيُّ ﷺ وأصحابه والتابعون والأئمة المرضيون من السلف المعروفين بالدين والأمانة، ونجمع على ما أجمعوا [عليه]، ونمسك عن ما أمسكوا عنه، ونسلم الخبر الظاهر والآية الظاهرة تنزيلها، لا نقول بتأويل المعتزلة والأشعرية والجهمية والملحدة والمجسمة والمشبهة والكرامية والمكيفة، بل نقبلها بلا تأويل/ ونؤمن بها بلا تمثيل، ونقول: الإيمان بها واجب، والقول بها سنة، وابتغاء تأويلها بدعة.. آخر كلام أبي العباس بن سريج الذي حكاه أبو القاسم سعد بن علي الزنجاني في أجوبته، ثم ذكر باقي المسائل وأجوبتها. ٤١/ب

* **قول الإمام حجة الإسلام أبي أحمد بن الحسين الشافعي** المعروف بابن الحداد رحمه الله تعالى:

قال: الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين وسلم تسليماً أما بعد.

فإنك وفّقك الله تعالى لقول السداد، وهداك إلى سبيل الرشاد سألتني عن الاعتقاد الحق والمنهج الصدق الذي يجب على العبد المكلف أن يعتقده

ويلزمه ويعتمده، فأقول والله الموفق للصواب: الذي يجب على العبد اعتقاده ويلزمه في ظاهره وباطنه اعتماده ما دلَّ عليه كتابُ الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، وإجماع الصدر الأول من علماء السلف، وأئمتهم الذين هم أعلام الدين، وقدوة مَنْ بعدهم من المسلمين، وذلك أن يعتقد العبد ويقرّ ويعترف بقلبه ولسانه أنّ الله واحد أحد، فرد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، لا إله سواه، ولا معبود إلا إياه، ولا شريك له، ولا نظير له، ولا وزير له، ولا ظهير له، ولا سمي له، ولا صاحبة له، ولا ولد له. قديم أبدي [أزلي]، أول من غير بداية، وآخر من غير نهاية، موصوف بصفات الكمال من الحياة والقدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر والبقاء والبهاء والجمال والعظمة والجلال والمنّ والإفضال، لا يعجزه شيء، ولا يشبهه شيء، و﴿لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾ منزّه عن كل نقص وآفة، مقدّس عن كل عيب وعاهة، الخالق الرازق، المحيي المميت، الباعث الوارث، الأول والآخر، الظاهر الباطن، الطالب الغالب، المثيب المعاقب، الغفور الشكور، قَدَّر كلَّ شيء وقضاه، وأبرمه وأمضاه، من خير وشر، ونفع وضر، وطاعة وعصيان. وعمد ونسيان، وعطاء وحرمان، لا يجري في ملكه ما لا يريد، عدل في أقضيته غير ظالم لبريته، لا راد لأمره ولا معقّب لحكمه، ربّ العالمين، إله الأولين والآخرين، مالك يوم الدين ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾، نصفه بما وصف به نفسه في كتابه العظيم، وعلى لسان رسوله ﷺ الكريم، لا نجاوز ذلك ولا نزيد، بل نقف عنده وننتهي إليه، ولا ندخل فيه برأي ولا قياس. لبعده عن الأشكال والأجناس و﴿ذلك من/ فضل الله علينا وعلى الناس، ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ وأنه سبحانه مستو على عرشه وفوق جميع خلقه كما أخبر في كتابه وعلى ألسنة رسله ﷺ من غير تشبيه ولا تعطيل. ولا تحريف ولا تأويل. وكذلك كل ما جاء من الصفات نمره كما جاء من غير مزيد عليه، ونقتدي في ذلك بعلماء السلف الصالح ٤٢/أ

رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، ونسكت عما سكتوا عنه، ونتأول ما تأولوا، وهم القدوة في هذا الباب . ﴿ أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب﴾ ونؤمن بالقدر خيره وشره، وحلوه ومره، أنه من الله ـ عز وجل ـ لا معقّب لما حكم، ولا ناقض لما أبرم، وأن أعمال العباد حسنها وسيئها خَلْقُ الله ـ عز وجل ـ ومقدرة منه عليهم لا خالق لها سواه، ولا مقدر لها إلا إياه ﴿ليجزي الذين أساءوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾ ﴿لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون﴾، وأنه عدل في ذلك غير جائر، لا يظلمهم ﴿مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾ وكذلك الأرزاق والآجال مقدرة لا تزيد ولا تنقص.

ونؤمن ونقر ونشهد أن محمداً عبده ورسوله، وخيرته من أنبيائه، وأنه خاتم النبيين، وسيد المرسلين، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

ونؤمن أنّ كل كتاب أنزله الله تعالى حق، وأنّ كل رسول أرسله الله تعالى حق، وعزرائيل وحملة العرش والكرام الكاتبين من الملائكة حق، وأن الشياطين والجن حق، وأن كرامات الأولياء [ومعجزات] الأنبياء حق، والعين حق؛ والسحر له حقيقة وتأثير في الأجسام، ومسألة منكر ونكير حق. وفتنة القبر ونعيمه حق وعذابه حق، والبعث حق بعد الموت، وقيام الساعة والوقوف بين يدي الله تعالى يوم القيامة للحساب والقصاص والميزان حق، والصراط حق، والحوض والشفاعة التي خصّ بها [نبينا] يوم القيامة حق، والشفاعة من الملائكة والنبيين والمؤمنين حق، والجنة حق، والنار حق، وأنهما مخلوقتان لا يبيدان ولا يفنيان، وخروج المؤمنين من النار بعد دخولها حق، ولا يخلد فيها من في قلبه مثقال ذرة من إيمان، وأهل الكبائر في مشيئة الله لا نقطع عليهم بالنار، بل نخاف عليهم ولا نقطع للطائعين بالجنة، بل نرجو لهم، وأن الإيمان قول باللسان ومعرفة بالقلب وعمل بالجوارح وأنه يزيد وينقص، وأن المؤمنين

يرون ربهم - عز وجل - في الآخرة من غير حجاب، وأن الكفار عن رؤيته محجوبون، وأن القرآن كلام الله رب العالمين نزل به الروحُ الأمين على قلب محمد خاتم النبيين ﷺ، أنزله بعلمه والملائكة يشهدون، وكفى / بالله شهيداً، ٤٢/ب وأنه غير مخلوق، وأن السور والآيات والحروف المسموعات والكلمات التامات الذي عجزت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ليس بمخلوق كما قال المعتزلي؛ ولا عبارة كما قال الكُلّابي، وأنه المتلو بالألسنة المحفوظ في الصدور والمصاحف والآيات، لا يختلف باختلاف الحناجر والنغمات أنزله إذ شاء ويرفعه إذ شاء. وهذا معنى قول السلف: منه بدأ وإليه يعود، واللفظية الذين يقولون: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة مبتدعة جهمية عند الإمام أحمد والشافعي، أخبرنا به الحسين [بن الحسين] بن أحمد بن إبراهيم الطبري قال: سمعت أحمد بن يوسف الشالنجي يقول: سمعت أبا عبد الله الحسين بن علي القطان يقول، سمعت علي بن الحسين بن الجنيد يقول، سمعت الربيع يقول: سمعت الشافعي يقول: من قال لفظي بالقرآن أو القرآن بلفظي مخلوق، فهو جهمي. وحكي بهذا اللفظ عن أبي زرعة وعلي بن خشرم وغيرهم من أئمة السلف.

وأن الآيات التي [تظهر] عند قرب الساعة من الدجال، ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام والدخان والدابة، وطلوع الشمس من مغربها وغيرها من الآيات التي وردت بها الأخبار الصحاح حق، وأن خير هذه الأمة القرن الأول وهم الصحابة رضوان الله عنهم، وخيرهم العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة، وخير هؤلاء العشرة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم، ونعتقد حب آل محمد ﷺ، وأزواجه وسائر أصحابه رضوان الله عليهم، ونذكر محاسنهم، وننشر فضائلهم، ونمسك ألسنتنا وقلوبنا عن التطلّع فيما شجر بينهم، ونستغفر الله لهم، ونتوسل إلى الله تعالى بهم.

ونرى الجهاد والجمعة والجماعة ماضياً إلى يوم القيامة، والسمع والطاعة

لولاة الأمر من المسلمين واجباً في طاعة الله تعالى دون معصيته لا يجوز الخروج عليهم، ولا المفارقة لهم، ولا نكفر أحداً من المسلمين بذنب عمله، ولو كبر، ولا ندع الصلاة عليهم، بل نحكم فيهم بحكم رسول الله ﷺ.

ونترحّم على معاوية ونكِلُ سريرة يزيد إلى الله تعالى. وقد روي عنه أنه لما رأى رأس الحسين رضوان الله عليه قال: لقد قتلك من كانت الرحم بينك وبينه قاطعة، وتبرأ ممن قتل الحسين [رضوان الله عليه]، وأعان عليه، وأشار به ظاهراً وباطناً. هذا اعتقادنا ظاهراً ونكل سريرته إلى الله تعالى.

والعبارة الجامعة في باب التوحيد أن يقال إثبات من غير تشبيه، ونفي من غير تعطيل قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كمِثْله شيءٌ وهُوَ السّميعُ البَصيرُ﴾ [الشورى: ١١] / والعبارة الجامعة في المتشابه من آيات الصفات أن يقال: آمنت بما قال الله تعالى على ما أراده، وآمنت بما قال رسول الله ﷺ على ما أراده، فهذا اعتقادنا الذي نتمسك به وننتهي إليه، ونسأل الله تعالى أن يحيينا عليه، ويميتنا عليه، ويجعله وسيلتنا يوم الوقوف بين يديه، إنه جواد كريم، والحمد لله رب العالمين. هذا آخر كلامه.

٤٣/أ

* قول الإمام إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي:

صاحب «كتاب الترغيب والترهيب». و«كتاب الحجة في بيان المحجة ومذهب أهل السنة» وكان إماماً للشافعية في وقته رحمه الله تعالى، وجمع له أبو موسى المديني مناقب جليلة لجلالته، قال في «كتاب الحجة»: باب في بيان استواء الله ـ عز وجل ـ على عرشه قال الله تعالى: ﴿الرَّحمنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]. وقال في أخرى: ﴿وسِعَ كُرْسِيُّهُ السّمواتِ والأرْضَ﴾. وقال: ﴿العليُّ العَظيم﴾ [البقرة: ٢٥٥] . وقال تعالى: ﴿سبِّحِ اسْمَ ربِّك الأعْلى﴾ [الأعلى: ١].

قال أهل السنة: الله فوق السموات لا يعلوه خلق من خلقه.

ومن الدليل على ذلك أن الخلق يشيرون إلى السماء بأصابعهم ويدعونه ويرفعون إليه رؤوسهم وأبصارهم. وقال ـ عز وجل ـ: ﴿وهُوَ القَاهِرُ فَوْقَ عبادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨]. وقال تعالى: ﴿أأمِنْتُم مَنْ في السّماءِ أنْ يخْسِفَ بكمُ الأرْضَ فإذا هي تَمُورُ * أمْ أمِنْتم مَنْ في السّماءِ أنْ يُرْسِلَ عليْكُم حاصِباً فَسَتَعْلَمَونَ كَيْفَ نَذيرِ﴾ [الملك: ١٦ ـ ١٧] والدليل على ذلك الآيات التي فيها ذكر نزول الوحي.

* * *

١٤ ـ فصل

في بيان أن العرش فوق السموات، وأن الله عزّ وجل فوق العرش

ثم ذكر حديث أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ الذي في البخاري «لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي»(١). وبسط الاستدلال على ذلك بالسنة ثم قال: قال علماء السنَّة: أن الله ـ عز وجل ـ على عرشه بائن من خلقه، وقالت المعتزلة: هو بذاته في كل مكان، وقالت الأشعرية: الاستواء عائد إلى العرش.

قال: ولو كان كما قالوا لكانت القراءة برفع العرش، فلما كانت بخفض العرش دل على أنه عائد إلى الله سبحانه وتعالى. قال: وقال بعضهم: استوى بمعنى استولى(٢) قال الشاعر:

(١) تقدم تخريجه ص (٥٥(رقم (١).

(٢) البيت للأخطل يمدح بشر بن مروان. قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» ٢٦٢/٩: «وهذا البيت تستدل به الجهمية على أن الاستواء على العرش بمعنى الاستيلاء، وهذا من تحريف الكلم عن مواضعه، وليس في بيت هذا النصراني حجة ولا دليل على ذلك، ولا أراد الله عز وجل باستوائه على عرشه استيلاؤه عليه، تعالى الله عن قول الجهمية علواً كبيراً، فإنه إنما يقال: استولى على الشيء إذا كان ذلك الشيء عاصياً عليه قبل استيلائه عليه كاستيلاء

قَــدِ اسْتَوَى بِشْــرٌ على العِــراقِ   مِـنْ غَيــرِ سَيْـفٍ ودَمٍ مِهْــراقِ

والاستيلاء: لا يوصف به إلا مَنْ قَدِرَ على الشيء بعد العجز عنه، والله تعالى لم يزل قادراً على الأشياء ومستولياً عليها. ألا ترى أنه لا يوصف بِشْرٌ بالاستيلاء على العراق إلا وهو عاجز عنه قبل ذلك.

ثم حكى أبو القاسم، عن ذي النون المصري أنه قيل له: ما أراد الله سبحانه بخلق العرش؟ قال: أراد أن لا يتوه قلوب العارفين.

٤٣/ب قال: وروي عن/ ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿ما يَكُونَ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إلَّا هُوَ رابِعُهُم﴾ [المجادلة: ٧] قال: هو على عرشه وعلمه في كل مكان... ثم ساق الاحتجاج بالآثار إلى أن قال: وزعم هؤلاء أن معنى الرحمن على العرش استوى أي: ملكه، وأنه لا اختصاص له بالعرش أكثر مما له بالأمكنة، وهذا إلغاء لتخصيص العرش وتشريفه.

وقال أهل السنة: خلق الله تعالى السموات، وكان عرشه على الماء مخلوقاً قبل خلق السموات والأرض، ثم استوى على العرش بعد خلق السموات والأرض على ما ورد به النص، وليس معناه المماسة، بل هو مستو على عرشه بلا كيف كما أخبر عنه نفسه.

قال: وزعم هؤلاء أنه لا يجوز الإشارة إلى الله سبحانه بالرؤوس والأصابع إلى فوق، فإن ذلك يوجب التحديد، وقد أجمع المسلمون على أن الله سبحانه العلي الأعلى، ونطق بذلك القرآن، فزعم هؤلاء أن ذلك بمعنى [علو] الغلبة لا علو الذات، وعند المسلمين أن لله ـ عز وجل ـ علو الغلبة، والعلو من سائر وجوه العلو، لأنه صفة مدح، فنثبت أن لله تعالى علو الذات

بشر على العراق، واستيلاء الملك على المدينة بعد عصيانها عليه، وعرش الرب لم يكن ممتنعاً عليه نفساً واحداً حتى يقال استولى عليه أو معنى الاستواء: الاستيلاء، ولا تجد أضعف من حجج الجهمية حتى أوهم الإفلاس من الحجج إلى بيت هذا النصراني المقبوح، وليس فيه حجة والله اعلم».

وعلو الصفات وعلو القهر والغلبة، وفي منعهم الإشارة إلى الله سبحانه وتعالى من جهة الفوق خلاف منهم لسائر الملل، لأن جماهير المسلمين وسائر الملل قد وقع منهم نعيم الإجماع على الإشارة إلى الله سبحانه وتعالى من جهة الفوق في الدعاء والسؤال، واتفاقهم بأجمعهم على ذلك حجة، ولم يستجز أحد الإشارة إليه من جهة الأسفل، ولا من سائر الجهات سوى جهة الفوق. وقال تعالى ﴿يَخافُونَ ربّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]. وقال تعالى: ﴿إلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطّيّبُ﴾ [فاطر: ١٠]. وقال تعالى: ﴿تَعْرُجُ المَلائِكَةُ والرُّوحُ إليْهِ﴾ [المعارج: ٤].

وأخبر تعالى عن فرعون أنه قال: ﴿يا هَامَانُ ابْنِ لي صَرْحاً لَعَلّي أبْلُغُ الأسْبَابَ * أسْبابَ السّموات فاطّلعُ إلى إلِهِ مُوسَى﴾ [غافر: ٣٦ - ٣٧] فكان فرعون قد فهم من موسى عليه الصلاة والسلام أنه يثبت إلهاً فوق السماء، حتى رام بصرحه أن يطلع إليه، واتّهم موسى عليه الصلاة والسلام بالكذب في ذلك، والجهمية لا تعلم أن الله فوقها بوجود ذاتها، فهم أعجز فهماً من فرعون، [بل وأضل].

وقد صحّ عن النبي ﷺ أنه سأل الجارية التي أراد مولاها عتقها: «أين الله؟ قالت: في السماء، وأشارت برأسها إلى السماء وقال: من أنا؟ فقالت: أنت رسول الله، فقال: أعتقها، فإنها مؤمنة»، فحكم النبي ﷺ بإيمانها حيث قالت: إنّ الله في السماء، وحكم الجهمي بكفر من يقول ذلك. هذا كله كلام أبي القاسم التيمي رحمه الله تعالى.

*** قول الإمام أبي عمرو عثمان بن [أبي] الحسن بن الحسين السهروردي:**

الفقيه المحدث من أئمة أصحاب الشافعي، من أقران البيهقي وأبي عثمان الصابوني وطبقتهما. له كتاب في أصول/ الدين قال في أوّله: ٤٤/أ

الحمد لله الذي اصطفى الإسلام على الأديان. وزيّن أهله بزينة الإيمان. وجعل السنة عصمة أهل الهداية. ومجانبتها إمارة أهل الغواية، وأعزّ أهلها بالاستقامة، ووصل عزّهم بالقيامة، وصلى الله على محمد وسلم وعلى آله أجمعين. وبعد.

فإنّ الله تعالى لما جعل الإسلام ركن الهدى، والسنّة سبب النجاة من الردى، ولم يجعل من ابتغى غير الإسلام ديناً هادياً، ولا من انتحل غير السنة نحلة ناجياً، جمعت أصول السنة الناجي أهلها التي لا يسع الجاهل نكرها، ولا العالم جهلها، ومن سلك غيرها من المسالك. فهو في أودية البدع هالك.

إلى أن قال: وَدعاني إلى جمع هذا المختصر في اعتقاد السنة على مذهب الشافعي وأصحاب الحديث، إذ هم أمراء العلم، وأئمة الإسلام قول النبي ﷺ تكون البدع في آخر الزمان محنة، فإذا كان كذلك فمن كان عنده علم فليظهره، فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد نبيه ﷺ، ثم ساق الكلام في الصفات إلى أن قال:

١٥ ـ فصل

ومن صفاته تبارك وتعالى فوقيته واستواؤه على عرشه بذاته، كما وصف نفسه في كتابه، وعلى لسان رسول الله ﷺ بلا كيف.

بدليل قوله تعالى: ﴿الرَّحْمٰنُ عَلى الَعرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وقوله تعالى: ﴿ثمَّ اسْتَوَى عَلى العَرْشِ الرَّحْمٰنُ﴾ [الفرقان: ٥٩]، وقوله تعالى في خمس مواضع[1]: ﴿ثم استوى على العرش﴾. وقوله تعالى: في قصة عيسى عليه السلام: ﴿ورافِعُكَ إليَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

---

(١) سورة الحديد رقم (٥٩)، وسورة السجدة رقم (٤)، وسورة الفرقان رقم (٥٩) وسورة يونس رقم (٣)، وسورة الأعراف رقم (٥٤).

وساق آيات العلو ثم قال: وعلماء الأمة وأعيان الأئمة من السلف لم يختلفوا في أن الله سبحانه مستو على عرشه، وعرشه فوق سبع سمواته، ثم ذكر كلام عبد الله بن المبارك: نعرف ربنا فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه، وساق قول ابن خزيمة: من لم يقر بأن الله تعالى على عرشه قد استوى فوق سبع سمواته، فهو كافر. بإسناده من «كتاب معرفة علوم الحديث»، ومن «كتاب تاريخ نيسابور» للحاكم.. ثم قال: وإمامنا في الأصول والفروع أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ـ رضي الله عنه ـ احتج في كتابه المبسوط على المخالف في مسألة إعتاق الرقبة المؤمنة في الكفارة، وأن الرقبة الكافرة لا يصح التكفير بها بخبر معاوية بن الحكم [السلمي ـ رضي الله عنه ـ،] وأنه أراد أن يعتق الجارية السوداء عن الكفارة، وسأل النبي ﷺ ليعرف أنها مؤمنة أم لا، فقال لها: «أين ربك؟» فأشارت إلى السماء، إذ كانت أعجمية، فقال لها: «من أنا؟» فأشارت إليه وإلى السماء، تعني أنك رسول الله الذي في السماء، فقال: «أعتقها فإنها مؤمنة»، فحكم رسول الله ﷺ بإسلامها وإيمانها لما أقرّت بأنّ ربَّها في السماء، / وعرفت ربها بصفة العلو والفوقية. هذا لفظه. ٤٤/ب

* **قول إمام الشافعية في وقته: الإمام أبي بكر محمد بن محمد بن سورة التميمي** فقيه نيسابور رحمه الله تعالى:

قال الحافظ عبد القادر الرهاوي، أخبرنا أبو العلاء الحسن بن أحمد الحافظ الهمداني قال: أخبرنا أبو جعفر محمد بن أبي علي الحافظ قال: سمعت الشيخ الفقيه أبا بكر محمد بن محمود بن سورة التميمي النيسابوري يقول: لا أصلي خلف من ينكر الصفات، ولا خلف من يقول بقول أهل الفساد، ولا خلف من لم يثبت القرآن في المصحف، ولا يثبت النبوة قبل الماء والطين إلى يوم الدين، ولا يقرّ بأن الله تعالى فوق عرشه بائن من خلقه.

قال أبو جعفر: وسمعته يقول للشيخ أبي المظفر السمعاني بنيسابور: إن

أردتَ أن يكونَ لك درجة الإيمان في الدنيا والآخرة، فعليك بمذهب السلف الصالح، وإياك أن تداهن في ثلاث مسائل: مسألة القرآن، ومسألة النبوة. ومسألة استواء الرحمن على العرش باستدلال النص من القرآن والسنة المأثورة عن النبي ﷺ. حكاه الحافظ أبو منصور عبد الله بن محمد بن الوليد في «كتاب إثبات العلو» له.

قلت: ونظير ذكر هذه المسائل الثلاث ما حكاه أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي قال: سمعت أحمد بن أميرجه القلانسي خادم شيخ الإسلام الأنصاري يقول: حضرت مع شيخ الإسلام على الوزير أبي علي الحسن بن علي الطوسي نظام الملك، وكان أصحابه كلّفوه الخروج إليه وذلك بعد المحنة ورجوعه من بلخ، فلما دخل عليه أكرمه وبجَّله، وكان في العسكر أئمة من الفريقين، فاتفقوا جميعاً على أن يسألوه عن مسألة بين يدي الوزير يعنتونه بها، فإن أجاب بما يجيب بهراة سقط من عين الوزير، وإن لم يجب سقط من عيون أصحابه وأهل مذهبه، فلما دخل واستقر به المجلس انتدب له رجل من الجماعة، فقال: يأذن الشيخ الإمام في أن أسأل مسألة؟ فقال: سل. فقال: لِمَ تلعن أبا الحسن الأشعريّ، فسكت وأطرق الوزير لما علم من جوابه. فلما كان بعد ساعة قال له الوزير: أجبه. فقال: أنا لا ألعن الأشعريّ، وإنما ألعن من لم يعتقد أن الله في السماء، وأن القرآن في المصحف، وأن النبي ﷺ اليوم نبي، ثم قام وانصرف، فلم يكن أحد أن يتكلم بكلمة من هيبته وصولته وصلابته. فقال الوزير للسائل ومن معه: هذا أردتم كنا نسمع أنه يذكر هذا بهراة فأجهدتم حتى / سمعناه بآذاننا، وما عسى أن أفعل به؟!. ثم بعث خلفه خلعاً وصلة، فلم يقبلها وخرج من فوره إلى هراة.

٤٥/أ

وهذا القول في النبوة بناء على أصل الجهمية وأفراخهم أن الروح عرض من أعراض البدن كالحاية، وصفات الحي مشروطة بها، فإذا زالت بالموت تبعتها صفاته فزالت بزوالها، ونجا متأخروهم من هذا الإلزام، وفرّوا من القول

بحياة الأنبياء عليهم السلام في قبورهم، فجعلوا له معاداً يختص بهم قبل المعاد الأكبر، إذ لم يمكنهم التصريح بأنهم لم يذوقوا الموت. وقد أشبعنا الكلام على هذه المسألة واستيفاء الحجج لهم وبيان ما في ذلك في «كتاب الشافية الكافية في الانتصار للفرقة الناجية».

* **قول أبي الخير العمراني صاحب البيان** فقيه الشافعية ببلاد اليمن رحمه الله تعالى:

له كتاب لطيف في السنة على مذهب أهل الحديث صرّح فيه بمسألة الفوقية والعلو والاستواء حقيقة، وتكلُّم الله - عز وجل - بهذا القرآن العربي المسموع بالآذان حقيقة، وأن جبرائيل عليه الصلاة والسلام سمعه من الله سبحانه حقيقة، وصرّح فيه بإثبات الصفات الخبرية واحتج بذلك ونصره، وصرح بمخالفة الجهمية والنفاة.

* * *

ذكر أقوال جماعة من أتباع الأئمة الأربعة ممن يقتدي بأقوالهم سوى ما تقدم

* قول أبي بكر بن محمد بن موهب المالكي:

شارح رسالة ابن أبي زيد رحمة الله عليهما. قد تقدم ذكره عند ذكر أصحاب مالك رحمه الله وحكينا بعض كلامه في شرحه، ونحن نسوقه بعبارته قال:

وأما قوله: «إنه فوق عرشه المجيد بذاته» فإن معنى فوق وعلا عند جميع العرب واحد، وفي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ تصديق ذلك... ثم ساق الآيات في إثبات العلو وحديث الجارية إلى أن قال: وقد تأتي «في» في لغة العرب بمعنى «فوق» وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿فامْشُوا في مَنَاكِبِها﴾ [الملك: ١٥] يريد فوقها وعليها، وكذلك قوله تعالى: ﴿ولأصلِبَنّكُم في جُذوعِ النّخْلِ﴾ [طه: ١٧] يريد عليها، وقال تعالى: ﴿أأمِنْتُم مَنْ في السّماءِ أنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦] الآيات، قال أهل التأويل العالمون بلغة العرب: يريد فوقها، وهو قول مالك مما فهم عن جماعة ممن أدرك من التابعين، مما فهموه عن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ، مما فهموه عن النبي ﷺ أن الله في السماء يعني فوقهاوعليها، فلذلك قال الشيخ أبو محمد: «إنه فوق عرشه المجيد بذاته»، ثم أنه بيّن أن علوه على عرشه إنما هو بذاته لأنه بائن عن جميع خلقه بلا كيف، وهو في كل مكان من الأمكنة المخلوقة بعلمه لا بذاته، إذ لا تحويه الأماكن، لأنه أعظم منها، وقد كان ولا مكان، ولم يحل بصفاته عما كان، إذ لا تجري عليه الأحوال، لكن علوه في استوائه على عرشه هو عندنا بخلاف ما كان قبل أن يستوي/ على العرش [لأنه قال: ﴿ثمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ﴾ [الحديد: ٤] ٤٥/ب

و «ثم» أبداً لا تكون إلا لاستئناف فعل يصير بينه وبين ما قبله فسحة إلى أن قال: وقوله: ﴿على العَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] فإنما معناه عند أهل السنة على غير الاستواء والقهر والغلبة والملك الذي ظنت المعتزلة، ومن قال بقولهم: إنه بمعنى الاستيلاء. وبعضهم يقول: إنه على المجاز دون الحقيقة.

قال: ويبين سوء تأويلهم في استوائه على عرشه على غير ما تأولوه من الاستيلاء وغيره ما قد علمه أهل العقول أنه لم يزل مستوياً على جميع مخلوقاته بعد اختراعه لها، وكان العرش وغيره في ذلك سواء، فلا معنى لتأويلهم بإفراد العرش بالاستواء الذي هو في تأويلهم الفاسد استيلاء وملك وقهر وغلبة.

قال: وكذلك بيّن أيضاً أنه على الحقيقة بقوله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ الله قيلاً﴾] [النساء: ١٢٢] فلمّا رأى المنصفون إفراد ذكره بالإستواء على عرشه بعد خلق سمواته وأرضه وتخصيصه بصفة الإستواء ، علموا أن الإستواء هنا غير الإستيلاء ونحوه، فأقرّوا بوصفه بالإستواء على عرشه ، وأنه على الحقيقة لا على المجاز لأنه الصادق في قيله ، ووقفوا عن تكييف ذلك وتمثيله، إذ ليس كمثله شيء من الأشياء.

وقد تقدم قول القاضي عبد الوهاب إمام المالكية بالعراق أن الاستواء استواء الرب على العرش، وأنه قول الأشعري حكاه عنه عبد الوهاب نصاً، وأنه قول الأشعري نفسه صرح به في بعض كتبه، وأنه قول الخطابي وغيره من الفقهاء والمحدثين. ذكر ذلك كله الإمام أبو بكر الحضرمي في رسالته التي سماها بـ «الإيمان إلى مسألة الاستواء» فمن أراد الوقوف عليها فليقرأها.

وقد تقدم قول أبي عمر ابن عبد البر: وعلماء الصحابة. والتابعين الذين حمل عنهم التأويل [قالوا في تأويل] قوله تعالى: ﴿ما يكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إلاَّ هُوَ رابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] أنه على العرش وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله، وأهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها

في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيّفون شيئاً من ذلك، ولا يحدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج، فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أَقَرَّ بها مشبّه، وهم عند من أَقَرَّ بها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، وهم أئمة الجماعة.

*** قول شيخ الإسلام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد المقدسي:**

٤٦/أ / الذي اتفقت الطوائف على قبوله وتعظيمه وإمامته خلا جهمي أو معطل. قال في كتاب «إثبات صفة العلو».

أما بعد، فإن الله تعالى وصف نفسه بالعلو في السماء، ووصفه بذلك رسوله خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام، وأجمع على ذلك جميع العلماء من الصحابة الأتقياء، والأئمة من الفقهاء، وتواترت الأخبار بذلك على وجه حصل به اليقين، وجمع الله ـ عز وجل ـ عليه قلوب المسلمين، وجعله مغروزاً في طباع الخلق أجمعين، فتراهم عند نزول الكرب بهم يلحظون إلى السماء بأعينهم، ويرفعون عندها للدعاء أيديهم، وينتظرون مجيء الفرج من ربهم سبحانه، وينطقون بذلك بألسنتهم لا ينكر ذلك إلا مبتدع غال في بدعته، أو مفتون بتقليده واتباعه في ضلالته[1].

وقال في «عقيدته»: ومن السنة قول النبي ﷺ: «ينزل ربنا [تبارك وتعالى كل ليلة] إلى سماء الدنيا»[2]، وقوله ﷺ: «لله أفرح بتوبة عبده»[3]،

---

(١) «إثبات صفة العلو» ص ٤١ تحقيق الأستاذ بدر البدر حفظه الله تعالى.

(٢) تقدم تخريجه ص (١٠٢).

(٢) البخاري (٦٣٠٩)، ومسلم (٢٧٤٧)، وأحمد ٢١٣/٣، من حديث أنس رضي الله عنه.

[وقوله ﷺ: «يضحك ربك»](1).

. . . إلى أن قال: فهذا وما أشبهه مما صحّ سندُه وعدّلت رواته، نؤمن به، ولا نردّه، ولا نجحده، ولا نعتقد فيه تشبيهه بصفات المخلوقين ولا سمات المُحْدَثين، بل نؤمن بلفظه، ونترك التعرّض لمعناه، قراءته تفسيره، ومن ذلك قوه تعالى: ﴿الرَّحمٰنُ على العَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]. وقوله تعالى: ﴿أأمِنْتُمْ مَنْ في السَّماء﴾ [الملك: ١٦]. وقول النبي ﷺ: «ربنا الذي في السماء»(2). وقوله للجارية: «أين الله؟» قالت: في السماء. قال: «أعتقها فإنها مؤمنة»(3). رواه مالك بن أنس وغيره من الأئمة. وروى أبو داود في «سننه» أن النبي ﷺ قال: «إن ما بين سماء إلى سماء مسيرة كذا وكذا»، وذكر الحديث إلى أن قال: وفوق ذلك العرش، والله تعالى فوق ذلك(4) نؤمن بذلك ونتلقاه بالقبول من غير ردّ له ولا تعطيل ولا تشبيه [ولا تأويل]، ولا نتعرض له بكيف، ولما سئل مالك بن أنس ـ رضي الله عنه ـ فقيل له يا أبا عبد الله ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ كيف استوى؟ فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، ثم أمر بالرجل فأخرج(5).

*** قول إمام الشافعية في وقته، بل هو الشافعي الثاني أبي حامد أحمد الاسفراييني رحمه الله تعالى:**

كان من كبار أئمة السنة المثبتين للصفات قال: مذهبي ومذهب الشافعي رحمه الله تعالى، وجميع علماء الأمصار أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر، وأن جبرائيل عليه السلام سمعه من الله ـ

---

(١) تقدم تخريجه ص (١٢٢) رقم (٢)
(٢) تقدم تخريجه ص (٦١) رقم (٢).
(٣) تقدم تخريجه ص (٦٠) رقم (٢).
(٤) تقدم تخريجه ص (٦١) رقم (١).
(٥) «لمعة الاعتقاد» ص ١٢ ـ ١٥ بتحقيقنا.

عز وجل ـ، وحمله إلى محمد ﷺ، وسمعه النبي ﷺ من جبرائيل عليه السلام، وسمعه الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ من النبي ﷺ، وأن كل حرف منه كالباء والتاء كلام الله ـ عز وجل ـ ليس بمخلوق. / ذكره في كتابه في أصول الفقه وذكر عنه شيخ الإسلام في «كتاب الأجوبة المصرية». ٤٦/ب

قال شيخنا رحمه الله: وكان [الشيخ] أبو حامد يصرح بمخالفة القاضي أبي بكر ابن الطيب في مسألة القرآن.

*** قول إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة إمام السنة:**

ذكر شيخ الإسلام الأنصاري: سمعت يحيى بن عمار يقول: حدثنا محمد بن الفضل بن محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: حدثنا جدي إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة قال: نحن نؤمن بخبر الله سبحانه أن خالقنا مستو على عرشه، لا نبدّل كلامَ الله، ولا نقول غير الذي قيل لنا كما قالت الجهمية المعطلة: إنه استولى على عرشه لا استوى، فبدّلوا قولاً غير الذي قيل لهم، كفعل اليهود كفروا بخبر الله ـ عز وجل.

وقال في كتاب التوحيد: «باب ذكر استواء خالقنا العلي الأعلى الفعّال لما يشاء على عرشه، فكان فوقه [و] فوق كل شيء عالياً» ثم ساق الأدلة على ذلك من القرآن والسنة.

ثم قال: باب الدليل على أن الإقرار بأن الله فوق السماء من الإيمان، ثم ساق حديث الجارية.

ثم قال: باب ذكر أخبار ثابتة السند صحيحة القوام، رواها علماء الحجاز والعراق، عن النبي ﷺ في نزول الرب سبحانه وتعالى إلى سماء الدنيا كل ليلة، ثم قال: نشهد شهادة مقرّ بلسانه مصدّق بقلبه، بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب تبارك وتعالى من غير أن نصف الكيفية، ثم ساق الأحاديث.

ثم قال: باب كلام الله تعالى لكليمه موسى عليه الصلاة والسلام، ثم ساق الأدلة على ذلك.

ثم قال: باب صفة تكّلم الله تعالى بالوحي، وشدة خوف السموات منه، وذكر صعقة أهل السموات وسجودهم.

ثم قال: باب البيان أن الله سبحانه يكلّم عباده يوم القيامة من غير ترجمان يكون بين الله تعالى وبين عباده، ثم ذكر الأحاديث في ذلك.

ثم قال: باب ذكر بيان الفرق بين كلام الله تعالى الذي به يكون خلقه، وبين خلقه الذي يكونه بكلام.

ثم قال: باب ذكر بيان أن الله تعالى ينظر إليه جميع المؤمنين يوم القيامة برّهم وفاجرهم، وإن رغمت أنوف الجهمية المعطلة المنكرة لصفات الله سبحانه وتعالى. وكتابه في السنة كتاب جليل.

قال أبو عبد الله الحاكم في «علوم الحديث» له، وفي «كتاب تاريخ نيسابور»: سمعت محمد بن صالح بن هانىء يقول: سمعت إمام الأئمة أبا بكر ابن خزيمة يقول: من لم يقرّ بأنّ الله على عرشه استوى فوق سبع سمواته، وأنه بائن من خلقه، فهو كافر يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه وألقي على مزبلة لئلا يتأذى بريحه أهل القبلة وأهل الذمة.

توفي الإمام ابن خزيمة سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة، ذكره الشيخ/ أبو ٤٧/أ إسحاق الشيرازي في «طبقات الفقهاء»، أخذ الفقه عن المزني. وقال المزني: [ابن خزيمة] هو أعلم بالحديث مني، ولم يكن في وقته مثله في العلم بالحديث والفقه جميعاً، وقال في كتابه: فمن ينكر رؤية الله تعالى في الآخرة، فهو عند المؤمنين شر من اليهود والنصارى والمجوس، وليسوا بمؤمنين عند جميع المؤمنين.

* قول الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري:

الإمام في الفقه والتفسير والحديث والتاريخ واللغة والنحو والقرآن، قال في «كتاب صريح السنة»: وحسب امرىء أن يعلم أنّ ربَّه هو الذي على العرش استوى، فمن تجاوز إلى غير ذلك فقد خاب وخسر.

وقال في «تفسيره الكبير»: علا وارتفع في قوله تعالى: ﴿ثم اسْتَوَى عَلى العَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٩] قال:

وقال في قوله تعالى: ﴿ثم اسْتَوَى إلى السّماءِ﴾ [الحديد: ٤] عن الربيع بن أنس: أنه يعني: ارتفع.

وقال في قوله تعالى: ﴿عَسَى أنْ يَبْعَثَكَ ربُّك مَقاماً محْموداً﴾ [فصلت: ١١] قال: يجلسه معه على العرش.

وقال في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب * أسباب السموات فأَطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً﴾ [غافر: ٣٦ ـ ٣٧] يقول: وأني لأظن موسى كاذباً فيما يقول ويدّعي أن له رباً في السماء أرسله إلينا.

وقال في كتاب «التبصرة في معالم الدين»: القول فيما أدركه وعلمه من الصفات خبراً، وذلك نحو أخباره أنه سميع بصير. وأن له يَدَيْنِ بقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]. وأن له وجهاً بقوله تعالى: ﴿ويَبْقَى وجْهُ ربِّكَ ذُو الجَلالِ والإكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٣٧]. وأن له قَدَماً لقول النبي ﷺ: «حتى يضع رب العزة فيها قدمه»[١]، وأنه يضحك لقوله: «لقي الله وهو يضحك إليه»[٢] وأنه يهبط إلى سماء الدنيا بخبر رسول الله ﷺ بذلك[٣]. وأن له إصبعاً بقول

(١) تقدم تخريجه ص (١٢٢) رقم (١).
(٢) تقدم تخريجه ص (١٢٢) رقم (٢).
(٣) تقدم تخريجه ص (١٠٢) رقم (١).

رسول الله ﷺ: «ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن»[1] فإن هذه المعاني التي وضعت ونظائرها ما وصف الله به نفسه ورسوله، مما لا يثبت حقيقة علمه بالذكر والرؤية، لا يكفر بالجهل بها أحد إلا بعد انتهائها إليه. ذكر هذا الكلام عنه القاضي أبو يعلى في كتاب «إبطال التأويل».

قال الخطيب: كان ابن جرير أحد العلماء يحكم بقوله ويرجع إلى رأيه، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان عارفاً بالقرآن بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها وصحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين في الأحكام والحلال والحرام.

قال أبو حامد الإسفراييني: لو سافر رجل إلى الصين حتى يصل إلى كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن كثيراً.

وقال ابن خزيمة: ما أعلم على أديم الأرض أعلم/ من محمد بن جرير. ٤٧/ب

وقال الخطيب: سمعت علي بن عبيد الله اللغوي يحكي: أن محمد بن جرير مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم [منها] أربعين ورقة.

قلت: وكان له مذهب مستقل له أصحاب، عد منهم أبو الفرج المعافى بن ذكريا.

ومن أراد معرفة أقوال الصحابة والتابعين في هذا الباب، فليطالع ما قاله عنهم في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. وقوله: ﴿تَكَادُ السَّموَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ [الشورى: ٥]. وقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٩] ليتبين له أي الفريقين أولى بالله ورسوله الجهمية المعطلة أو أهل السنة والإثبات والله المستعان.

---

(١) تقدم تخريجه ص (١٢٢) رقم (٥).

* قول إمام الشافعية في وقته سعد بن علي الزنجاني:

صرّح بالفوقية بالذات فقال: وهو فوق عرشه بوجود ذاته. هذا لفظه، وهو إمام في السنّة له قصيدة فيها معروفة أولها:

تمَسّكْ بحبْلِ الله واتَّبِعِ الأثَرَ [وَدَعْ عَنكَ رأياً لا يلائمه خبَر].

وقال في شرح هذه القصيدة: والصواب عند أهل الحق أن الله تعالى خلق السموات والأرض، وكان عرشه على الماء مخلوقاً قبل خلق السموات والأرض، ثم استوى على العرش بعد خلق السموات والأرض على ما ورد به النص، ونطق به القرآن، وليس معنى استوائه أنه مَلَكه واستولى عليه، لأنه كان مستولياً عليه قبل ذلك، وهو أحدثه لأنه مالك جميع الخلائق ومستول عليها، وليس معنى الاستواء أيضاً أنه ماسّ العرش، أو اعتمد عليه، أو طابقه فإن كل ذلك ممتنع في وصفه جلَّ ذكره، ولكنه مستوى بذاته على عرشه بلا كيف كما أخبر عن نفسه.

وقد أجمع المسلمون على أن الله هو العلي الأعلى، ونطق بذلك القرآن بقوله تعالى: ﴿سبِّحِ اسْمَ ربِّك الأعلى﴾ وأن لله علو الغلبة، والعلو الأعلى من سائر وجوه العلو، لأن العلو صفة مدح عند كل عاقل، فثبت بذلك أن لله علو الذات، وعلو الصفات، وعلو القهر والغلبة، وجماهير المسلمين وسائر الملل قد وقع منهم الإجماع على الإشارة إلى الله جل ثناؤه من جهة الفوق في الدعاء والسؤال، فاتفاقهم بأجمعهم على الإشارة إلى الله سبحانه من جهة الفوق حجة، ولم يستجز أحد الإشارة إليه من جهة الأسفل، ولا من سائر الجهات سوى جهة الفوق.

وقال تعالى: ﴿يَخافُونَ ربّهُم مِنْ فَوْقِهِم﴾ [النحل: ٥٠]. وقال تعالى: ﴿إليهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطّيّبُ والعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُه﴾ [فاطر: ١٠]. وقال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الملائِكَةُ والروحُ إليْه﴾ [المعارج: ٤] وأخبر عن فرعون أنه قال: ﴿يا

هَامانُ ابْنِ لي صَرْحاً لَعَلّي أَبْلُغُ الأسْباب * أَسْبابَ السّمواتِ فاطّلِعُ إلى إلَهِ مُوسَى وإنّي لأظنّه كاذِباً﴾ [غافر: ٣٦ ـ ٣٧] وكان فرعون قد فهم/ عن موسى أنه ٤٨/أ يثبت إلهاً فوق السماء، حتى رام بصرحه أن يطلع إليه، واتّهم موسى بالكذب في ذلك، ومخالفنا ليس يعلم أن الله فوقه بوجود ذاته، فهو أعجز فهماً من فرعون.

وقد صحّ عن رسول الله ﷺ، أنه سأل الجارية التي أراد مولاها عتقها: «أين الله؟» قالت: في السماء، وأشارت برأسها. وقال: «من أنا؟» فقالت: أنت رسول الله، فقال: «أعتقها فإنها مؤمنة»، فحكم النبيُّ ﷺ بإيمانها حين قالت: إن الله في السماء.

وقال الله ـ عز وجل ـ: ﴿ثمَّ اسْتَوَى عَلى العَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٩]. وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الأمرَ مِنَ السّماءِ إلى الأرْضِ ثمَّ يَعْرُج إليه﴾ [السجدة: ٥] وذكر النبي ﷺ ما بين كل سماء إلى سماء، وما بين السماء السابعة وبين العرش، ثم قال: ثم الله فوق ذلك.

وله أجوبة سئل عنها في السنة، فأجاب عنها بأجوبة أئمة السنة، وصّدرها بجواب إمام وقته أبي العباس ابن سريج.

*** قول الإمام أبي القاسم الطبري اللالكائي:**

أحد أئمة أصحاب الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ في «كتابه في السنة»، وهو من أجل الكتب: سياق ما جاء في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿الرَّحْمٰنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] وأن الله ـ عز وجل ـ على عرشه في السماء، ثم ذكر قول من هذا قوله من الصحابة والتابعين والأئمة. قال: هو قول عمر، وعبد الله بن مسعود، وأحمد بن جنبل.. وعدَّ جماعةً يطول ذكرهم، ثم ساق الآثار في ذلك عن عمر، وعلي، وابن مسعود، وعائشة، وابن عباس، وأبي هريرة، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم.

* قول الإمام محي السنة الحسين بن مسعود البغوي قدّس الله روحه:

قال في «تفسيره» الذي هو شجي في حُلوق الجهمية والمعطلة في سورة الأعراف [٥٤] في قوله تعالى: ﴿ثم اسْتَوى على العَرْشِ﴾: قال الكلبي ومقاتل: استقر. وقال أبو عبيدة: صعد. قال: وأوّلت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء.

قال: وأما أهل السنة فيقولون: الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف، يجب على الرجل أن يؤمن بذلك، ويَكِلَ العلم فيه إلى الله تعالى، ثم حكى قول مالك: الاستواء غير مجهول.

ومراد السلف بقولهم: بلا كيف، هو نفي للتأويل، فإنه التكييف الذي يزعمه أهل التأويل، فإنهم هم الذين يثبتون كيفية تخالف الحقيقة، فيقعون في ثلاثة محاذير: نفي الحقيقة، وإثبات التكييف بالتأويل. وتعطيل الرب تعالى عن صفته التي أثبتها لنفسه، وأما أهل الإثبات فليس أحد منهم يكيف ما أثبته الله تعالى لنفسه، ويقول: كيفية كذا وكذا، حتى يكون قول السلف بلا كيف رداً عليه، وإنما ردّوا على أهل التأويل الذي يتضمن التحريف والتعطيل تحريف اللفظ وتعطيل معناه.

* * *

١٦ ـ فصل

في ذكر / قول الإمام أحمد [بن حنبل] وأصحابه رحمه الله تعالى

قال الخلّال في «كتاب السنة»: حدثنا يوسف بن موسى قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد قال: قيل لأبي: ربنا تبارك وتعالى فوق السماء السابعة على

عرشه بائن من خلقه وقدرته وعلمه بكل مكان؟ قال؛ نعم لا يخلو شيء من علمه.

قال الخلال: وأخبرني عبد الملك بن عبد الحميد الميموني قال: سألت أبا عبد الله أحمد عمن قال: إن الله تعالى ليس على العرش؟ فقال: كلامهم كله يدور على الكفر.

وروى أبو القاسم الطبري الشافعي في «كتاب السنة» له بإسناده عن حنبل قال: قيل لأبي عبد الله: ما معنى قوله تعالى: ﴿ما يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إلَّا هُوَ رابِعُهُم﴾ [المجادلة: ٧] وقوله تعالى: ﴿وهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤]؟ قال: علمه محيط بالكل، وربنا على العرش بلا حدّ ولا صفة، وسع كرسيه السموات والأرض.

وقال أبو طالب: سألت أحمدَ بن جنبل عن رجل قال: إن الله معنا، وتلا قوله تعالى: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ [المجادلة: ٧]. قال: يأخذون بآخر الآية ويدعون أوّلها، هلاّ قرأتَ عليه: ﴿ألَمْ تَرَ أنَّ الله يَعْلَمُ ما في السّموات﴾ [المجادلة: ٧] بالعلم معهم، وقال في ﴿ق﴾: ﴿ونَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسهُ ونحْنُ أقْرَبُ إليهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

وقال المروزي: قلت لأبي عبد الله: إن رجلاً قال: أقول كماقال الله تعالى: [﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلاّ هو رابعهم﴾ [المجادلة: ٧] أقول هذا ولا أجاوزه إلى غيره، فقال أبو عبد الله: هذا كلام الجهمية. فقلت له: فكيف نقول:] ﴿ما يَكونُ من نجْوَى ثَلاثَةٍ إلَّا هُوَ رابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إلَّا هُوَ سادِسُهُم﴾ [المجادلة: ٧]. قال: علمه في كل مكان وعلمه معهم، قال: أول الآية يدل على أنه علمه، وقال في موضع آخر: وإن الله ـ عز وجل ـ على عرشه فوق السماء السابعة يعلم ما تحت الأرض السفلى، وأنه غير مماسّ لشيء من خلقه، هو تبارك وتعالى بائن من خلقه وخلقه بائنون منه.

وقال في كتاب «الرد على الجهمية» الذي رواه عنه الخلال من طريق ابنه عبد الله قال: باب بيان ما أنكرت الجهمية أن يكون الله تعالى على العرش. [وقال تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ قلنا لهم: ما أنكرتم أن يكون الله تعالى على العرش. وقد قال تعالى: ﴿الرَّحمٰنُ على العرش استوى﴾ [طه:٥].

فقالوا: هو تحت الأرض السابعة، كما هو على العرش وفي السموات والأرض وفي كل مكان، وتلا: ﴿وهُوَ الله في السّمواتِ وفي الأرْضِ﴾.

قال أحمد: فقلنا قد عرف المسلمون أماكن كثيرة ليس فيها من عظمة الرب شيء أجسامكم وأجوافكم والحشوش والأماكن القذرة، ليست فيها من عظمة الرب تعالى شيء، وقد أخبرنا الله ـ عز وجل ـ أنه في السماء فقال: ﴿أأمِنْتُم مَنْ في السّماءِ أنْ يخْسِفَ بِكُمُ الأرْضَ فإذا هي تَمُورُ * أم أمِنْتُم مَنْ في السّماءِ﴾ [الملك: ١٦ ـ ١٧] ﴿إليْهِ يَصْعَدُ الكلِمُ الطّيّبُ﴾ [فاطر: ١٠] ﴿إنّي مُتَوَفِّيكَ ورَافِعُكَ إليَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] ﴿بَلْ رَفَعَهُ الله إليْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] ﴿يخافُونَ ربّهُم مَنْ فَوْقِهِم﴾ [النحل: ٥٠].

٤٩/أ ذكر هذا الكتاب كله/ أبو بكر الخلال في «كتاب السنة» الذي جمع فيه نصوص أحمد وكلامه، وعلى منواله جمع البيهقي في كتابه الذي سماه «جامع النصوص» من كلام الشافعي، وهما كتابان جليلان لا يستغني عنهما عالم.

وخطبة كتاب أحمد بن حنبل: الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل عليهم الصلاة والسلام، بقايا من أهل العلم، يدعون من ضلّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله تعالى أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن آثارهم على الناس، وما أقبح أثر الناس عليهم. ينفون عن كتاب الله تعالى تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عنان الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب،

مخالفون للكتاب، مجمعون على مخالفة الكتاب، يقولون على الله تعالى، وفي الله تعالى، وفي كتاب الله تعالى بغير علم. يتكلّمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون الجهال بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن المضلين.

ثم قال: باب بيان ما ضلت فيه الجهمية الزنادقة من متشابه القرآن.

ثم تكلم على قوله تعالى: ﴿كلّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غيْرها﴾ [النساء: ٥٦] قال: قالت الزنادقة: فما بال جلودهم التي عصت قد احترقت، وأبدلهم الله جلوداً غيرها، فلا نرى إلا أن الله ـ عز وجل ـ يعذب جلوداً بلا ذنب حين يقول ﴿جلودًا غيرها﴾ فشكوا في القرآن، وزعموا أنه متناقض، فقلنا: إن قول الله ـ عز وجل ـ ﴿بدّلناهم جلوداً غيرها﴾ ليس يعني جلوداً أخرى غير جلودهم، وإنما يعني بتبديلها تجديدها، لأن جلودهم إذا نضجت جدّدها الله.

ثم تكلم على آيات من مشكل القرآن، ثم قال: وإن مما أنكرت الجهمية الضّلال أن الله ـ عز وجل ـ على العرش [استوى]، وقد قال تعالى: ﴿الرَّحمٰنُ عَلى العَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]. وقال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوى عَلى العَرْشِ الرَّحْمٰنُ فاسأل بهِ خَبيراً﴾ [الفرقان: ٥٩] ثم ساق أدلة القرآن.

ثم قال: ووجدنا كل شيء أسفل مذموماً. قال الله تعالى: ﴿إنَّ المُنافِقينَ في الدَّرْكِ الأسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] وقال تعالى: ﴿وقالَ الّذينَ كَفَرُوا ربَّنا أرِنَا الّذَيْنَ أضَلاَّنَا مِنَ الجِنِّ والإنْسِ نجْعَلْهُما تحتَ أقْدَامِنا لِيَكُونا مِنَ الأسْفَلينَ﴾ [فصلت: ٢٩].

ثم قال: معنى قوله تعالى: ﴿وهُوَ الله في السّمواتِ وفي الأرْضِ [يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وجَهْرَكُمْ ويَعْلَمُ ما تَكْسِبُونَ]﴾ [الأنعام: ٣] يقول: هو إله مَنْ في السموات وإله مَنْ في الأرض، وهو على العرش، وقد أحاط علمه بما دون العرش لا يخلو من علمه مكان، ولا يكون علم الله تعالى في مكان دون مكان.

٤٩/ب / وذلك [من] قوله: ﴿لِيَعْلَمُوا أنَّ الله عَلَى كُلِّ شيءٍ قَدير وأنَّ الله قَدْ أحاطَ بِكُلِّ شيءٍ عِلماً﴾ [الطلاق: ١٢].

وقال الإمام أحمد: ومن الاعتبار في ذلك، لو أن رجلاً [كان] في يده قدح من قوارير وفيه شيء، كان بصر ابن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون ابن آدم في القدح، فالله سبحانه ـ وله المثل الأعلى ـ قد أحاط بجميع ما خلق، وقد علم كيف هو، وما هو، من غير أن يكون في شيء مما خلق. قال: وخصلة أخرى: لو أن رجلاً بنى داراً بجميع مرافقها، ثم أغلق بابها كان لا يخفى عليه كم بيت في داره، وكم سعة كل بيت من غير أن يكون صاحب الدار في جوف الدار، فالله سبحانه قد أحاط بجميع ما خلق، وقد علم كيف هو وما هو، وله المثل الأعلى، وليس هو في شيء مما خلق.

قال الإمام أحمد: ومما تأوّلت الجهميةُ من قول الله تعالى: ﴿ما يكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إلَّا هُوَ رابِعُهُم﴾ [المجادلة: ٧]، فقال: إن الله معنا وفينا. فقلنا لهم: لِمَ قطعتم الخبر من أوّله، إنّ الله تعالى يقول: ﴿ألم تَرَ أنَّ الله يَعْلَمُ ما في السّموات وَما في الأرْض، ما يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إلَّا هُوَ رابِعُهُم ولا خَمْسَةٍ إلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أكْثَرَ إلَّا هُوَ مَعَهُمْ أيْنَما كانُوا﴾ [المجادلة: ٧] يعني: علمه فيهم أينما كانوا ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا يَوْمَ القِيامَةِ إنَّ الله بكُلِّ شيءٍ عَليم﴾ [المجادلة: ٧] ففتح الخبر بعلمه وختمه بعلمه.

قال [الإمام] أحمد: وإذا أردتَ أن تعلم أن الجهميَّ كاذبٌ على الله سبحانه وتعالى حين زعم أنه في كل مكان ولا يكون في مكان [دون مكان] فقل له: أليس كان الله ولا شي؟ فيقول: نعم، فقل له: فحين خلق الشيء خلقه في نفسه أو خارجاً عن نفسه، فإنه يصير إلى أحد ثلاثة أقاويل:

إن زعم أن الله تعالى خلق الخلق في نفسه كفر حين زعم أن الإنس والجن والشياطين وإبليس في نفسه.

[وإن قال: خلقهم خارجاً من نفسه، ثم دخل فيهم، كفر أيضاً حين زعم أنه دخل في كل مكان وحش وقذر].

وإن قال: خلقهم خارجاً عن نفسه ثم لم يدخل فيهم، رجع عن قوله كله أجمع وهو قول أهل السنة.

قال أحمد: باب بيان ما ذكر في القرآن ﴿وهو معكم﴾ على وجوه:

قوله تعالى لموسى وهارون، عليهما السلام: ﴿إنّني مَعَكُما أسْمَعُ وأرَى﴾ [طه: ٤٦] يقول في الدفع عنكما، وقال: ﴿ثاني اثْنينِ إذْ هُما في الغَارِ إذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إنَّ الله مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] يعني في الدفع عنا.

وقال تعالى: ﴿والله مَعَ الَّصابِرين﴾ [البقرة: ٢٤٩] يعني في النصرة لهم على عدوهم. وقوله تعالى: ﴿وأنْتُم الأعْلَوْنَ والله مَعَكُم﴾ [محمد: ٣٥] يعني في النصرة لكم على عدوكم ـ وقال تعالى: ﴿وهُوَ مَعَهُم إذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضى مِنَ القَولِ﴾ [النساء: ١٠٨] يقول لعلمه فيهم. وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إنَّ مَعِيَ ربي سَيهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢] يقول: في العون على فرعون.

فلما ظهرت الحـجة على الجهمي بما ادعى على الله سبحانه أنه مع خلقه. قال: هو في كل شيء غير مماس لشيء ولا مباينا. فقلنا له: فإذا كان غير مبائن للشيء أهو مماس لهم؟ قال: لا. قلنا: فكيف يكون/ في كل شيء ٥٠/أ غير مماس لشيء ولا مباينا لشيء؟ فلم يحسن الجواب، فقال: بلا كيف ليخدع الجهّال بهذه الكلمة ويمّوه عليهم.

ثم قلنا له: إذا كان يوم القيامة أليس إنما تكون الجنة والنار والعرش والهواء؟ فقال: بلى. فقلنا: فأين يكون ربنا؟ قال: يكون في كل شيء، كما كان حيث كانت الدنيا. قلنا: ففي مذهبكم أن ما كان من الله تعالى [على العرش فهو على العرش، وما كان من الله تعالى في الجنة فهو في الجنة، وما

كان من الله تعالى] في النار فهو في النار، وما كان منه في الهواء فهو في الهواء، فعند ذلك تبين للناس كذبهم على الله.

قال أحمد: وقلنا للجهمية: حين زعمتم أن الله تعالى في كل مكان قلنا: أخبرونا عن قول الله تعالى: ﴿فلمّا تَجَلّى ربّه للْجَبَل جعله دكًا﴾ [الاعراف: ١٤٣] كان في الجبل بزعمكم، فلو كان فيه كما تزعمون لم يكن تجلى له، بل كان سبحانه على العرش، فتجلي الشيء لم يكن فيه، ورأى الجبل شيئاً لم يكن رآه قط قبل ذلك.

قال أحمد: وقلنا للجهمية: الله نور، فقالوا: هو نور كله، فقلنا لهم قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿وأشْرَقَتِ الأرْضُ بنُورِ ربِّها﴾ [الزمر: ٦٤] فقد أخبر جل ثناؤه أن له نوراً. وقلنا لهم: أخبرونا حين زعمتم أن الله سبحانه في كل مكان، وهو نور، فلم لا يضيء البيت المظلم بلا سراج؟ وما بال السراج إذا دخل البيت المظلم يضيء؟ فعند ذلك تبين للناس كذبهم على الله تعالى.

قال الامام أحمد رحمه الله: كان جهم وشيعته كذلك دعوا الناس إلى المتشابه من القرآن والحديث فضلّوا وأضلّوا بكلامهم كثيراً. وكان فيهم بلغنا عن الجهم عدو الله أنه كان من أهل خراسان، وكان صاحب خصومات [وشر] وكلام، وكان أكثر كلامه في الله تعالى، فلقي ناساً من الكفار يقال لهم السُّمْنِيَّة، فعرفوا الجهم فقالوا له: نكلمك، فإن ظهرت حجتنا عليك دخلت في ديننا، وإن ظهرت حجتك علينا دخلنا في دينك، وكان فيما كلموا جهماً. قالوا له: ألست تزعم أن لك إلهاً؟ قال الجهم: نعم، قالوا له: فهل رأت عينك إلهك؟ قال: لا. قالوا: فهل سمعت كلامه؟ قال: لا، قالوا: فهل شممت له رائحة؟ قال: لا. قالوا: فهل وجدت له حساً؟ قال: لا. قالوا: فهل وجدت له مجلساً؟ قال: لا. قالوا: فما يدريك أنه إله؟ قال: فتحير الجهم، فلم يدر أربعين يوماً، ثم إنه استدرك حجة من جنس حجة زنادقة النصارى [لعنهم

الله]، وذلك أن زنادقة النصارى [لعنهم الله تعالى] يزعمون أن الروح التي في عيسى ابن مريم روح الله من ذات الله، فإذا أراد أن يحدث أمراً دخل في بعض خلقه، فتكلم على لسانه، فيأمر بما يشاء وينهي عما يشاء، وهو روح غائب عن الأبصار.

فاستدرك الجهم حجة مثل هذه الحجة، فقال للسمني: ألست تزعم ان فيك/ روحا؟ قال: نعم. قال: فهل رأيت روحك؟ قال: لا. قال: فهل سمعت كلامه؟ قال: لا. قال: فهل وجدت له مجلساً أو حساً؟ قال: لا، قال: فكذلك الله لا يرى له وجه، ولا يسمع له صوت، ولا يشم له رائحة، وهو غائب عن الأبصار، ولا يكون في مكان دون مكان، ووجد ثلاث آيات في القرآن من المتشابه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شيءٌ﴾ [الشورى: ١١] ﴿وَهُو الله في السّمواتِ وفي الأرْضِ﴾ [الأنعام: ٣] ﴿لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]. فبنى أصل كلامه على هؤلاء الآيات، وتأول القرآن على غير تأويله، وكذّب بأحاديث النبي ﷺ فزعم أن من وصف الله تعالى بشيء مما وصف به نفسه في كتابه، أو حدث عن النبي ﷺ كان كافراً، أو كان من المشبهة، فأضل بشراً كثيراً وتبعه على قوله رجال من أصحاب عمرو بن عبيد، وأصحاب فلان، ووضع دين الجهمية.

٥٠/ب

فإذا سألهم الناس عن قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ ما تفسيره؟ يقولون: ليس كمثله شيء من الأشياء هو تحت الأرض السابعة، كما هو على العرش لا يخلو منه مكان، ولا هو في مكان دون مكان، ولا يتكلم ولا يكلم، ولا ينظر إليه أحد في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يوصف ولا يعرف بصفة، ولا يعقل ولا له معقل ولا له غاية، ولا منتهى ولا يدرك بعقل، وهو وجه كله، وهو علم كله، وهو سمع كله، وهو بصر كله، وهو نور كله، وهو قدرة كله لا يوصف بوصفين مختلفين، وليس بمعلوم ولا معقول، وكل ما خطر بقلبك أنه شيء تعرفه، فهو على خلافه.

فقلنا لهم: فمن تعبدون؟ قالوا: نعبد من يدبر أمر هذا الخلق. قلنا: فالذي يدبّر أمر هذا الخلق مجهول لا يعرف بصفة؟! قالوا: نعم. قلنا: قد عرف المسلمون أنكم لا تثبتون شيئاً إنما تدفعون عن أنفسكم الشنعة بما تظهرون، ثم قلنا لهم: هذا الذي يدبر هو الذي كلم موسى؟ قالوا: لم يتكلم ولا يتكلم، لأن الكلام لا يكون إلا بجارحة، والجوارح منفية عن الله سبحانه وتعالى، فإذا سمع الجاهل قولهم ظن أنهم من أشد الناس تعظيماً لله سبحانه، ولم يعلم أن كلامهم إنما يعود إلى ضلالة وكفر.

قال الخلال: كتبت هذا الكتاب من خط عبد الله، وكتبه عبد الله من خط أبيه، واحتج القاضي أبو يعلى في كتابه «إبطال التأويل» بما نقله منه عن أحمد، وذكر ابن عقيل في كتابه بعض ما فيه عن أحمد، ونقله منه أصحابه قديماً وحديثاً، ونقل منهم البيهقي، وعزاه إلى أحمد، وصححه شيخ الإسلام/ ابن ٥١/أ تيمية عن أحمد، ولم يُسْمَع من أحد من متقدمي أصحابه ولا متأخريهم طعنٌ فيه.

فإن قيل: هذا الكتاب يرويه أبو بكر عبد العزيز غلام الخلال، عن الخلال، عن الخضر بن المثنى، عن عبد الله بن أحمد، عن أبيه، وهؤلاء كلهم أئمة معروفون، إلا الخضر بن المثنى، فإنه مجهول، فكيف تثبتون هذا الكتاب عن أحمد برواية مجهول؟ فالجواب من وجوه:

أحدها: أن الخضر هذا قد عرفه الخلال، وروى عنه كما روى كلام أبي عبد الله عن أصحابه وأصحاب أصحابه، ولا يضر جهالة غيره له.

الثاني: أن الخلال قد قال: في كتبه من خط عبد الله بن أحمد، وكتبه عبد الله من خط أبيه، والظاهر أن الخلال إنما رواه عن الخضر، لأنه أحب أن يكون متصل السند على طريق أهل النقل، وضم ذلك إلى الوجادة، والخضر كان صغيراً حين سمعه من عبد الله، ولم يكن من المعمرين المشهورين بالعلم وهو من الشيوخ، وقد روى الخلال عنه غير هذا في «جامعه» فقال في كتاب

الأدب من الجامع فقال: دفع إلى الخضر بن المثنى بخط عبد الله بن أحمد أجاز لي أن أرويه عنه، قال الخضر: حدثنا مهنّا قال: سألت أحمد بن حنبل عن الرجل يبزق عن يمينه في الصلاة [وفي غير الصلاة،] فقال: يكره أن يبزق الرجل عن يمينه في الصلاة [وفي غير الصلاة فقلت له: لم يكره أن يبزق الرجل عن يمينه في غير الصلاة؟] قال: أليس عن يمينه الملك؟ فقلت: وعن يساره أيضاً ملك. فقال: الذي عن يمينه يكتب الحسنات، والذي عن يساره يكتب السيئات.

قال الخلال: وأخبرنا الخضر بن المثنى الكندي قال: حدثنا عبد الله بن أحمد قال: قال أبي: لا بأس بأكل ذبيحة المرتد إذا كان ارتداده إلى يهودية أو نصرانية، وكذلك الى مجوسية.

قلت: والمشهور في مذهبه خلاف هذه الرواية، وأن ذبيحة المرتد حرام رواها عنه جمهور أصحابه، ولم يذكر أكثر أصحابه غيرها.

ومما يدّل على صحة هذا الكتاب ما ذكره القاضي أبو الحسين ابن القاضي أبي يعلى، فقال: قرأت في كتاب أبي جعفر محمد بن أحمد بن صالح بن أحمد بن حنبل قال: قرأت على أبي صالح بن أحمد هذا الكتاب فقال: هذا كتاب عمله أبي في مجلسه رداً على من احتج بظاهر القرآن، وترك مافسّره رسولُ الله ﷺ، وما يلزم اتباعه.

وقال الخلال في «كتاب السنة»: أخبرني عبد الله بن حنبل، أخبرني أبي حنبل ابن أبي إسحاق قال: قال عمي ـ يعني أحمد بن حنبل ـ: نحن نؤمن أن الله تعالى على العرش استوى كيف شاء وكما يشاء، بلا حد ولا صفة يبلغها واصف، أو يحده أحد، وصفات/ الله له ومنه، وهو كما وصف نفسه لا تدركه ٥١/ب الأبصار بحد ولا غاية، وهو يدرك الأبصار، وهو عالم الغيب والشهادة وعلام الغيوب.

قال الخلال: وأخبرني علي بن عيسى أن حنبلاً حدثهم قال: سألت أبا عبد الله عن الأحاديث التي تروي أن الله سبحانه ينزل إلى سماء الدنيا، وأن الله يرى، وأن الله يضع قدمه، وما أشبه هذه الأحاديث؟ فقال أبو عبد الله: نؤمن بها ونصدق بها، ولا نَرُدُّ منها شيئاً، ونعلم أن ما جاء به الرسول ﷺ حق إذا كانت أسانيد صحاح، ولا نرد على الله قوله، ولا يوصف بأكثر مماوصف به نفسه بلا حد ولا غاية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شيءٌ وهُوَ السّمِيعُ البَصيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقال حنبل في موضع آخر، عن أحمد: ليس كمثله شيء في ذاته كما وصف نفسه. وقد أجمل الله الصفة فحدَّ لنفسه صفة ليس يشبهه شيء. وصفاته غير محدودة ولا معلومة إلا بما وصف به نفسه قال: فهو سميع بصير بلا حد ولا تقدير، ولا يبلغ الواصفون صفته، ولا نتعدى القرآن والحديث، فنقول كما قال، ونصفه كما وصف به نفسه، ولا نتعدى ذلك، ولا يبلغ صفته الواصفون. نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت، وما وصف به نفسه من كلام ونزول وخلوة بعبده يوم القيامة، ووضعه كفنه عليه، فهذا كله يدل على ان الله سبحانه وتعالى يرى في الآخرة، والتحديد في هذا كله بدعة، والتسليم فيه بغير صفة ولا حد إلا ما وصف به نفسه سميع بصير. لم يزل متكلماً عالماً غفوراً عالم الغيب والشهادة علام الغيوب، فهذه صفات وصف بها نفسه لا تُدفع ولا تُردّ، وهو على العرش بلا حد، كما قال تعالى: ﴿ثم اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٩] كيف شاء، المشيئة إليه، والاستطاعة إليه، ليس كمثله شيء، وهو خالق كل شيء، وهو سميع بصير بلا حد ولا تقدير، لا نتعدى القرآن والحديث، تعالى عما يقول الجهمية والمشبهة. قلت له: والمشبّهة ما يقول؟ قال: من قال بَصَرٌ كبصري، ويدٌ كيدي، وقدمٌ كقدمي، فقد شبه الله سبحانه بخلقه.

وكلام أحمد في هذا كثير فإنه امتحن بالجهمية، وجميع المتقدمين من أصحابه على مثل منهاجه في ذلك، وإن كان بعض المتأخرين منهم من دخل

في نوع من البدعة التي أنكرها الإمام أحمد، ولكن الرعيل الأول من أصحابه كلهم، وجميع أئمة الحديث قولهم قوله.

أقوال أئمة أهل الحديث الذين رفع الله منازلهم في العالمين وجعل لهم لسان صِدْقٍ في الآخرين

ذكر قول إمامهم وشيخهم الذي روى له عنه كل محدّث أبو هريرة رضي الله عنه:

روى الدارميّ/ عنه في «كتاب النقض» بإسناد جيد قال: لما أُلقي إبراهيم عليه الصلاة والسلام في النار قال: اللهم إنك في السماء واحد، وأنا في الأرض واحد أعبدك. ٥٢/أ

*** ذكر قول إمام الشام في وقته، أحد أئمة الدنيا الأربعة أبي عمرو الأوزاعي رحمه الله تعالى:**

روى البيهقي عنه في «الصفات» أنه قال: كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله ـ عز وجل ـ فوقَ عرشه ونؤمن بماوردت به السنة من صفاته. وقد تقدّم حكاية ذلك عنه.

*** قول إمام أهل الدنيا في وقته، عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى:**

وقد صحّ عنه صحة قريبة من التواتر أنه قيل له: بماذا نعرف ربنا؟ قال: بأنه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه. ذكره البيهقي، وقبله الحاكم، وقبله الدارمي عثمان، وقد تقدم.

*** قول حماد بن زيد إمام وقته رحمه الله تعالى:**

تقدم عنه قول: الجهمية إنما يحاولون أن يقولوا: ليس في السماء شيء. وكان من أشد الناس على الجهمية.

* **قول يزيد بن هارون رحمه الله تعالى:**

قال عبد الله بن الإمام أحمد في «كتاب السنة»، حدثنا عباس، حدثنا شداد بن يحيى قال: سمعت يزيد بن هارون يقول: من زعم أن الرحمن على العرش استوى على خلاف ما تقرر في قلوب العامة فهو جهمي.

قال شيخ الإسلام: والذي تقرّر في قلوب العامة هو ما فطر الله تعالى عليه الخليقة من توجّهها لربها تعالى عند النوازل والشدائد والدعاء والرغبات إليه تعالى نحو العلو، لا يلتفت يمنة ولا يسرة، من غير موقف وقفهم عليه، لكن فطرة الله التي فطر الناس عليها، وما من مولود إلا وهو يولد على هذه الفطرة حتى يجهمه، وينقله إلى التعطيل من يقيّض له.

* **قول عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله تعالى:**

روى عنه غير واحد بإسناد صحيح أنه قال: إن الجهمية أرادوا أن ينفوا أن الله كلّم موسى، وأن يكون على العرش. أرى أن يستتابوا، فإن تابوا وإلّا ضُربت أعناقهم. قال علي بن المديني: لو حلفت لحلفت بين الركن والمقام: أني ما رأيت أعلم من عبد الرحمن بن مهدي.

* **قول سعيد بن عامر الضبعي**، إمام أهل البصرة على رأس المائتين رحمه الله تعالى:

روى ابن أبي حاتم عنه في «كتاب السنّة» أنه ذكر عنده الجهمية، فقال: هم شر قولاً من اليهود والنصارى، وقد أجمع أهلُ الأديان مع المسلمين على أن الله على العرش، وقالوا هم: ليس على العرش شيء.

* **قول عباد بن العوام**، أحد أئمة الحديث بواسط رحمه الله تعالى:

قال: كلمت بشر المريسي وأصحابه، فرأيت آخر كلامهم يقولون: ليس في السماء شيء، أرى والله أن لا يناكحوا ولا يوارثوا.

* **قول عبد الله بن مسلمة القعنبي**، شيخ البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى:

قال بيان بن أحمد: كنا عند القعنبي/ فسمع رجلاً من الجهمية يقول: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ استولى. فقال القعنبي: من لا يوقن أن الرحمن على العرش استوى، كما تقرّر في قلوب العامة فهو جهمي. قال البخاري محمد بن اسماعيل رحمه الله تعالى في كتاب «خلق أفعال العباد» عن يزيد بن هارون مثله سواء، وقد تقدم. ٥٢/ب

* **قول علي بن عاصم**، شيخ الإمام أحمد رحمهما الله تعالى:

صح عنه أنه قال: ما الذين قالوا: إن لله سبحانه ولداً أكفر من الذين قالوا: إن الله سبحانه لم يتكلّم. وقال: احذروا من المريسي وأصحابه فإن كلامهم الزندقة، وأنا كلمت أستاذهم، فلم يثبت أن في السماء إلهاً. حكاه عنه غيرُ واحد ممن صنف في السنّة.

وقال يحيى بن علي بن عاصم: كنت عند أبي، فاستأذن عليه المريسي، فقلت له: يا أبت مثل هذا يدخل عليك؟ فقال: وما له؟ فقلت: إنه يقول: إن القرآن مخلوق، ويزعم أن الله معه في الأرض... وكلاماً ذكرته، فما رأيته اشتد عليه مثل ما اشتد عليه قوله: إن القرآن مخلوق، وقوله: إن الله معه في الأرض. ذكر هذين الأثرين عنه عبد الرحمن بن أبي حاتم في «كتاب الرد على الجهمية».

* **قول وهب بن جرير رحمه الله تعالى**:

صح عنه أنه قال: إياكم ورأي جهم، فإنهم يحاولون أن ليس في السماء شيء، وما هو إلا من وحي إبليس، وما هو إلا الكفر. حكاه محمد بن عثمان الحافظ في رسالته في السّنة.

وقال البخاري رحمه الله تعالى في «كتاب خلق الأفعال»: وقال وهب بن جرير: الجهمية الزنادقة إنما يريدون أن ليس على العرش استوى.

* **قول عاصم بن علي** أحد شيوخ النبل، شيخ البخاري وغيره، أحد الأئمة الحفاظ الثقات: حدث عن شعبة وابن أبي ذئب والليث رحمهم الله تعالى.

قال الخطيب: وجه المعتصم من يحزر مجلسه في جامع الرصافة، وكان عاصم يجلس على سطح الرحبة، ويجلس الناس في الرحبة وما يليها، فعظم الجمع مرة جداً، حتى قال أربع عشرة مرة: حدثنا الليث بن سعد، والناس لا يسمعون لكثرتهم، فحزر المجلس فكان عشرين ومائة ألف رجل. قال يحيى بن معين فيه: هو سيد المسلمين.

قال عاصم: ناظرت جهمِياً فتبين من كلامه أنه لا يؤمن في السماء رباً.

قال شيخ الإسلام: كان الجهمية يدورون على هذا، ولم يكونوا يصرحون به لوفور السلف والأئمة، وكثرة أهل السنة، فلما بعُد العهد وانقرض الأئمة صرّح أتباعُهم بما كان أولئك يشيرون إليه ويدورون حوله. قال: وهكذا/ ظهرت البدع كلما طال الأمر، وبعد العهد اشتد أمرها وتغلظت. قال: وأول بدعة ظهرت في الإسلام بدعة القدر والإرجاء، ثم بدعة التشيع إلى أن انتهى الأمر إلى الاتحاد والحلول وأمثالهما. ٥٣/أ

* **قول الإمام عبد العزيز بن يحيى الكناني** صاحب الشافعي [رحمهماالله تعالى]:

له كتاب في الرد على الجهمية قال فيه: «باب قول الجهمي في قوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾». زعمت الجهمية أن معنى استوى: استولى. من قول العرب: استوى فلان على مصر يريدون استولى عليها.

قال: فيقال له: هل يكون خلق من خلق الله أتت عليه مدة ليس بمستول

[عليه]؟ فإذا قال: لا، قيل: فمن زعم ذلك فهو كافر، فيقال له: يلزمك أن تقول: أن العرش أتت عليه مدة ليس الله بمستول عليه، وذلك لأنه سبحانه أخبر أنه خلق العرش قبل السموات والأرض، ثم استوى عليه بعد خلقهن، فيلزمك أن تقول: المدة التي كان العرش قبل خلق السموات، والأرض ليس الله تعالى بمستول عليه فيها، ثم ذكر كلاماً طويلاً في تقرير العلو والاحتجاج عليه.

* **ذكر قول جرير بن عبد الحميد** شيخ إسحاق بن راهويه وغيره من الأئمة رحمهم الله تعالى:

قال: كلام الجهمية أوله عسل وآخره سم، وإنما يحاولون أن يقولوا: ليس في السماء إله. رواه ابن أبي حاتم في «كتاب الرد على الجهمية».

* **ذكر قول عبد الله بن الزبير الحميدي** رحمه الله تعالى: أحد شيوخ النبل، شيخ البخاري، إمام أهل الحديث والفقه في وقته، وهو أول رجل افتتح به البخاري «صحيحه».

فقال: وما نطق به القرآن والحديث مثل قوله تعالى: ﴿وقالَتِ اليَهُودُ يدُ الله مَغْلُولةً غلّت أيْديهم ولُعِنُوا بما قَالُوا بَلْ يَدَاه مَبْسُوطتان﴾ [المائدة: ٦٤]. ومثل قوله تعالى: ﴿والسّمواتُ مَطْويّاتٌ بيَمينه﴾ [الزمر: ٦٧]. وما أشبه هذا من القرآن والحديث لا نزيد فيه ولا نفسّره، ونقف على ما وقف عليه القرآن والسنة ونقول: ﴿الرحمٰنُ على العرش استوى﴾ [طه: ٥]، ومن زعم غير هذا فهو مُبْطِلٌ جهميٌّ. وليس مقصود السلف بأن من أنكر لفظ القرآن يكون جهمياً مبتدعاً، فإنه يكون كافراً زنديقاً. وإنما مقصودهم من أنكر معناه أو حقيقته.

* **قول نعيم بن حماد الخزاعي** رحمه الله تعالى: ـ أحد شيوخ النبل، شيخ البخاري ـ رحمهما الله تعالى ـ

قال في قوله: ﴿وهُوَ مَعَكُم﴾ [الحديد: ٤]: معناه لا يخفى عليه خافية

بعلمه، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إلَّا هُوَ رابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]. أراد أن لايخفى عليه خافية. قال البخاري: سمعته يقول: من شَبَّهَ الله تعالى بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ٥٣/ب ما/ وصف الله تعالى به نفسه ولا رسوله ﷺ تشبيهاً.

* **قول عبد الله بن أبي جعفر الرازي** رحمه الله تعالى: قال صالح بن الضريس: جعل عبد الله بن أبي جعفر الرازي يضرب قرابة له بالنعل على رأسه يرى رأي جهم، ويقول: لا، حتى تقول الرحمن على العرش استوى، بائن من خلقه. ذكره عبد الرحمن بن أبي حاتم في «كتاب الرد على الجهمية».

* **قول الحافظ أبي معمر القطيعي** رحمه الله تعالى: ذكر ابن أبي حاتم عنه أنه قال: آخر كلام الجهمي أنه ليس في السماء إله.

* **قول بشر بن الوليد، وأبي يوسف** رحمهما الله تعالى: روى ابن أبي حاتم قال: جاء بشر بن الوليد إلى أبي يوسف فقال له: تنهاني عن الكلام وبشر المريسي وعلي الأحول، وفلان يتكلمون؟ فقال: وما يقولون؟ قال: يقولون: إن الله في كل مكان، فبعث أبو يوسف وقال: عليَّ بهم، فانتهوا إليه، وقد قام بشر فجيء بعلي الأحول والشيخ الآخر، فنظر أبو يوسف إلى الشيخ وقال: لو أن فيك موضع أدب لأوجعتك وأمر به إلى الحبس، وضرب علي الأحول وطوف به، وقد استتاب أبو يوسف بشر المريسي لما أنكر أن يكون الله فوق عرشه، وهي قصة مشهورة ذكرها عبد الرحمن بن أبي حاتم وغيره، وأصحاب أبي حنيفة المتقدمون على هذا.

قال **محمد بن الحسن** رحمه الله: اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن، والأحاديث التي جاء بها الثقات عن الرسول ﷺ في صفة الرب ـ عز وجل ـ من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه، فمن فَسَّرَ شيئاً من ذلك، فقد خرج عما كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة، فإنهم لم يعفوا

ولم يفسروا، ولكن آمنوا بما في الكتاب والسنّة، ثم سكتوا. فمن قال بقول جهم، فقد فارق الجماعة، لأنه وصفه بصفة لا شيء.

وقال محمد ـ رحمه الله تعالى ـ أيضاً في الأحاديث التي جاءت «أن الله تعالى يهبط إلى سماء الدنيا» ونحو هذا: هذه الأحاديث قد رواها الثقات، فنحن نرويها ونؤمن بها ولا نفسرها. ذكر ذلك عنه أبو القاسم اللالكائي. وهذا تصريح منه بأن من قال بقول جهم، فقد فارق جماعة المسلمين.

وقد ذكر الطحاوي: في اعتقاد أبي حنيفة وصاحبيه ـ رحمهم الله تعالى ـ ما يوافق هذا، وأنهم أبرأ الناس من التعطيل والتجهم، وقال في «عقيدته المعروفة»: وأنه تعالى محيط بكل شيء وفوقه، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه[1].

* **قول سفيان بن قتيبة** رحمه الله تعالى: ذكر الثعلبي عنه في تفسيره. قال ابن عيينة: ﴿ثم استوى على العرش﴾ صعد.

* **قول خالد بن سليمان أبي معاذ البلخي** أحد الأئمة رحمه الله تعالى: روى عبد الرحمن بن أبي حاتم عنه بإسناده قال: كان جهم على معبر ترمذ/، ٥٤/أ وكان فصيح اللسان لم يكن له علم ولا مجالسة أهل العلم، فكلمه السمنية فقالوا: صف لنا ربّك الذي تعبده، فدخل البيت لا يخرج، ثم خرج إليهم بعد أيام، فقال: هو هذا الهواء مع كل شيء، وفي كل شيء ولا يخلو منه شيء. قال أبو معاذ: كذب عدو الله، إن الله في السماء على عرشه كما وصف نفسه.

وهذا صحيح عنه، وأوّل من عرف عنه في هذه الأمة إنكار أن يكون الله فوق سمواته على عرشه هو جهم بن صفوان، وقبله الجعد بن درهم، ولكن الجهم هو الذي دعا إلى هذه المقالة وقررها وعنه أُخذت.

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» ص ٢٩٠ بتحقيقنا.

فروى ابن أبي حاتم وعبد الله بن أحمد في كتابيهما في السنة، عن شجاع ابن أبي نصر من أبي نعيم البلخي وكان قد أدرك جهماً قال: كان لجهم صاحب يكرمه ويقدمه على غيره، فإذا هو قد وقع به فصيح به وَبُدِرَ به، وقيل له: لقد كان يكرمك. فقال: إنه قد جاء منه ما لا يحتمل بينما هو يقرأ ﴿طه﴾ والمصحف في حجره، فلما أتى على هذه الآية ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ فقال: لو وجدت السبيل إلى أن أحكها من المصحف لفعلت، فاحتملت هذه ثم أنه بينما هو يقرأ آية إذ قال: ما أظرف محمداً حين قالها، ثم بينما هو يقرأ ﴿طسم﴾ القصص والمصحف في حجره إذ مر بذكر موسى عليه الصلاة والسلام، فدفع المصحف بيديه ورجليه وقال: أي شيء هذا؟ ذكره هاهنا، فلم يتم ذكره. فهذا شيخ النافين لعلو الرب على عرشه ومباينته لخلقه.

وذكر ابن أبي حاتم بإسناده عن الأصمعي قال: قدمت امرأة جهم، فقال: رجل عندها: الله على عرشه، فقالت: محدود على محدود، فقال الأصمعي: هي كافرة بهذه المقالة، فهذه المقالة أما هذا الرجل وامرأته وما أولاه بأن: سيصلى ناراً ذات لهب وامرأته حمالة الحطب.

* **قول إسحاق بن راهويه،** إمام أهل المشرق نظير أحمد [رحمهما الله تعالى]: قال حرب[1] بن إسماعيل الكرماني صاحب أحمد: قلت لإسحاق بن راهوية: قول الله ـ عز وجل ـ: ﴿ما يَكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ كيف تقول فيه؟ قال: حيث ما كنت، فهو أقرب إليك من حبل الوريد، وهو بائن من خلقه، ثم قال: وأعلى شيء في ذلك وأثبته قول الله عز وجل: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾.

وقال الخلال في «كتاب السنّة»: أخبرنا أبو بكر المروزي، حدثنا محمد بن الصباح النيسابوري، حدثنا سليمان بن داود الخفاف قال: قال

(١) في الأصل أحمد، والتصحيح من كتب الرجال.

إسحاق بن راهويه، قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿الرحمن/ على العرش استوى﴾ ٥٤/ب إجماع أهل العلم أنه فوق العرش استوى، ويعلم كل شيء أسفل الأرض السابعة، وفي قعور البحار، ورؤوس الجبال، وبطون الأودية. وفي كل موضع كما يعلم ما في السموات السبع، وما دون العرش أحاط بكل شيء علماً، ولا تسقط ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات البر والبحر إلا قد عرف ذلك كله وأحصاه، لا تعجزه معرفة شيء عن معرفة غيره.

وقال السراج: سمعت إسحاق بن ابراهيم الحنظلي يقول: دخلت يوماً على طاهر بن عبد الله وعنده منصور بن طلحة فقال لي منصور: يا أبا يعقوب تقول: إن الله ينزل كل ليلة، قلت له: ونؤمن إذ أنت لا تؤمن أن الله في السماء لا تحتاج أن تسألني، فقال له طاهر: ألم أنهك عن هذا الشيخ؟

* **قول حافظ الإسلام الإمام يحيى بن معين** [رحمه الله تعالى]: روى ابن بطة عنه في «الإبانة» بإسناده قال: إذا قال لك الجهميّ: كيف ينزل؟. فقل: كيف صعد؟

* **قول الإمام حافظ أهل المشرق، شيخ الأئمة عثمان بن سعيد الدارمي** رحمه الله تعالى: قال فيه أبو الفضل القرّاب: ما رأيت مثل عثمان بن سعيد الدارمي، ولا رأى عثمان مثل نفسه. أخذ الأدب عن ابن الأعرابي، والفقه عن البويطي، والحديث عن يحيى بن معين وعلي بن المديني، وأثنى عليه أهل العلم، صاحب كتاب «الرد على الجهمية» و «النقض على بشر المريسي».

قال في كتابه «النقض على بشر»: وقد اتفقت الكلمة من المسلمين أن الله تعالى فوق عرشه، فوق سمواته لا ينزل قبل يوم القيامة إلى الأرض، ولم يشكوا أنه ينزل يوم القيامة ليفصل بين عباده، ويحاسبهم ويثيبهم، وتشقق السموات يومئذ لنزوله، وتنزل الملائكة تنزيلاً، ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية. كما قال الله سبحانه ورسوله ﷺ، فلما لم يشك المسلمون أن

الله لا ينزل إلى الأرض قيل يوم القيامة لشيء من أمور الدنيا. علموا يقيناً أن ما يأتي الناس من العقوبات إنما هو أمره وعذابه، بقوله: ﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾ [النحل: ٢٦]، إنما هو أمره وعذابه.

وقال في موضع آخر من هذا الكتاب، وقد ذكر الحلول: ويحك هذا المذهب أنزه الله تعالى من السوء، أم مذهب من يقول هو بكماله وجماله وعظمته وبهائه فوق عرشه فوق سمواته. فوق جميع الخلائق في أعلى مكان وأظهر مكان، حيث لا خلق هناك، ولا إنس ولا جان، أي الحزبين أعلم بالله وبمكانه وأشد تعظيماً وإجلالاً له.

وقال في هذا الكتاب: علمه بهم فوق العرش محيط، وبصره فيهم نافذ، وهو بكماله فوق عرشه، والسموات ومسافة ما بينهن وبينه وبين خلقه في الأرض، فهو كذلك معهم خامسهم وسادسهم... وإنما يعرف فضل/ الربوبية ٥٥/أ وعظم القدرة بأن الله من فوق عرشه، ومع بعد المسافة بينه وبين الأرض يعلم ما في الأرض.

وقال في موضع آخر من الكتاب: والقرآن كلام الله وصفة من صفاته خرج منه كما شاء أن يخرج، والله بكلامه وعلمه وقدرته وسلطانه وجميع صفاته غير مخلوق وهو بكماله على عرشه.

وقال في موضع آخر وقد ذكر حديث البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ الطويل في شأن الروح وقبضها ونعيمها وعذابها، وفيه: فتصعد بروحه حتى ينتهي بها الى سماء الدنيا فيستفتح لها إلى أن قال: حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله ـ عز وجل ـ، فيقول الله عـز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين في السماء السابعة، وأعيدوه إلى الأرض. وذكر الحديث. ثم قال: وفي قوله: ﴿لا تفْتحُ لهُم أبْوابَ السّماء﴾[1].. دلالة ظاهرة أن الله تعالى فوق السماء لأنه

(١) تقدم تخريجه ص (٧٤) رقم (١).

لو لم يكن فوق السماء لما عرج بالأرواح والأعمال إلى السماء، ولما غلقت أبواب السماء عن قوم وفتحت لآخرين.

وقال في موضع آخر: وقد بلغنا أن حملة العرش حين حملوا العرش وفوقه الجبار ـ جل جلاله ـ في عزته وبهائه ضعفوا عن حمله، واستكانوا وجثوا على ركبهم، حتى لقنوا لا حول ولا قوة إلا بالله، فاستقلوا به بقدرة الله وإرادته.

ثم ساق بإسناده عن معاوية بن صالح: أول ما خلق الله حين كان عرشه على الماء حملة العرش فقالوا: ربنا ومَن يقوى على حمل عرشك وعليه عظمتك وجلالك ووقارك؟ فقال لهم: إني خلقتكم لذلك. قالوا: ربنا ومن يقوى على حمل عرشك وعليه عظمتك وجلالك ووقارك. فقال: خلقتكم لحمل عرشي، قال: فيقولون ذلك مراراً. قال: فقولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله.

وقال في موضع آخر: ولكنا نقول رب عظيم، وملك كبير نور السموات والأرض، وإله السموات والأرض على عرش مخلوق عظيم، فوق السماء السابعة دون ما سواها من الأماكن، من لم يعرفه بذلك كان كافراً به وبعرشه.

وقال في موضع آخر: في حديث حصين: كم تعبد، فلم ينكر النبي ﷺ على حصين إذ عرف أن إله العالمين في السماء، كما قاله النبي ﷺ، فحصين ـ رضي الله عنه ـ قبل إسلامه كان أعلم بالله الجليل من المريسي وأصحابه مع ما ينتحلون من الإسلام، إذ ميز بين الإله الخالق الذي في السماء، وبين الآلهة والأصنام المخلوقة التي في الأرض، قال: وقد اتفقت الكلمة من المسلمين والكافرين أن الله سبحانه في السماء وعرفوه بذلك إلا المريسي/ وأصحابه، حتى الصبيان الذين لم يبلغوا الحنث. ٥٥/ب

وقال في قول رسول الله ﷺ للأمة السوداء: «أين الله؟» تكذيب لمن يقول هو في كل مكان، وأن الله لا يوصف بأين، بل يستحيل أن يقال أين هو،

والله فوق سمواته بائن من خلقه، فمن لم يعرفه بذلك لم يعرف إلٰهه الذي يعبده.

وكتاباه من أجل الكتب المصنفة في السنّة وأنفعها، وينبغي لكل طالب سنة مراده الوقوف على ما كان عليه الصحابة والتابعون والأئمة أن يقرأ كتابيه، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يوصي بهذين الكتابين أشد الوصية ويعظّمهما جداً، وفيهما من تقرير التوحيد والأسماء والصفات بالعقل والنقل ما ليس في غيرهما.

* **قول قتيبة بن سعيد** رحمه الله تعالى: الإمام الحافظ أحد أئمة الإسلام، وحفاظ الحديث من شيوخ الأئمة الذين تجملوا بالحديث عنه. قال أبو العباس السراج: سمعت قتيبة [بن سعيد] يقول: هذا قول الأئمة في الإسلام والسنّة والجماعة: نعرف ربنا سبحانه، بأنه في السماء السابعة على عرشه كما قال تعالى: ﴿الرّحمٰنُ على العَرْش اسْتوى﴾.

* **قول عبد الوهاب الوراق** رحمه الله تعالى: أحد الأئمة الحفاظ، أثنى عليه الأئمة، وقيل للإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: من نسأل بعدك؟ فقال: عبد الوهاب، وهو من شيوخ النبل.

[قال عبد الوهاب] وقد روى حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ما بين السماء السابعة إلى كرسيه سبعة آلاف نور وهو فوق ذلك، ومن زعم أن الله هاهنا، فهو جهمي خبيث، إن الله فوق العرش وعلمه محيط بالدنيا والآخرة، صح ذلك عنه. حكاه عنه محمد بن عثمان في رسالته في الفوقية، وقال: ثقة حافظ. روى عنه أبو داود والترمذي والنسائي مات سنة خمسين ومائتين.

* **قول خارجة بن مصعب رحمه الله تعالى:**

قال عبد الله بن أحمد في «كتاب السنة»: حدثني أحمد بن سعيد الدارمي أبو جعفر، قال: سمعت أبي يقول، سمعت خارجة بن مصعب يقول:

الجهمية كفار. أبلغ نساءهم أنهن طوالق لا يحللن لهم، لاتعودوا مرضاهم، ولا تشهدوا جنائزهم، ثم تلا ﴿طه﴾ إلى قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾.

* **قول إمامي أهل الحديث، أبي زرعة، وأبي حاتم [رحمهما الله تعالى]**: قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سألت أبي وأبا زرعة عن مذهب أهل السنّة في أصول الدين، وما أدركا عليه العلماء في ذلك، فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار ـ حجازاً وعراقاً وشاماً ويمناً ـ فكان من مذهبهم: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، والقرآن كلام الله تعالى، غير مخلوق / ٥٦ بجميع جهّاته، والقدر خيره وشرّه من الله ـ عزّ وجلّ ـ، وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصدّيق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وأن الله ـ عزّ وجل ـ على عرشه بائن من خلقه، كما وصف نفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ بلا كيف. أحاط بكل شيء علماً، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وأنه سبحانه يُرىٰ في الآخرة، يراه أهل الجنّة بأبصارهم، ويسمعون كلامه كيف شاء وكما شاء، والجنّة والنار حق، وهما مخلوقتان لا يفنيان أبداً، ومن زعم أن القرآن مخلوق، فهو كافر بالله العظيم كفراً ينقل عن الملة، ومن شكّ في كفره ممن يفهم ولا يجهل، فهو كافر، ومن وقف في القرآن فهو جهمي، ومن قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي. أو قال القرآن لفظي مخلوق.

قال أبو حاتم: والقرآن كلام الله وعلمه وأسماؤه وصفاته وأمره ونهيه ليس بمخلوق بجهة من الجهات. ونقول: أن الله تعالى على عرشه، بائن من خلقه، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

ثم ذكر عن أبي زرعة ـ رحمه الله تعالى ـ أنه سئل عن تفسير قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ فغضب، وقال: تفسيرها كما تقرأ، هو على

العرش استوى، وعلمه في كل مكان. من قال غير ذلك، فعليه لعنة الله. وهذان الإمامان إماما أهل الدين، وهما من نظراء الامام أحمد والبخاري رحمهما الله تعالى.

*** قول حرب الكرماني، صاحب أحمد وإسحاق رحمهم الله تعالى:**

وله مسائل جليلة عنهما، قال يحيى بن عمار: أخبرنا أبو عصمة قال: حدثنا إسماعيل بن الوليد، حدثنا حرب بن إسماعيل قال: والماء فوق السماء السابعة والعرش على الماء، والله على العرش.

قلت: هذا لفظه في مسائله، وحكاه إجماعاً لأهل السنة من سائر أهل الأمصار.

*** قول سنيد بن داود، شيخ البخاري رحمهما الله تعالى:**

قال أبو حاتم الرازي: حدثنا أبو عمران موسى الطرطوسي قال: قلت لسنيد بن داود: هو على عرشه بائن من خلقه؟ قال: نعم، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿وتَرى المَلائكة حَافِّينَ منْ حولِ العرش﴾.

*** قول إمام أهل الحديث علي بن المديني، شيخ البخاري، بل شيخ الاسلام رحمه الله تعالى:**

قال البخاري: علي بن المديني سيد المسلمين. وقال البخاري: لو قيل لي ما تشتهي فقلت: قلباً خالياً وعلي المديني وأنا أسأله.

قيل له: ما قول الجماعة في الاعتقاد؟ فقال: يثبتون الكلام والرؤية ويقولون: إن الله تعالى على العرش استوى. فقيل له: ما تقول في قوله تعالى: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾؟ فقال: إقرأوا أول الآية. يعني بالعلم، لأن في أول الآية: ﴿ألم تَرَ أنَّ الله يعْلَمُ ما في السّموات﴾.

قال البخاري في كتاب «خلق الافعال»: قال ابن المديني: القرآن كلام

الله غير مخلوق. من قال إنه مخلوق، فهو كافر لا يصلى خلفه.

قال البخاري: ما استصغرت نفسي بين يدي أحد إلا بين يدي علي ابن المديني.

وقال الحسن بن محمد بن الحارث: / سمعت علي بن المديني يقول: ٥٦/ب أهل الجماعة يؤمنون بالرؤية وبالكلام، وأن الله فوق السموات على العرش استوى، وسئل عن قوله تعالى: ﴿ما يكُون من نجوى ثَلاثةٍ إلّاهو رابعُهُم﴾ الآية. فقال: إقرأ ما قبله، يعني علم الله تعالى.

*** قول إمام أهل الاسلام محمد بن اسماعيل البخاري رحمه الله تعالى:**
قال في كتاب التوحيد من «صحيحه»[1]: باب قول الله ـ عز وجل ـ: ﴿وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم﴾، قال أبو العالية: استوى الى السماء: ارتفع، فسواهنّ: خلقهن، وقال مجاهد: استوى: علا على العرش.

ثم ساق البخاري حديث زينب بنت جحش ـ رضي الله عنها ـ أنها كانت تفخر على نساء النبي ﷺ، فتقول: زوجكنّ أهاليكنّ، وزوجني الله من فوق سبع سموات[2]. وذكر تراجم أبواب هذا الكتاب الذي ترجمه كتاب التوحيد، والرد على الجهمية رداً على أقوال الجهمية التي خالفوا بها الأمة، فمن تراجم أبواب هذا الكتاب: باب قول الله تعالى: ﴿قُل ادْعُوا الله أوِ ادْعُوا الرّحْمٰن أيّاً مّا تَدْعُوا فَلَهُ الأسْماء الحُسْنى﴾.

ومن أبوابه أيضاً: باب قول الله ـ عز وجل ـ: ﴿إنَّ الله هُوَ الرّزاقُ ذو القُوّة المتين﴾، وذكر أحاديث.

ثم قال: باب قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ على غيْبه أحداً﴾.

---

(١) «الفتح» ١٣/٤٠٣ ـ ٤٩٦.
(٢) تقدم تخريجه ص (٦٠) رقم (٣)

و﴿إنَّ الله عنْدَه عِلْمُ الساعة﴾ و﴿أنْزله بعِلْمه﴾. ﴿ومَا تَحْملُ من أُنْثى ولاَ تَضَعُ إلَّا بعلْمه﴾. ثم ساق أحاديث مستدلاً بها على إثباتِ صفة العلم.

ثم قال: باب قول الله عز وجل: ﴿السّلامُ المُؤمنُ﴾. ثم ساق حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «إن الله تعالى هو السلام» ثم ساق حديث أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ: «يقول الله: أنا الملك».

ثم قال: باب قول الله: ﴿وهُوَ العَزيزُ الحكيم﴾ ﴿سُبحانَ ربِّكَ ربِّ العِزّة عمّا يَصِفُونَ﴾. ﴿ولله العِزّةُ ولِرَسُوله﴾ وذكر أحاديث في ذلك.

ثم قال: باب قول الله: ﴿هُو الّذي خَلَقَ السّمواتِ والأرْض بالحقَ﴾. ثم ذكر حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «اللهم لك الحمد، نور السموات والارض...» إلى آخره.

ثم قال: باب قول الله تعالى: ﴿وكانَ الله سميعاً بصيراً﴾. ثم ساق أحاديث منها: حديث أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ: «الذي تدعونه سميع قريب، أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته».

ثم قال: باب قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ القَادِرُ﴾. ثم ساق أحاديث في إثبات القدر.

ثم قال: باب مقلّب القلوب، وقول الله ـ عز وجل ـ: ﴿ونُقَلِّبُ أفْئِدَتَهُمْ وأبْصَارَهُم﴾، وقول النبي ﷺ في حلفه: «لا ومقلب القلوب».

ثم قال: باب إن لله مائة إسم إلا واحداً.

ثم قال: باب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها، ومقصودة بذلك أنها غير مخلوقة، فإنه لا يستعاذ بمخلوق ولا يسأل به.

ثم قال: باب ما يذكر في الذات والنعوت وأسامي الله تعالى.

ثم قال: باب قول الله ـ عز وجل ـ: ﴿ويحذّركم اللهنفسه﴾. ثم ساق أحاديث.

ثم قال: باب/ قول الله ـ عز وجل ـ: ﴿كُلّ شيء هَالكٌ إلاَّ وجّهَهُ﴾ ثم ذكر حديث جابر ـ رضي الله عنه ـ: «أعوذ بوجهك». ٥٧/أ

ثم قال: باب قول الله ـ عز وجل ـ: ﴿ولِتُصْنع على عَيْني﴾ وقوله: ﴿تَجْري بأعْيُنِنَا﴾، ثم ذكر حديث الدجال: «إن ربكم ليس بأعور».

ثم قال: باب قول الله ـ عز وجل ـ: ﴿هُوَالله الخَالِقُ البَارىء المُصَوِّرُ﴾.

ثم قال: باب قول الله ـ عز وجل ـ: ﴿لما خَلَقْتُ بيَديّ﴾. ثم ذكر أحاديث في إثبات اليدين. ثم قال: باب قول النبي ﷺ: «لا شخص أغير من الله».

ثم قال: باب قول الله تعالى: ﴿قُلْ أيُّ شيء أكْبَرُ شَهَادةً قُلِ الله﴾. فسمى الله نفسه شيئاً. ثم قال: باب قول الله تعالى: ﴿وكانَ عرشُهُ على الماء﴾، ثم ذكر بعض أحاديث الفوقية.

ثم قررها بترجمة أخرى، فقال: باب قول الله تعالى: ﴿إليْهِ يَصْعدُ الكَلِمُ الطّيِّبُ﴾. وقوله تعالى: ﴿تَعْرجُ المَلائِكَةُ والرُّوح إلْيهِ﴾. ثم ساق في ذلك أحاديث في إثبات صفة الفوقية.

ثم قال: باب قوله تعالى: ﴿وجُوهٌ يَوْمئِذ نَاضِرَةٌ إلى ربِّها نَاظرة﴾. في ذكر الأحاديث الدالة على إثبات الرؤية في الآخرة.

ثم قال: باب ما جاء في قوله: ﴿إنَّ رحْمةَ الله قريبٌ من المُحْسنينَ﴾. ثم ذكر أحاديث في إثبات صفة الرحمة.

ثم قال: باب قول الله تعالى: ﴿إنَّ الله يُمْسِكُ السّمواتِ والأرْضَ أنْ

تَزُولا﴾. ثم ساق في هذا الباب حديث الخبر الذي فيه «إن الله يمسك السموات على إصبع» الحديث.

ثم قال: باب ما جاء في تخليق السموات والأرض وغيرهما من الخلائق، وهو فعل الربّ ـ عز وجل ـ وأمره، فالربُّ بصفاته وفعله وأمره وكلامه هو الخالق المكون غير مخلوق، وما كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه فهو مفعول مخلوق مكوَّن.

وهذه الترجمة من أدلّ شيء على دقّة علمه ورسوخه في معرفة الله تعالى وأسمائه وصفاته. وهذه الترجمة فصل في مسألة الفعل والمفعول، وقيام أفعال الرب ـ عز وجل ـ به، أنهما غير مخلوقة، وأن المخلوق هو المنفصل عنه الكائن بفعله وأمره وتكوينه، فَفَصَلَ النزاع بهذه الترجمة أحسن فصل وأبينه وأوضحه، إذ فرق بين الفعل والمفعول، وما يقوم بالربِّ سبحانه، وما لا يقوم به، وبيّن أفعاله تعالى كصفاته داخلة في مسمى اسمه ليست منفصلة خارجة مكونة، بل بها يقع التكوين فجزاه الله سبحانه عن الإسلام هو قول أهل السنة وهو المأثور عن سلف الأمة، وصرّح به في كتاب «خلق أفعال العباد»، وجعله قول العلماء مطلقاً، ولم يذكر فيه نزاعاً إلا عن الجهمية. وذكره البغوي إجماعاً من أهل السنة، وصرح البخاري في هذه الترجمة بأن/ كلام الله تعالى غير مخلوق وأن أفعاله وصفاته غير مخلوقة. ٥٧/ب

ثم قال: باب قول الله ـ عز وجل: ﴿ولَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمتُنَا لِعِبَادنا المُرسَلين﴾، ثم ساق أحاديث في القدر وإثباته.

ثم قال: باب قول الله تعالى: ﴿إنّما أمْرُهُ إذا أرَادَ شَيْئاً أنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، ثم ساق أحاديث في إثبات تكلّم الرب جل جلاله.

ثم قال: باب قول الله ـ عز وجل ـ: ﴿قُلْ لَوْ كانَ البَحْرُ مِداداً لِكَلماتِ ربِّي لنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أنْ تَنْفَدَ كلِماتُ ربِّي ولَوْ جِئْنَا بمثْله مَدَداً﴾، وقوله تعالى:

﴿ولَوْ أنَّما في الأرْضِ مِنْ شَجَرةٍ أقْلامٌ، والبَحْرُ يمُدُّه منْ بعْده سَبْعةُ أبْحُرٍ [ما نَفِدَتْ كَلِماتُ الله]﴾. وقوله تعالى: ﴿ألاَ لَهُ الخَلْقُ والأمْرُ [تَبارك الله ربُّ العالمينَ]﴾. ومقصوده إثبات صفة الكلام، والفرق بينهما وبين صفة الخلق، ثم قال: باب في المشيئة والإرادة، ثم ساق آيات وأحاديث في إثبات ذلك.

ثم قال: باب قوله تعالى: ﴿ولاَ تَنْفَعُ الشّفاعةُ عنْدَهُ إلاَّ لمنْ أذِنَ لَهُ حتّى إذا فُزِّعَ عنُ قُلُوبِهِم قالوا: ماذا قالَ ربُّكم﴾؟ قال البخاري رحمه الله: ولم يقولوا: ماذا خلق ربكم، ثم ذكر حديث أبي سعيد الحذري ـ رضي الله عنه ـ: ﴿فينادي بصوت﴾، وحديث عبد الله بن أنيس، وعلقمة: «فيناديهم بصوت يسمَعه من بَعُدَ كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديّان».

ومقصوده أنّ هذا النداء يستحيل أن يكون مخلوقاً، فإن المخلوق لا يقول: أنا الملك أنا الديان، فالمنادي بذلك هو الله ـ عز وجل ـ القائل: أنا الملك أنا الديان.

ثم قال: باب كلام الرب تعالى مع جبرائيل عليه الصلاة والسلام، ونداء الله تعالى الملائكة، ثم ذكر حديث: «إذا أحب الله عبداً نادى جبرائيل...».

ثم قال: باب قوله ـ عز وجل ـ: ﴿أنْزَلَهُ بِعلْمه والملاَئِكةُ يشْهدون﴾. ثم ساق أحاديث في نزول القرآن من السماء مما يدل على أصلين: فوقية الرب تعالى، وتكمله بالقرآن.

ثم قال: باب قول الله ـ عز وجل ـ: ﴿يُريدُونَ أنْ يُبَدِّلُوا كلامَ اللهِ﴾، ثم ذكر أحاديث في تكلّم الربّ تعالى.

ثم قال: باب كلام الربِّ يومَ القيامة مع الأنبياء وغيرهم، ثم ساق حديث الشفاعة، وحديث: «ما منكم [من أحد] الا سيكلمه ربه». وحديث: «يدنو المؤمن من ربه...».

ثم قال: باب قوله تعالى: ﴿وكَلّمَ الله مُوسى تَكْليماً﴾. ثم ذكر أحاديث في تكليم الله لموسى.

ثم قال: باب كلام الرب تعالى مع أهل الجنة، ثم ذكر حديثين في ذاك.

ثم قال: باب قول الله ـ عز وجل ـ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لله أَنْداداً [وأَنْتُم تَعْلَمُون]﴾. وذكر آيات في ذلك، وذكر حديث ابن مسعود: «أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك».

وغرضه بهذا التبويب الرد على القدرية والجبرية، فأضاف الجعل اليهم، فهو كسبهم وفعلهم، ولهذا قال في هذا/ الباب نفسه: وما ذكر في خلق أفعال العباد وأكسابهم لقوله: ﴿وخَلَقَ كلّ شيء فَقَدّرهُ تَقْديراً﴾. فأثبت خلق أفعال العباد وأنها أفعالهم وأكسابهم، فتضمنت ترجمته مخالفة القدرية والجبرية. ٥٨/أ

ثم قال: بَاب قول الله عز وجل ـ ﴿ومَا كُنْتُم تَسْتَترونَ أنْ يشْهدَ عليْكُم سَمْعكُم ولا أبْصاركُم ولاجُلُودكُم ولكنْ ظَنَنْتُم أنَّ الله لا يعْلمُ كثيراً ممّا تعْمَلونَ﴾.

وقصده بهذا أن يبين أن الصوت والحركة التي يؤدي بهاالكلام كسب العبد وفعله وعلمه، ثم ذكر أبواباً في إثبات خلق أفعال العباد، ثم ختم الكتاب بإثبات الميزان(١).

* **قول مسلم بن الحجاج [رحمه الله تعالى]**: يُعرف قوله في السّنة من سياق الأحاديث التي ذكرها ولم يتأولها. ولم يذكر لها تراجم كمافعل البخاري، ولكن سردها بلا أبواب، ولكن تعرف التراجم من ذكره للشيء مع نظيره، فذكر في كتاب الإيمان كثيراً من أحاديث الصفات كحديث الإتيان يوم القيامة وما فيه من التجلّي، وكلام الرب لعباده، ورؤيتهم إياه، وذكر حديث الجارية،

(١) «الفتح» ١٣/٤٠٣ ـ ٤٩٦.

وأحاديث النزول. وذكر حديث: «إن الله يمسك السموات على أصبع والأرضين على إصبع». وحديث: «يأخذ الجبار سمواته وأرضه بيده». وأحاديث الرؤية. وحديث: «حتى يضع الجبار فيها قدمه». وحديث: «المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين». وحديث: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء». وغيرها من أحاديث الصفات محتجّاً بها غير مؤول لها، ولو لم يكن معتقداً لمضمونها لفعل بها ما فعل المتأوّلون حين ذكرها.

* **قول أبي عيسى الترمذي رحمه الله تعالى**: قال في «جامعة» لما ذكر حديث أبي هريرة: «لو أدلى أحدكم بحبل لهبط على الله». قال: معناه لهبط على علم الله. قال: وعلم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان، وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه[1].

وقال في حديث أبي هريرة: «أن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه»: قال غيرُ واحد من أهل العلم، في هذا الحديث وما يشبهه [هذا من الروايات][2] من الصفات، ونزول الرب تبارك وتعالى [كل ليلة][2] إلى سماء الدنيا. قالوا: قد ثبتت الروايات في هذا ونؤمن به ولا نتوهم، ولا يقال: كيف؟ هكذا روي عن مالك، وابن عيينة، وابن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث: أمّروها بلا كيف. قال: وهذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة. وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات، وقالوا: هذا تشبيه. وقد ذكر الله تعالى في غير موضع من كتابه اليد والسمع والبصر، فتأوّلت الجهمية هذه الآيات وفسّروها على غير ما فسّر أهلُ العلم. وقالوا: إن الله/ لم يخلق آدم بيده، وإنما معنى اليد هاهنا ٥٨/ب القوة.

---

(١) الزيادة من «السنن».

(٢) الترمذي رقم (٣٢٩٨) جـ ٥/٤٠٤.

وقال إسحاق بن راهويه: إنما يكون التشبيه إذا قال: يدٌ كيدي أو مثل يدي، أو سمع كسمعي، فهذا تشبيه، وأما إذا قال كما قال الله: يد وسمع وبصر، فلا يقول: كيف، ولا يقول: مثل سمع ولا كسمع، فهذا لا يكون تشبيهاً عنده. قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِه شيء وهُوَ السّميعُ البصيرُ﴾[1] هذا كله كلامه. وقد ذكره عنه شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري في كتابه «الفاروق» بإسناده.

وكذلك من تأمل تبويب ابن ماجه في السنّة والرد على الجهمية في أول «كتابه»[2]، وتبويب أبي داود فيما ذكر في الجهمية والقدرية[3]، وسائر أئمة أهل الحديث عَلِمَ مضمون أقوالهم، وأنهم كلهم على طريقة واحدة، وقول واحد، ولكن بعضهم بَوَّبَ وترجم، ولم يزد على الحديث غير التراجم والأبواب، وبعضهم زاد التقرير وإبطال قول المخالف، وبعضهم سرد الأحاديث ولم يترجم لها، وليس فيهم من أبطل حقائقها وَحَرَّفها عن مواضعها وسمى تحريفها تأويلاً كما فعلت الجهمية، بل الذي بين أهل الحديث والجهمية من الحرب أعظم مما بين عسكر الكفر وعسكر الاسلام، وابن ماجه قال في أول «سننه»: باب في ماأنكرت الجهمية ثم روى أحاديث الرؤية، وحديث: «أين كان ربنا»[4] وحديث جابر: «بينما أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور من فوقهم فرفعوا رؤوسهم، فإذا الجبار جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم،[5] وحديث الأوعال الذي فيه: «والعرش فوق ذلك، والله

---

(١) الترمذي رقم (٦٦٢) حـ٣/٥٠ ـ ٥١.

(٢) «سنن ابن ماجه» المقدمة: باب رقم ١٣ ص ٦٣ ـ ٧٣.

(٣) انظر «سنن ابن ماجه» رقم (١٧٧ ـ ١٨٠).

(٤) انظر ابن ماجه رقم (١٨٢).

(٥) انظر «سنن ابن ماجه» رقم (١٨٤).

فوق العرش»[1]. وحديث: «إن الله ليضحك إلى ثلاثة»[2] وغيرها من الأحاديث.

*** قول الحافظ أبي بكر الآجري إمام عصره في الحديث والفقه:**

قال في «كتابه الشريعة»: باب التحذير من مذهب الحلولية: الذي يذهب إليه أهل العلم: أن الله عز وجل - على عرشه فوق سمواته وعلمه محيط بكل شيء، قد أحاط بجميع ما خلق في السموات العلى، وبجميع ما خلق في سبع أرضين، ترفع إليه أعمال العباد.

فإن قال قائل: فما معنى قوله تعالى: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾؟ قيل له: علمه معهم، والله - عز وجل - على عرشه وعلمه محيط بهم. كذا فَسَّره أهلُ العلم، والآية تدل أولها وآخرها على أنه العلم، وهو على عرشه. فهذا قول المسلمين[3].

*** قول الحافظ أبي الشيخ عبد الله بن محمد بن حيان الأصبهاني:** قال في «كتاب العظمة»: ذكر عرش الرب تبارك وتعالى وكرسيه وعظم خلقهما، وعلو الرب جلّ جلاله فوق عرشه[4]، ثم ساق كثيراً من أحاديث / هذا الباب بإسناده. ٥٩/أ

*** قول الحافظ زكريا بن يحيى الساجي إمام أهل البصرة رحمه الله تعالى:**

قال أبو عبد الله بن بطة: حدثنا أبو الحسن أحمد بن زكريا بن يحيى الساجي، قال: قال أبي: القول في السنة التي رأيت عليها أصحابنا أهل

---

(١) انظر «سنن ابن ماجه» رقم (١٩٣).
(٢) انظر «سنن ابن ماجه» رقم (٢٠٠).
(٣) ص ٢٨٨ باختصار من ابن القيم رحمه الله تعالى.
(٤) «العظمة» ص (١٠١).

الحديث الذين لقيناهم: أن الله تعالى على عرشه في سمواته يقرب من خلقه كيف شاء. . . ثم ذكر بقية الاعتقاد.

ذكره الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في «طبقات الفقهاء»، وقال: أخذ عن الربيع، والمزني، وله كتاب «اختلاف الفقهاء»، وكتاب «علل الحديث»، وهو شيخ أبي الحسن الأشعري في الفقه والحديث، وذكر ما حكاه أبو نصر السجزي عن أهل الحديث قال: وأئمتنا كالثوري، ومالك، وابن عيينة، وحماد ابن زيد، والفضيل وأحمد، وإسحاق متفقون على أن الله فوق العرش بذاته، وأن علمه بكل مكان.

* **قول الإمام أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني**: إمام أهل الحديث والفقه والتصوف في وقته. قال في رسالته المشهورة في السنة: وأن الله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه. ثم ساق بإسناده عن ابن المبارك أنه قال: ربنا عز وجل بأنه فوق سبع سمواته على عرشه بائن من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية: إنه هاهنا في الأرض.

ثم قال: حدثنا أبو عبد الله الحافظ، عن محمد بن صالح، عن ابن خزيمة قال: من لم يقرّ بأنّ الله على عرشه قد استوى فوقَ سبع سمواته، فهو كافر بربّه، حلال الدم يستتاب، فإن تاب، وإلا ضُربت عنقه، وأُلقي على بعض المزابل، حتى لا يتأذّى به المسلمون ولا المعاهدون بنتن رائحة جيفته، وكان ماله فيئاً، ولا يرثه أحدٌ منَ المسلمين، إذ المسلم لا يرث الكافر، ولا الكافر يرث المسلم.

* **قول أبي جعفر الطحاوي إمام الحنفية في وقته في الحديث والفقه ومعرفة أقوال السلف:**

قال في «عقيدته» التي له وهي معروفة عند الحنفية، ذكر بيان السّنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة، وأبي يوسف، ومحمد

ابن الحسن : نقول في توحيد الله معتقدين أن الله واحد لا شريك له ولا شيء مثله ما زال بصفاته قديما قبل خلقه. وإن القرآن كلام الله منه بدأ بلا كيفية قولاً. ونزل على نبيه وحياً. وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً. وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق [ككلام البرية][1]، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر. والرؤية حق لأهل الجنة بغير/ إحاطة ولا كيفية، وكل ما جاء ٥٩/ب في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ فهو كما قال، ومعناه كما أراد. لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا. ولا يثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام، فمن رام ما حظر عنه علمه ولا يقنع بالتسليم فهمه، حجبه مرامه عن خالص التوحيد [وصافي المعرفة][1] وصحيح الإيمان ومن لم يتوقّ النفي والتشبيه زلّ، ولم يصب التنزيه. إلى أن قال: والعرش والكرسي حق كما بين في كتابه وهو مستغن عن العرش وما دونه محيط بكل شيء وفوقه... وذكر سائر الاعتقاد[2].

* **قول حماد بن هناد البوشنجي**، الحافظ أحد أئمة الحديث في وقته:

ذكر شيخ الإسلام الأنصاري، فقال: قرأت على أحمد بن محمد بن منصور، أخبركم جدكم منصور بن الحسين، حدثني أحمد بن الأشرف قال: حدثنا حماد بن هناد البوشنجي قال: هذا ما رأينا عليه أهل الأمصار، وما دلّت عليه مذاهبهم فيه، وإيضاح مناهج العلماء، طريق الحلفاء، وصفة السنة وأهلها: إن الله فوق السماء [السابعة] على عرشه بائن من خلقه، وعلمه وقدرته وسلطانه بكل مكان، فقال: نعم.

---

(١) الزيادة من «شرح الطحاوية».

(٢) انظر «شرح العقيدة الطحاوية» بتحقيقنا. ص ١٥ و٤٢ و٧٥ و١٣٥ و١٦٣ و١٨١ و١٨٤ و١٩٥ و٢٨٥ و٢٩٠.

أقوال أئمة أهل التفسير

وهذا باب لا يمكن استيعابه، لكثرة ما يوجد من كلام أهل السنّة في التفسير، وهو بحر لا ساحل له، وإنما نذكر طرفاً منه يسيراً يكون منبهاً على ما وراءه، ومن أراد الوقوف عليه فهذه تفاسير السلف وأهل السنّة موجودة، فمن طلبها وجدها.

*** قول إمامهم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:**

ذكر البيهقي عنه في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ على العَرْشِ اسْتَوى﴾ قال: استقر. وقد تقدم قوله في تفسير قوله تعالى عن إبليس: ﴿ثمّ لآتِيَنَّهُم مِنْ بينِ أيديهِمْ ومن خَلْفِهِم وَعنْ أيْمَانِهم وعَنْ شَمَائِلِهِم﴾. قال: لم يستطع أن يقول: من فوقهم، علم أن الله من فوقهم.

وتقدم حكاية قوله: إن الله كان على عرشه وكتب ما هو كائن، وإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه. رواه سفيان الثوري، عن أبي هاشم، عن مجاهد عنه.

وذكر البخاري عنه في «صحيحه» أن سائلاً سأله فقال: إني أجد أشياء تختلف عليَّ أسمع الله يقول: ﴿أمِ السّماء بَنَاهَا﴾ إلى قوله: ﴿والأرْضَ بعْدَ ذلك دحاها﴾ فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض، ثم قال في آية أخرى: ﴿قُلْ أئِنّكُم لَتَكْفرونَ بالّذي خَلَقَ الأرْضَ في يومين﴾ إلى أن قال: ﴿ثمّ اسْتَوى إلى السّماء﴾. فذكر هنا خلق الأرض/ قبل السماء، فقال ابن عباس: أما قوله: ﴿أم السماء بناها﴾ فإنه خلق الأرض قبل السماء، ثم استوى إلى السماء ٦٠/أ

فسواهن سبع سموات، ثم نزل إلى الأرض فدحاها، وهذه الزيادة وهي قوله: (ثم نزل إلى الارض) ليست عند البخاري وهي «صحيحة».

قال محمد بن عثمان في «رسالته في العلو»، عن جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس قال: قالت امرأة العزيز ليوسف: إني كثيرة الدر والياقوت فأعطيك ذلك، حتى تنفق مرضاة سيدك الذي في السماء.

وعن ذكوان خادم عائشة رضي الله عنها: أن ابن عباس دخل على عائشة وهي تموت فقال لها: كنت أحبّ نساء رسول الله ﷺ إليه، ولم يكن رسول الله ﷺ يحب إلا طيباً، وأنزل الله براءتك من فوق سبع سموات جاء بها جبرائيل، فأصبح ليس مسجداً من مساجد الله يذكر فيه الله، إلا وهي تتلى آناء الليل وآناء النهار، وأصل القصة في «صحيح البخاري».

وقال ابن جرير في تفسيره: حدثني محمد بن سعيد، حدثني أبي، حدثني عمي، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿تَكَادُ السّموات يَتَفطّرنَ مِنْ فَوْقهنّ﴾. قال: يعني من ثقل الرحمن وعظمته جل جلاله. وهذا التفسير تلقاه عن ابن عباس الضحاكُ، والسديُّ، وقتادةُ، فقال سعيد: عن قتادة، يتفطرن من فوقهن [قال]: من عظمة الله وجلاله، وقال السدي: تشقق بالله.

وذكر شيخ الإسلام من رواية الضحاك بن مزاحم عنه قال: إن الله خلق العرش أول ما خلق فاستوى عليه. قلت: وهذا تفسير الضحاك. وفي تفسير السدي، عن أبي مالك، وأبي صالح عن ابن عباس: ﴿الرحمنُ على العَرش اسْتوى﴾ [طه: ٥] قال: قعد.

*** قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:**

روى أبو الشيخ في «كتاب العظمة»، عن ابن مسعود قال رجل: يا رسول الله! ما الحاقة؟ قال: «يوم ينزل الرب تبارك وتعالى على عرشه».

وقال البخاري في كتاب «خلق أفعال العباد»: قال ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿ثمّ اسْتَوى إلى السماء﴾ [فصلت: ١١] وقوله تعالى: ﴿ثمّ استوى على العَرش﴾ [الفرقان: ٥٩]. قال: العرش على الماء، والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه.

وقال ابن مسعود: «من قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر تلقاهن ملك، يعرج بهن إلى الله، فلا يمرّ بملأ من الملائكة إلا استغفروا ٦٠/ب لقائلهن، حتى يجيء بهن وجه الرحمٰن/ - عزّ وجل» أخرجه العسال في «كتاب المعرفة» بإسناد كلّهم ثقات.

وقال الدارمي: حدثنا موسى بن اسماعيل، حدثنا حماد هو ابن سلمة، عن الزبير بن عبد السلام، عن أيوب بن عبد الله الفهري أن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: «إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار، نور السموات والارض من نور وجهه، وان مقدار كل يوم من أيامكم عنده اثنتا عشرة ساعة، فتعرض عليه أعمالكم بالأمس أول النهار، فينظر فيها ثلاث ساعات، فيطلع فيها على ما يكره فيغضبه ذلك، فأول من يعلم بغضبه الذين يحملون العرش يجدونه يثقل عليهم، فيسبحه الذين يحملون العرش وسرادقات العرش والملائكة المقربون وسائر الملائكة». وهو في «معجم الطبراني» أطول من هذا.

وصحّ عن السدّي، عن مرّة، عن ابن مسعود، وعن أبي مالك، وأبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة عن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ في قوله: ﴿ثم استوى إلى السماء﴾.

[ولا يناقض] أن الله عز وجل - كان على عرشه على الماء، ولم يخلق شيئاً قبل الماء الحديث، وفيه: «فلمّا فرغ من من خلق ما أحبَّ استوى على العرش». ولا يناقض هذا حديث: «أول ما خلق الله القلم»[1] لوجهين:

---

(١) أبوداود رقم (٤٧٠٠)، والترمذي رقم (٢١٥٦) و (٣٣١٦)، وأحمد ٥/٣١٧، من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وهو حديث صحيح.

أحدهما: أن الأولية راجعة إلى كتابته لا إلى خلقه، فإنَّ الحديث: «أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب. قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة.

والثاني: إن المراد أول ما خلقه الله من هذا العالم بعد خلق العرش، فإنّ العرش مخلوق قبله في أصح قولي السلف، حكاهما الحافظ عبد القادر الرُّهاوي. ويدل على سبق خلق العرش قوله في الحديث الثابت: «قَدَّر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه على الماء».

وقد أخبر أنه حين خلق القلم قدّر به المقادير كما في اللفظ الآخر «قال: اكتب. قال: ما أكتب؟ قال: اكتب القدر» فهذا هو التقدير المؤقت قبل خلق العالم بخمسين ألف سنة، فثبت أن العرش سابق على القلم، والعرش كان على الماء قبل خلق السموات والأرض، فأقوال الصحابة لا تناقض ماأخبر به رسول الله ﷺ.

وذكر سنيد بن داود بإسناد صحيح عنه أنه قال: ما بين السماء السابعة إلى الكرسي مسيرة خمسمائة عام، وما بين السماء إلى سماء مسيرة خمسمائة عام والعرش على الماء/، والله تعالى على العرش، ويعلم أعمالكم». ٦٢/أ

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة قال: قال عبد الله: «ارحم مَنْ في الأرض يرحمك من في السماء»[1].

وروى أبو القاسم اللالكائي بإسناد صحيح، عن خيثمة، عن عبد الله ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: «إنَّ العبدَ ليهِمُ بالأمر من التجارة والإمارة

(١) أحمد ٢/١٦٠، وأبو داود رقم (٤٩٤١)، والترمذي رقم (١٩٢٥)، والحاكم ٤/١٥٩ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وهو حديث صحيح. أنظر «الأحاديث الصحيحة» رقم (٩٢٥).

حتى إذا تيسر له نظر الله إليه من فوق سبع سموات، فيقول للملائكة: اصرفوه عنه فإنه إن يسرته له أدخلته النار» وقد سبق نحوه عن ابن عباس مرفوعاً وموقوفاً.

وقال حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، عن الشعبي، عن ابن مسعود، قال: «الله ملأ العرش حتى إن له أطيطاً كأطيط الرحل». رواه حرب، عن إسحاق، عن روح عن آدم بن أبي أياس، عن حماد.

*** قول مجاهد وأبي العالية رضي الله عنهما:**

روى البيهقي من طريق شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿وقرّبناه نجيّاً﴾ [مريم: ٥٢] قال: بين السماء السابعة، وبين العرش سبعون ألف حجاب، فما زال يقرب موسى حتى كان بينه وبينه حجاب. فلما رأى مكانه وسمع صريف القلم قال: رب [أرني] أنظر إليك.

وقال البخاري في «صحيحه»: قال أبو العالية: استوى إلى السماء: ارتفع، وقال مجاهد: استوى: علا على العرش[1].

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ واتّبَعْوا الشّهَوَاتِ﴾ [مريم: ٥٩] قال: هم في هذه الأمة يتراكبون كما تتراكب الحمر والأنعام في الطرق، ولا يستحيون [الناس] في الأرض، ولا يخافون الله في السماء. رواه الهيثم بن خلف الدوري في «كتاب تحريم اللواط».

*** قول قتادة رحمه الله تعالى:** قد تقدم ما رواه عثمان الدارمي عنه في «كتاب النقض» قال: قالت بنو اسرائيل: يا رب! أنت في السماء ونحن في الأرض، فكيف لنا أن نعرف رضاك وغضبك؟. قال: إذا رضيتُ عليكم

(١) البخاري ١٣/٤٠٢.

استعملتُ عليكم خياركم، وإذا غضبتُ عليكم استعملتُ عليكم شراركم.

في «تفسير ابن أبي حاتم»، عن قتادة، قال: ﴿ثم استوى على العرش﴾: في يوم الجمعة.

* **قول عكرمة رحمه الله تعالى**: صَحَّ عن إبراهيم بن الحكم، عن أبيه، عن عكرمة، قال: بينما رجل في الجنة فقال في نفسه: لو أن الله يأذن لي لزرعت، فلا يعلم إلا والملائكة عن أبوابه فيقولون: سلام عليك، يقول لك ربك: تمنيت شيئاً فقد علمته، وقد بعث معنا البذر، فيقول ابذروا، فيخرج أمثال الجبال، فيقول له الرب من فوق عرشه: كُلْ يا ابن آدم، فإن ابن آدم لا يشبع. وله شاهد مرفوع في «صحيح/ البخاري». ٦٢/ب

* **قول سعيد بن جبير رحمه الله تعالى**: روي عنه من طرق، قال: قحط الناس في زمن ملك من ملوك بني إسرائيل، فقال الملك: ليرسلن الله علينا السماء أو لنؤذينه، فقال جلساؤه: فكيف تقدر وهو في السماء؟ فقال: أقتل أولياؤه. فأرسل الله عليهم السماء.

* **قول الضحاك رحمه الله تعالى**: قد تقدّم عنه في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] قال: هو على عرشه وعلمه معهم. ذكره ابن بطة، وابن عبد البر، والعسال في ـ «كتاب المعرفة» ولفظه: قال: هو فوق عرشه وعلمه معهم أينما كانوا.

ورواه أحمد، عن نوح بن ميمون، عن بكير بن معروف، عن مقاتل عنه، ولفظه: هو على العرش وعلمه معهم، ونقل ابن عبد البرّ اجماع الصحابة والتابعين على ذلك.

* **قول محمد بن كعب القرظي رحمه الله تعالى**: قال عثمان [بن سعيد] الدارمي: حدثنا عبد الله بن صالح، حدثني حرملة بن عمران، عن سليمان

ابن حميد، قال: سمعت محمد بن كعب القرظي يحدث عن عمر بن عبد العزيز، قال: إذا فرغ الله من أهل الجنة والنار أقبل الله في ظلل من الغمام والملائكة، فسلم على أهل الجنة في أول درجة فيردون عليه السلام، قال القرظي: وهذا في القرآن: ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾ فيقول: سلوني، يفعل ذلك بهم في درجهم حتى يستوي على عرشه، ثم يأتيهم التحف من الله تحمله الملائكة إليهم.

* **قول الحسن البصري رحمه الله تعالى**: ذكر الشيخ موفق الدين ابن قدامة المقدسي في كتابه «إثبات صفة العلو» عنه بإسناد صحيح قال: سمع يونس ـ عليه السلام ـ تسبيح الحصى والحيتان، فجعل يسبح فكان يقول في دعائه: يا سيدي في السماء مسكنك، وفي الارض قدرتك وعجائبك، إلهي في الظلمات الثلاث حبستني. فلما كان تمام الأربعين وأصابه الغم فنادى في الظلمات: ﴿أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾. وقال الحسن [البصري]: ليس عند ربك شيء أقرب إليه من إسرافيل.

وذكر ابن منده، [أخبرنا أحمد بن محمد الوراق، حدثنا إسماعيل بن أبي كثير، حدثنا مكي بن إبراهيم، حدثنا هشام]، عن الحسن قال: قال الله ـ عز وجل ـ: لما خلقت خلقي واستويت على عرشي كتبت: إن رحمتي سبقت غضبي، ولولا ذلك لهلكوا.

* **قول مسروق رحمه الله تعالى**: صح عنه أنه كان إذا حدث عن عائشة قال: حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله، المبرأة من فوق سبع سموات.

* **قول مقاتل رحمه الله تعالى**: قد تقدم قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿وهو معكم﴾ [قال: هو على العرش، وهو معهم بعلمه]، ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره.

* **قول عبيد بن عمير رحمه الله تعالى**: ذكر عبد الله بن أحمد في كتاب «السنة» من رواية حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، قال: ينزل الرب عز وجل شطر الليل إلى السماء فيقول: «من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له، حتى إذا كان الفجر صعد الربُّ ـ عزّ وجل ـ». / ٦٣/أ

* **قول كعب الأحبار رحمه الله تعالى**: روى أبو الشيخ الأصبهاني في «كتاب العظمة» عنه بإسناد صحيح أنه أتاه رجل فقال: يا أبا إسحاق، حدثني عن الجبار ـ جل جلاله ـ، فأعظم القوم ذلك، فقال كعب: دعوا الرجل فإنه إن كان جاهلاً تعلّم، وإن كان عالماً ازداد علماً، ثم قال كعب: أخبرك أنّ الله خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن، ثم جعل مابين كل سماءين كما بين سماء الدنيا والأرض، وجعل كثفها مثل ذلك، ثم رفع العرش فاستوى عليه، فما من السموات سماء إلا لها أطيط كأطيط الرحل أول ما يرتحل من ثقل الجبار فوقهن[1].

وروى أبو نعيم في كتاب «حلية الأولياء» بإسناده عن كعب الأحبار قال: للذكر دوي حول العرش كدوي النحل يذكر بصاحبه[2].

وذكر عثمان بن سعيد الدارمي حدثنا أبو الربيع حدثنا جرير بن عبد الحميد عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارس عن كعب قال: ما ذكر الله إلى الجنة إلا قال: طيبي لأهلك، فزادت طيباً عليماً كانت، وما من يوم كان عيداً في الدنيا إلا يخرجون في مقداره إلى رياض الجنة، [ويبرز لهم الرب ينظرون إليه]، وتسقى عليهم الريح بالطيب والمسك فلا يسألون ربهم شيئا إلا أعطاهم فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا على ماكانوا عليه من الحسن

---

(١) «العظمة» ص ١١٩ رقم (٢٣٦).

(٢) «الحلية» ٦/٤ ـ ٥ قال: حدثنا أبو محمد بن حبان، ثنا أبو خليفة، ثنا أبو الوليد الطيالسي عن حماد عن ثابت عن مطرف عن كعب...

والجمال سبعين ضعفاً[1].

عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن كعب قال في التوراة: أنا الله فوق عبادي وعرشي فوق جميع خلقي وأنا على عرشي أدبر أمور عبادي ولا يخفى علي شيء في السماء ولا في الأرض». رواه أبو الشيخ وابن بطة وغيرهما بإسناد صحيح عنه.

وروى أبو نعيم في كتاب «حلية الاولياء» بإسناده عن كعب قال: «قال الله تعالى: أنا الله فوق عبادي وعرشي فوق جميع خلقي، وأنا على عرشي أدبر أمر عبادي لايخفي علي شيء من أمر عبادي في سمائي وأرضي، وإن حجبوا عني فلا يغيب عنهم علمي، أغفر لمن شئت منهم بمغفري، وأعذب من شئت بعقابي»[2].

* **قول بشر بن عمر شيخ إسحاق رحمهما الله تعالى:** عن جماعة ممن لقيهم من المفسرين. قال إسحاق بن راهويه، أخبرنا بشر بن عمر قال: سمعت غير واحد من المفسرين يقول: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾: أي ارتفع.

* **قول نوف البكالي رحمه الله تعالى:** روى عنه عبد الله بن عمرو أنه قال: ذكر لنا أن الله قال للملائكة: ادعوا إليّ عبادي، فقالوا: يا رَب! فكيف والسموات السبع دونهم والعرش فوق ذلك؟ قال: إنهم إذا قالوا: لا إله إلا الله، فقد استجابوا. رواه/ الدارمي عنه. ٦٣/ب

* **قول يحيى بن رافع رحمه الله تعالى:** قال أبو الشيخ في «كتاب العظمة»: حدثنا الوليد بن أبان، حدثنا أبو حاتم، حدثنا نعيم [بن حماد حدثنا

---

(١) الرد على الجهمية» ص (١٠٣) رقم (٢٠١) في اسناده يزيد بن أبي زياد الهاشمي وهو ضعيف. ما بين الحاصرتين من «الرد على الجهمية» ص ١٠٣

(٢) «الحلية» ٦/٧ قال: حدثنا عبد الله بن محمد، ثنا الحسن بن علي بن نصر، ثنا محمد بن اسماعيل السليمي، ثنا نعيم بن حماد ثنا أبو صفوان الأموي، عن يونس بن يزيد عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن كعب.

ابن] المبارك، حدثنا سفيان، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي عيسى: أن ملكاً لما استوى الرب على كرسيه سجد، فلم يرفع رأسه ولا يرفعه حتى تقوم الساعة، فيقول يوم القيامة: سبحانك، لم أعبدك حق عبادتك.[1] وهذا الإسناد كلهم أئمة ثقات. ورواه أبو أحمد العسال في «كتاب المعرفة» وأبو عيسى هو يحيى بن رافع من قدماء التابعين ذكرناه ها هنا وإن لم يكن مشهوراً بالتفسير.

* **قول عباس القمي رحمه الله تعالى**: وإن لم يكن من المشهورين بالتفسير، روى ابن أبي شيبة في كتاب «العرش» بإسناد صحيح عنه، قال: بلغني أنّ داودَ كان يقول في دعائه: اللهم أنت ربي تعاليت فوق عرشك وجعلت خشيتك على من في السموات والأرض.

* **قول محمد بن إسحاق الإمام في الحديث والتفسير والمغازي رحمه الله**: قال: بعث الله ملكاً من الملائكة إلى بختنصر قال: هل تعلم يا عدو الله كم بين السماء والأرض؟ قال: لا. قال: بين السماء إلى الارض مسيرة خمسمائة سنة وغلظها مثل ذلك، وذكر الحديث إلى أن ذكر حملة العرش. قال: وفوقهم العرش عليه ملك الملوك تبارك وتعالى. أي عدو الله فأنت تطلع إلى ذلك، ثم بعث الله عليه البعوضة فقتلته. رواه أبو الشيخ في «كتاب العظمة» بإسناد جيد إلى ابن إسحاق.

* **قول الإمام محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى**: قد تقدم من قوله ما فيه كفاية، وقد قال في تفسيره في قوله عز وجل: ﴿ثم استوى على العرش الرحمن﴾ أي: علا وارتفع.

* **قول الحسين بن مسعود البغوي رحمه الله تعالى**: محيي السنة الذي

---

(١) «العظمة» ص (١٢٨) رقم (٢٥٦).
(٢) «العظمة» ص (٢٥٠) رقم (٥٧٣).

أجمعت الأمة على تلقّي تفسيره بالقبول وقراءته على رؤوس الأشهاد من غير نكير، وقد أسلفنا قوله عند ذكر أصحاب الشافعي وإنكاره على من يقول: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ بمعنى استولى، وأن هذا مذهب الجهمية والمعتزلة.

*** قول أبي عبد الله القرطبي المالكي صاحب التفسير المشهور رحمه الله:** ذكر قول المتكلمين الذين يقولون: إذا وجب تنزيه الباري عن الحيز فمن ضرورة ذلك تنزيهه عن الجهة، فليس بجهة فوق عندهم، لما يلزم عن المكان والحيز من الحركة والسكون والتغيير والحدوث.

قال: هذا قول المتكلمين، ثم قال: وقد كان السلف الأول ـ رضي الله عنهم ـ لا يقولون بنفي الجهة، ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والعامة بإثباتها [لله،] كما نطلق كتابه، وأخبرت به رسله، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة. وإنما/ جهلوا كيفية الاستواء، فإنه لا يعلم حقيقته كما قال مالك: الاستواء معلوم ـ يعني في اللغة، والكيف مجهول والسؤال عن هذا بدعة، هذا لفظه في تفسيره، وهو من فقهاء المالكية وعلمائهم. ٦٤/أ

أقوال أئمة اللغة العربية الذين يحتج بقولهم فيها

*** ذكر قوله أبي عبيدة معمر بن المثنى:**

ذكر البغوي عنه في «معالم التنزيل» في قوله تعالى: ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ [البقرة: ٢٩] قال أبو عبيدة: صعد، وحكاه عنه ابن جرير عند قوله تعالى: ﴿ثم اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٥٩].

*** قول يحيى بن زياد الفراء:** إمام أهل الكوفة قال في قوله تعالى:

﴿الرّحْمٰنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوى﴾ [طه: ٥]: أي: صعد، قاله ابن عباس، قال: وهو كقولك للرجل كان قاعداً فاستوى قائماً، وكان قائماً فاستوى قاعداً. ذكره البيهقي عنه في «الاسماء والصفات».

قلت: مراد الفراء اعتدال القائم والقاعد في صعوده عن الأرض.

* **قول أبي العباس ثعلب**: روى الدارقطني عن إسحاق الكلابي قال: سمعت أبا العباس ثعلب يقول: استوى على العرش: علا، واستوى الوجه: اتصل، واستوى القمر: امتلأ، واستوى زيد وعمرو: تشابها، واستوى إلى السماء: أقبل، هذا الذي يُعرف من كلام العرب.

* **قول أبي عبد الله محمد بن الأعرابي**: قال ابن عرفة في كتاب «الرد على الجهمية»، حدثنا داود بن علي قال: كنا عند ابن الأعرابي، فأتاه رجل فقال: ما معنى قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾؟ [طه: ٥]. قال: هو على عرشه كما أخبر. فقال: يا أبا عبد الله! إنما معناه استولى. فقال: اسكت، لا يقال: استولى على الشيء أو يكون له مضاد، فإذا غلب أحدهما قيل: استولى كما قال النابغة:

إلا لمثْلكَ أَوْ مَنْ أَنْتَ سَابِقُهُ
سَبْقَ الجَوادَ إذا استَوْلَى عَلَى الأَمَدِ

قال محمد بن النضر: سمعت ابن الأعرابي صاحب اللغة يقول: أرادني ابن أبي دؤاد أن أطلب له في بعض لغات العرب ومعانيها: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥] استوى: بمعنى استولى، فقلت له: والله لا يكون هذا ولا وجدته.

* **قول الخليل بن أحمد شيخ سيبويه**: ذكر أبو عمر ابن عبد البر عنه في «التمهيد» قال الخليل بن أحمد: استوى إلى السماء: ارتفع إلى السماء.

* **قول إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي المعروف بنفطويه**: له كتاب في الرد على الجهمية أنكر فيه أن يكون استوى بمعنى استولى، وحكى فيه عن ابن الأعرابي ما قدمنا حكايته عنه. قال: سمعت داود بن علي يقول: كان المريسي ـ لا رحمه الله ـ يقول: سبحان ربي الأسفل، وهذا جهل من قائله، ورَدّ لنص كتاب الله/ إذ يقول الله سبحانه: ﴿أأمِنْتُم منْ في السّماء﴾ [الملك: ١٦]. ٦٤/ب

ورحمه الله لقد ليّن القول في المريسي صاحب هذا التسبيح، ولقد كان جديراً بما هو أليق به من الجهل.

* **قول الاخفش**: قال الأزهري في كتاب «التهذيب» له في قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥]: قال الأخفش: استوى أي: علا، يقال: استويت فوق الدابة وعلى ظهر البيت: أي علوته.

أقوال الزهّاد والصوفية أهل الاتباع وسلفهم

* **قول ثابت البناني شيخ الزهاد رحمه الله تعالى:**

قال محمد بن عثمان في «رسالته»: صحّ عنه أنه قال: كان داود عليه السلام يطيل الصلاة، ثم يركع، ثم يرفع رأسه إلى السماء، ثم يقول: إليك رفعت رأسي نظر العبيد إلى أربابها يا ساكن السماء، رواه اللالكائي بإسناد صحيح عنه، ورواه الامام أحمد [أيضا] في «كتاب الزهد». فهذا الرفع إن كان في الصلاة فهو منسوخ بشرعنا، وإن كان بعد الصلاة فهو جائز كرفع اليدين في الدعاء إلى الله ـ عز وجل ـ.

* **قول مالك بن دينار رحمه الله تعالى:**

قد أسلفنا عنه أنه كان يقول: خذوا، فيقرأ، ثم يقول: اسمعوا إلى قول

الصادق من فوق عرشه. رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» بإسناد صحيح عنه.

وروى ابن أبي الدنيا عنه قال: قرأت في بعض الكتب: إن الله تعالى يقول: يا ابن آدم خيري ينزل إليك، وشرك يصعد إليَّ، وأتحبب إليك بالنعم وتتبغض إليَّ بالمعاصي، ولا يزال ملك كريم يعرج إليَّ منك بعمل قبيح.

*** قول سليمان التيمي رحمه الله تعالى:**

قال البخاري في كتاب «خلق أفعال العباد»: قال ضمرة بن ربيعة، عن صدقة، عن سليمان سمعته يقول: لو سئلت: أين الله؟ لقلت: في السماء، ولو سئلت: أين كان العرش قبل السماء؟ لقلت: على الماء، ولو سئلت أين كان قبل الماء؟ لقلت: لا أدري.

*** قول شريح بن عبيد رحمه الله تعالى:**

روى عنه أبو الشيخ بإسناد صحيح أنه كان يقول: ارتفع إليك ثغاء التسبيح وصعد إليك وقار التقديس، سبحانك ذا الجبروت، بيدك الملك والملكوت والمفاتيح والمقادير.

*** قول عبيد بن عمير رحمه الله تعالى:**

روى عبد الله بن أحمد في «كتاب السنة» له من حديث حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير أنه قال: ينزل الرب عز وجل شطر الليل إلى سماء الدنيا ويقول: «من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له حتى إذا كان الفجر صعد الرّب ـ عز وجل».

*** قول الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى:**

قال الأثرم في «كتاب السّنة»: حدثنا/ إبراهيم بن الحارث ـ يعني: العبادي ـ، حدثني الليث بن يحيى قال: سمعت إبراهيم بن الأشعث قال أبو بكر صاحب الفضيل: سمعت الفضيل بن عياض يقول: ليس لنا أن نتوهم في ٦٥/أ

الله كيف وكيف، لأن الله وصف نفسه فأبلغ فقال: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ* اللهُ الصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ ولَمْ يُولَدْ* ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [سورة الاخلاص]. فلا صفة أبلغ مما وصف الله به نفسه، وكذا النزول والضحك والمباهاة والاطلاع، كما شاء أن ينزل، وكما شاء أن يباهي، [وكما شاء أن يطلع]، وكما شاء أن يضحك، فليس لنا أن نتوهم كيف وكيف، وإذا قال لك الجهمي: أنا أكفر برب يزول عن مكانه، فقلت أنت: أنا أؤمن بربّ يفعل ما يشاء.

وقد ذكر هذا الكلام الأخير عن الفضيل البخاري في كتاب «خلق الافعال» [فقال:]: وقال الفضيل بن عياض: إذا قال لك الجهمي... فذكر قول يحيى بن معاذ الرازي قال: الله تعالى على العرش بائن من الخلق قد أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً ولايشك في هذه المقالة إلا جهمي رديء ضليل وهالك مرتاب: يمزج الله بخلقه، ويخلط منه الذات بالأقذار والأنتان.

*** قول عطاء السلمي رحمه الله تعالى:**

ثبت أنه كان لا يرفع رأسه إلى السماء، حياءً من الله ـ عز وجل ـ. ومن هذا نهي النبي ﷺ المصلي عن رفع بصره إلى السماء تأدباً مع الله ـ عز وجل ـ، وإطراقاً بين يديه، وإجلالاً له، كما يقف العبيد بين يدي الملوك، ولا يرفعون رؤوسهم إليهم إجلالاً لهم، فإذا ضمّ هذا إلى رفع الأيدي في الرغبات والرهبات وتوجه القلوب إلى العلو دون اليمنة واليسرة والخلف والأمام، أفاد العلم بأن هذا فطرة الله التي فطر الناس عليها.

*** قول أبي عبيدة الخواص رحمه الله تعالى:**

ذكر أبو نعيم، وابن الجوزي عنه: أنه مكث كذا وكذا سنة لم يرفع رأسه إلى السماء حياء من الله عز وجل.

* قول بشر الحافي رحمه الله تعالى:

صح عنه أنه قال: إني لأرفع يدي إلى الله عز وجل ثم أردهما، وأقول: إنما يفعل هذا من له حاجة عنده.

* قول ذي النون المصري رحمه الله تعالى:

روى أبو الشيخ في «كتاب العظمة» بإسناده عنه قال: أشرقت لنوره السموات وأنار بوجهه الظلمات، وحجب جلاله عن العيون، وناجاه على عرشه ألسنة الصدور.

فإن قيل: فقد نقل القشيري عن ذي النون أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥] فقال: أثبت ذاته ونفى مكانه وهو موجود بذاته والأشياء موجودة بحكمته كما شاء؟

قيل: القشيري لم يذكر لهذه الحكاية إسناداً وما ذكرناه مسند عنه، وفي كتب التصوف من الحكايات المكذوبة ما الله به عليم.

قال شيخ الإسلام: وهذا النقل باطل، فإنّ هذا [الكلام] ليس/ فيه مناسبة للآية، بل هو مناقض لها، فإن هذه الآية لم تتضمن إثبات ذاته ونفي مكانه بوجه من الوجوه، فكيف يفسر بذلك؟!. قال: وأما قوله: (هو موجود بذاته والأشياء موجودة بحكمته) فحق، [ولكن] ليس هو معنى الآية. ٦٥/ب

* قول الحارث بن أسد المحاسبي رحمه الله تعالى:

قال: وأما قوله: ﴿الرَّحْمٰن على العَرش استوى﴾ [طه: ٥]، ﴿وهُوَ القَاهرُ فَوقَ عِباده﴾ [الانعام: ١٨]، ﴿أأمِنْتُم مَنْ في السّماء﴾ [الملك: ١٦]، ﴿إذاً لا بتَغَوا إلى ذي العَرْش سَبيلاً﴾ [الاسراء: ٤٢]. فهذه وغيرها مثل قوله: ﴿تعْرجُ المَلائِكةُ والرُّوح إليْه﴾ [المعارج: ٤]. ﴿إلَيْه يَصْعَدُ الكَلِمُ الطّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] وهذا توجب أنه فوق العرش، وفوق الأشياء كلها، متنزه عن الدخول في خلقه، لا يخفى

عليه منهم خافية، لأنه أبان في هذه الآيات أنه أراد أنه بنفسه فوق عباده لأنه قال: ﴿أأمِنْتُم مَنْ في السّماء أنّ يخسِفَ بِكُمُ الأرْضَ﴾ [الملك: ١٦] يعني: فوق العرش، والعرش على السماء، لأن من كان فوق كل شيء على السماء في السماء، وقد قال: ﴿فَسيحُوا في الأرْضِ أرْبَعَة أشْهُرٍ﴾ [التوبة: ٢] يعني: على الأرض، لا يريد الدخول في الأرض.

وكذلك قوله: ﴿يَتِيهُون في الأرْضِ﴾ [المائدة: ٢٦]، يعني: على الأرض، وكذلك قوله تعالى: ﴿لأصَلِّبَنّكُم في جُذُوعِ النّخْلِ﴾ [طه: ٧١] يعني: فوقها عليها. وقال في موضع آخر: فبين عروج الأمر وعروج الملائكة، ثم وصف وقت عروجها بالارتفاع صاعدة إليه فقال: ﴿في يَومٍ كانَ مِقْدارُه﴾ [السجدة: ٥]. فذكر صعودها إليه ووصولها بقوله إليه كقول القائل: اصعد إلى فلان في ليلة أو يوم، وذلك أنه في العلو وأن صعودك إليه في يوم، فإذا صعدوا إلى العرش، فقد صعدوا إلى الله ـ عز وجل ـ، وإن كانوا لم يروه ولم يساووه في الارتفاع في علوه، فإنهم صعدوا من الأرض، وعرجوا بالأمر إلى العلو الذي الله تعالى فوقه، وقال تعالى: ﴿بَلْ رفَعَهُ الله إلَيْه﴾ [النساء: ١٥٨]. ولم يقل عنده، وقال فرعون: ﴿يا هَامانُ ابْنِ لي صَرْحاً لَعَلِّي أبْلُغَ الاسْبابَ* أسْبَاب السّمَواتِ فأطّلِع إلى إله مُوسى﴾. ثم استأنف وقال: ﴿وإنِّي لأظنّه كاذباً﴾ [غافر: ٣٦ ـ ٣٧] يعني: فيما قال: أن إلهه فوق السموات، فبين الله ـ عز وجل ـ أن فرعون ظنّ بموسى أنه كاذب فيما قال له، وعمد إلى طلبه حيث قال له مع الظن بموسى أنه كاذب، ولو أن موسى قال: إنه في كل مكان بذاته، لطلبه في نفسه، فتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

*** قول إمام الصوفية في وقته، الإمام العارف أبو عبد الله محمد بن عثمان المكي رحمه الله تعالى:**

قال في «كتابه آداب المريدين والتعرف لأحوال العبادة» في باب ما يجيء

به الشيطان للتائبين من الوسوسة: وأما الوجه الثالث الذي يأتي به الناس إذا هم امتنعوا عليه واعتصموا بالله، فإنه يوسوس لهم/ في أمر الخالق ليفسد عليهم ٦٦/أ أصول التوحيد.. وذكر كلاماً طويلاً إلى أن قال: فهذا من أعظم ما يوسوس به من التوحيد بالتشكيك، أو في صفات الرب التشبيه والتمثيل، أو بالجحد لها والتعطيل، وأن يدخل عليهم مقاييس عظمة الرب بقدر عقولهم فيهلكوا [إن قبلوا] أو يضعضع أركانهم إن لم يلجأوا في ذلك إلى العلم وتحقيق المعرفة بالله - عز وجل - من حيث أخبر عن نفسه، ووصف به نفسه، ووصفه به رسوله، فهو تعالى القائل: أنا الله، لا الشجرة، الجائي هو، لا أمره. المستوى على عرشه بعظمته وجلاله دون كل مكان، الذي كلم موسى تكليماً، وأراه من آياته عظيماً، فسمع موسى كلام الله الوارث لخلقه، السميع لأصواتهم، الناظر بعينه إلى أجسامهم. يداه مبسوطتان، وهما غير نعمته وقدرته وخلق آدم بيده... ثم ساق كلاماً طويلاً في السنة، وهو رحمه الله من نظراء الجنيد، وأعيان مشايخ القوم. توفي سنة إحدى وتسعين ومائتين ببغداد.

*** قول الشيخ أبي جعفر الهمداني الصوفي رحمه الله تعالى:**

ذكر محمد بن طاهر المقدسي محدّث الصوفية في كتابه عنه أنه حضر مجلس أبي المعالي الجويني وهو يقول: كان الله ولا عرش وهو الآن على ما [كان] عليه، وكلاماً من هذا المعنى. فقال: يا شيخ! دعنا من ذكر العرش أخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا، فإنه ما قال عارف قط: يا الله، إلا وجد من قلبه ضرورة بطلب العلو، ولا يلتفت يمنة ولا يسرة، فكيف تدفع هذه الضرورة عن قلوبنا؟ قال: فصرخ أبو المعالي ولطم على رأسه وقال: حيّرني الهمداني حيرني الهمداني.

*** قول الإمام العارف معمر بن أحمد الأصبهاني رحمه الله تعالى:**

شيخ الصوفية في أواخر المائة الرابعة. قال في رسالة له:

أحببت أن أوصي أصحابي بوصية من السّنة، وموعظة من الحكمة،

وأجمع ما كان عليه أهل الحديث والأثـر، وأهل المعـرفة والتصـوف من المتقدمين والمتأخرين. قال فيها: وإن الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل، والاستواء معقول، والكيف مجهول، وأنه ـ عز وجل ـ بائن من خلقه، والخلق بائنون منه بلا حلول ولا ممازجة، ولا اختلاط ولا ملاصقة، لأنه الفرد البائن من الخلق، الواحد الغني عن الخلق، وأن الله سميع بصير، عليم خبير، يتكلم ويرضى ويسخط ويضحك ويعجب، ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكاً، وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف شاء، فيقول: «هل من داع فأستجيب له، هل من تائب فأتوب عليه، حتى يطلع الفجر» ونزول الرب/ إلى السماء بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل، فمن أنكر النزول أو تأول فهو ضال مبتدع.

٦٦/ب

*** قول الشيخ الإمام العارف قدوة العارفين الشيخ عبد القادر الجيلاني قدّس الله روحه:**

قال في كتابه «تحفة المتقين وسبيل العارفين» في باب اختلاف المذاهب في صفات الله ـ عز وجل ـ، ذكر اختلاف الناس في الوقف عند قوله: ﴿وما يعْلَمُ تأويلَه إلاَّ الله﴾ [آل عمران: ٧] والراسخون في العلم إلى أن قال: والله تعالى بذاته فوق العرش وعلمه محيط بكل مكان، والوقف عند أهل الحق على قوله: (إلا الله). وقد روي ذلك عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وهذا الوقف حسن لمن اعتقد أن الله بذاته فوق العرش، ويعلم ما في السموات والأرض. إلى أن قال: ووقف جماعة من منكري استواء الرب ـ عز وجل ـ على قوله: ﴿الرَّحْمٰنُ على العرش﴾ [طه: ٥]. وابتدأوا بقوله: ﴿استوى له ما في السموات وما في الارض﴾ يريدون بذلك نفي الاستواء الذي وصف به نفسه، وهذا خطأ منهم، لأن الله تعالى استوى على العرش بذاته.

وقال في كتاب «الغنية»: أما معرفة الصانع بالآيات والدلالات على وجه الاختصار، فهو أن تعرف وتتيقن أن الله واحد أحد... إلى أن قال: وهو بجهة

العلو مستو على العرش، محتو على الملك، محيط علمه بالأشياء: ﴿إليْه يصْعدُ الكلِمُ الطّيِّبُ والعمل الصالح يرفعُه﴾ [فاطر: ١٠]. ﴿يُدَبِّرُ الأمْرَ منَ السّماء إلى الأرض ثمّ يعْرُجُ إليْهِ في يوْمٍ كانَ مِقْدارُه ألْفَ سنةٍ ممّا تعُدّون﴾ [السجدة: ٥]. فلا يجوز وصفه بأنه في كل مكان، بل يقال: إنه في السماء على العرش استوى، قال الله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥].

وساق آيات وأحاديث ثم قال: وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وأنه استواء الذات على العرش، ثم قال: وكونه على العرش مذكور في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل بلا كيف. هذا نص كلامه في «الغنية».

* **قول عبد الله بن خفيف الشيرازي رحمه الله تعالى**: إمام الصوفيّة في وقته. قال في كتابه الذي سمّاه «اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات». قال في آخر خطبته:

فاتفقت أقوال المهاجرين والأنصار في توحيد الله ومعرفة أسمائه وصفاته وقضائه وقدره قولاً واحداً وشرطاً ظاهراً، وهم الذين يقولون عن رسول الله ﷺ ذلك حين قال: «عليكم بسنتي»[1] فكانت كلمة الصحابة على الاتفاق من غير اختلاف، وهم الذين أمرنا بالأخذ عنهم، إذ لم يختلفوا بحمد الله في أحكام التوحيد، وأصول الدين من الأسماء/والصفات، كما اختلفوا في الفروع، ولو كان منهم في ذلك اختلاف لنقل إلينا كما نقل إلينا سائر الاختلاف، ثم ذكر حديث: «يلقى في النار وتقول: هل من مزيد حتى يضع الجبار فيها رجله»[2]. وحديث: «الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره إلا الله»[3]. ثم ذكر

٦٧/أ

---

(١) أبو داود رقم (٤٦٠٧)، والترمذي رقم (٢٤٧٨)، وأحمد ٤/١٢٦ - ٢٧)، والدارمي رقم (٩٦)، وابن ماجه رقم (٤٣ و٤٤)، والحاكم ١/٩٥و٩٧، من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه وهو حديث صحيح. انظر «الإرواء» رقم (٢٤٥٥).

(٢) تقدم تخريجه ص (١٢٢) رقم (١)

(٣) صححه الحاكم ٢/٢٨٢ ووافقه الذهبي.

حديث: الصورة، إلى أن قال: ونعتقد أن الله قبض قبضتين فقال: هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار[1]، إلى أن قال: ومما نعتقد أن الله ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا في ثلث الليل الأخير فيبسط يديه ويقول: «هل من سائل» الحديث[2]، وليلة النصف من شعبان وعشية عرفة، وذكر الحديث في ذلك، [ونعتقد أن الله يتولى حساب الخلق بنفسه]، ونعتقد أن الله خص محمداً ﷺ بالرؤية واتخذه خليلاً.

*** قول شيخ الإسلام أبي إسماعيل عبد الله الأنصاري رحمه الله تعالى:**

صاحب كتاب «منازل السائرين» و«الفاروق» و«ذم الكلام» وغيره، صرّح في كتابه بلفظ الذات في العلو، وأنه استوى بذاته على عرشه قال: ولم تزل أئمة السلف تصرح بذلك. ومن أراد صلابته في السّنة والإثبات، فليطالع كتابيه «الفاروق»، و«ذم الكلام».

*** قول شيخ الصوفية والمحدثين أبي نعيم صاحب كتاب «حلية الأولياء»:**

قال في «عقيدته»: وإن الله سميع بصير، عليم خبير، يتكلّم ويرضى، ويسخط ويضحك [ويعجب]، ويتجلّى لعباده يوم القيامة ضاحكاً، وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف يشاء فيقول: «هل من داع فأستجيب له، هل من مستغفر فأغفر له، هل من تائب فأتوب عليه، حتى يطلع الفجر»، ونزول الرب تعالى إلى سماء الدنيا بلا كيف ولا تشبيه ولاتأويل، فمن أنكر النزول أو تأوّل فهو مبتدع ضالّ، وسائر الصفوة العارفين على هذا.

ثم قال: وإن الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل، فالاستواء معقول، والكيف مجهول، وأنه سبحانه بائن من خلقه وخلقه بائنون منه بلا حلول ولا ممازجة ولا اختلاط ولا ملاصقة، لأنه الفرد البائن من الخلق،

---

(١) تقدم تخريجه ص (١٢٨) رقم (٢).

(٢) تقدم تخريجه ص (١٠٢) رقم (١).

الواحد الغني عن الخلق. وقال أيضاً: طريقنا طريق السلف المتبعين للكتاب والسّنة وإجماع الأمة... وساق ذكر اعتقادهم، ثم قال: وإن مما اعتقدوه أن الله في سمائه دون أرضه... وساق بقيته.

* **قول الامام يحيى بن عمار السجزي رحمه الله تعالى:**

شيخ أبي إسماعيل الأنصاري، إمام الصوفية في وقته. قال في رسالته في السّنة بعد كلام: بل نقول هو بذاته على العرش، وعلمه محيط بكل شيء، وسمعه وبصره وقدرته مدركة لكل شيء، / وهو معنى قول الله تعالى: ﴿وهو معكم﴾. ورسالته موجودة مشهودة. ٦٧/ب

* **قول عتبة العلام:** قال محمد بن فهد المديني: كان عتبة يصلي هذا الليل الطويل، فإذا فرغ رفع رأسه إلى السماء، وقال: سيدي إن تعذبني فإني أحبك وإن تعف عني فإني أحبك.

أقوال الشارحين لأسماء الله الحسنى

* **قول القرطبي في «شرحه»:** قال: وقد كان الصدر الأول لا ينفون الجهّة بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى، كما نطق كتابه وأخبر رسوله ﷺ، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على العرش حقيقة، وخص العرش بذلك دون غيره، لأنه أعظم مخلوقاته، وإنما جهلوا كيفية الاستواء، فإنه لا يعلم حقيقته، كما قال مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عن الكيف بدعة، وكذلك قالت أم سلمة. ثم ذكر كلام أبي بكر الحضرمي في رسالته التي سمّاها ـ بـ «الإيمان إلى مسألة الاستواء ـ» وحكايته عن القاضي عبد الوهاب: إنه استواء الذات على العرش، وذكر أن ذلك قول القاضي أبي بكر بن الطيّب الأشعري كبير الطائفة، وأن القاضي

عبد الوهاب نقله عنه نصاً، وأنه قول الأشعري وابن فورك في بعض كتبه، وقول الخطابي وغيره من الفقهاء والمحدّثين.

قال القرطبي: وهو قول أبي عمر ابن عبد البر والطلمنكي وغيرهمامن الأندلسيين، ثم قال بعد أن حكى أربعة عشر قولاً: وأظهر الأقوال ما تظاهرت عليه الآي والآخبار، قالت الفضلاء الأخيار: إن الله على عرشه كما أخبر في كتابه وعلى لسان نبيه بلا كيف بائن من جميع خلقه. هذا مذهب السلف الصالح فيما نقل عنهم الثقات.

أقوال أئمة الكلام من أهل الإثبات المخالفين للجهمية والمعتزلة والمعطلة

*** قول الإمام أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب:**

إمام الطائفة الكلابية، كان من أعظم أهل الإثبات للصفات والفوقية وعلو الله على عرشه منكراً لقول الجهمية، وهو أول من عُرف عنه إنكار قيام الأفعال الاختيارية بذات الرب تعالى، وأن القرآن معنى قائم بالذات وهو أربع معان، ونصر طريقته أبو العباس القلانسي، وأبو الحسن الاشعري، وخالفه في بعض الأشياء، ولكنه على طريقته في إثبات الصفات والفوقية وعلو الله على عرشه كما سيأتي حكاية كلامه بألفاظه.

قال ابن كلاب في بعض كتبه: وأخرج من الأثر والنظر من قال: إن الله سبحانه لا داخل في العالم ولا خارجه. حكاه عنه شيخ الإسلام في عامة كتبه الكلامية. / ٦٨/أ

وحكى أبو الحسن الأشعري أنه كان يقول: إن الله مستوٍ على عرشه كما قال، وأنه فوق كل شيء، هذا لفظ حكاية الأشعري عنه.

وحكى عنه أبو بكر ابن فورك فيما جمعه من مقالاته في كتاب المجرد: وأخرج من النظر والخبر قول من قال: لا هو في العالم ولا خارجاً منه، فنفاه نفياً مستوياً لأنه لو قيل له: صفة بالعدم، ما قدر أن يقول أكثر من هذا. وردّ أخبار الله نصاً، وقال في ذلك ما لا يجوز في نص ولا معقول، وزعم أن هذا هو التوحيد الخالص، والنفي الخالص عندهم هو الإثبات الخالص، وهم عند أنفسهم قياسيون.

قال: فإن قالوا هذا إفصاح منكم بخلو الأماكن منه، وإنفراد العرش به.

قيل: إن كنتم تعنون خلو الأماكن من تدبيره وإنه غير عالم بها فلا، وإن كنتم تريدون خلوه من استوائه عليها كما استوى على العرش، فنحن لا نحتشم أن نقول: استوى الله على الأرض، واستوى على الجدار وفي صدر البيت.

قال ابن كلاب: فقال لهم: أهو فوق ما خلق؟ فإن قالوا: نعم. قيل لهم: ما تعنون بقولكم فوق ما خلق؟ فإن قالوا: بالقدرة والعزة. قيل لهم: ليس هذا سؤالنا، وإن قالوا: المسألة خطأ. قيل لهم: أفليس هو فوق؟ فإن قالوا: نعم ليس هو فوق. قيل لهم: وليس هو تحت، فإن قالوا: لا فوق ولا تحت، أعدموه لأن ما كان لا تحت ولا فوق عدم، وإن قالوا: هو تحت وهو فوق قيل لهم: فيلزم أن يكون تحت وفوق وفوق وتحت. ثم بسط الكلام في استحالة نفي المباينة والمماسة عنه بالعقل، وأن ذلك يلحقه بالعدم المحض، ثم قال: ورسول الله ﷺ، وهو صفوة الله من خلقه، وخيرته من بريته أعلمهم بالأين، واستصوب قول القائل: إنه في السماء، وشهد له بالإيمان عند ذلك، وجهم ابن صفوان وأصحابه لا يجيزون الأين بزعمهم ويحيلون القول به.

قال: ولو كان خطأ لكان رسول الله ﷺ أحق بالإنكار له، وكان ينبغي أن يقول لها: لا تقولي ذلك، فتوهمي أنه محدود، وأنه في مكان دون مكان، ولكن قول: إنه في كل مكان، لأنه هو الصواب دون ما قلت! كلا، فلقد أجازه

رسول الله ﷺ مع علمه بما فيه، وأنه من الإيمان بل الأمر الذي يجب به الإيمان لقائله، ومن أجله شهد لها بالإيمان حين قالته، وكيف يكون الحق في خلاف ذلك، والكتاب ناطق بذلك وشاهد له، ولو لم يشهد لصحة الجماعة في هذا خاصة إلا ما ذكرنا/ من هذه الأمور لكان فيه ما يكفي، كيف وقد غرس في نيته الفطرة ومعارف الآدميين من ذلك ما لا شيء أبين منه ولا أؤكد، لأنك لا تسأل أحداً من الناس عنه عربياً ولا عجمياً ولا مؤمناً ولا كافراً فتقول: أين ربك؟ إلا قال: في السماء. أفصح أو أومأ بيده أو أشار بطرفه، إن كان لا يفصح ولا يشير إلى غير ذلك من أرض ولاسهل ولا جبل، ولا رأينا أحداً إذا عنّ له دعاء إلا رافعاً يده إلى السماء، ولا وجدنا أحداً غير الجهمية يُسأل عن ربه، فيقول: في كل مكان، كما يقولون، وهم يدّعون أنهم أفضل الناس كلهم، فتاهت العقول، وسقطت الأخبار، واهتدى جهم وخمسون رجلاً معهم. نعوذ بالله من مضلّات الفتن هذا آخر كلامه.

٦٨/ب

*** قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله:**

ولما رجع الأشعري عن مذهب المعتزلة سلك طريق ابن كلاب، ومال في أهل السنّة والحديث، وانتسب إلى الإمام أحمد كما قد ذكر ذلك في كتبه كلها كالإبانة والموجز والمقالات وغيرها، وكان القدماء من أصحاب أحمد كأبي بكر [بن] عبدالعزيز، وأبي الحسين التيمي، وأمثالهما يذكرونه في كتبهم على طريق الموافق للسنّة في الجملة، ويذكرون ردّه على المعتزلة، وأبدى تناقضهم، ثم ذكر ما بين الأشعري، وقدماء أصحابه، وبين الحنابلة من التآلف لا سيما بين القاضي أبي بكر بن الباقلاني، وبين أبي الفضل التيمي، حتى كان إبن الباقلاني يكتب في أجوبته في المسائل كتبه محمد بن الطيب الحنبلي، ويكتب أيضاً الأشعري.

قال: وعلى العقيدة التي صنفها أبو الفضل التميمي اعتمد البيهقي في الكتاب الذي صنفه في مناقب أحمد لما ذكر عقيدة أحمد. قال: وأما ابن حامد

وابن بطة وغيرهما، فإنهم مخالفون لأصل قول ابن كلاب. قال: والأشعري وأئمة أصحابه كابن الحسن القطبري. وأبي عبد الله بن المجاهد والقاضي أبي بكر متفقون على إثبات الصفات الخبرية التي ذكرت في القرآن، كالاستواء والوجه واليدين، وإبطال تأويلها، وليس للأشعري في ذلك قولان أصلاً، ولم يذكر أحد عن الأشعري في ذلك قولين، ولكن لأتباعه قولان في ذلك، ولأبي المعالي الجويني في تأويلها قولان، أولها في «الإرشاد»، ورجع عن التأويل في «الرسالة النظامية» وحرّمه، ونقل إجماع السلف على تحريمه، وانه ليس بواجب ولا جائز.

* قول الامام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري/ ٦٩/أ

إمام الطائفة الأشعرية نذكر كلامه فيما وقفنا عليه من كتبه كـ«الموجز» و«الإبانة» و«المقالات»، وما نقله عنه أعظم الناس انتصاراً له الحافظ أبو القاسم ابن عساكر في الكتاب الذي سماه «تبيين كذب المفتري فيما نسب الى أبي الحسن الأشعري» ذكر قوله في كتاب «الإبانة في أصول الديانة».

قال أبو القاسم ابن عساكر: إذا كان أبو الحسن مستصوب المذهب عند أهل العلم بالمعرفة والانتقاد، فوافقه في أكثر ما يذهب إليه أكبر العباد، لا يقدح في معتقده غير أهل الجهل والعناد، فلا بد أن نحكي عنه معتقده على وجهه بالأمانة، ونجتنب أن نزيد فيه أو ننقص منه تركاً للخيانة، ولتعلم حقيقة حاله في صحة عقيدته في أصول الديانة، فأسمع ما ذكره في أول كتابه الذي سماه بـ «الإبانة» فإنه قال:

الحمد لله الأحد الواحد، العزيز الماجد، المنفرد بالتوحيد، المتمجد بالتمجيد الذي لا تبلغه صفات العبيد، وليس له مثل ولا نديد، وهو المبدىء المعيد، [الفعال لما يريد](*) جَلَّ عن اتخاذ الصاحبة والأبناء، وتقدّس عن

* الزيادة من «الإبانة» طبعتا مكتبة دار البيان بدمشق.

ملامسة النساء، فليس له عزة تقال، ولا حد تضرب فيه الأمثال. لم يزل بصفاته أولاً قديراً، ولا يزال عالماً خبيراً، سبق الأشياء علمه ونفذت فيها إرادته، فلم تعزب عنه خفيات الأمور، ولم يغيره سوالف صروف الدهور، ولم يلحقه في خلق شيء مما خلق كلال ولا تعب، ولا مسّه لغوب، ولا نصب. خلق الأشياء بقدرته، ودبرها بمشيئته، وقهرها بجبروته، وذلّلها بعزته، فذّل لعظمته المتكبرون. واستكان لعظم ربوبيته المتعظمون، وانقطع دون الرسوخ فيعلمه الممترون. وذلت له الرقاب، وحارت في ملكوته فطن ذوي الألباب، وقامت بكلمة السموات السبع، واستقرت الأرض المهاد، وثبتت الجبال الرواسي، وجرت الرياح اللواقح، وسار في جو السماء السحاب، وقامت على حدودها البحار، وهو إله قاهر يخضع له المتعززون، ويخشع له المترفعون، ويدين له طوعاً وكرهاً العالمون. نحمده كما حمد نفسه، وكما ربنا له أهل، [كما حمده الحامدون من جميع خلقه][1] ونستعينه استعانة من فوّض إليه أمره، وأقرّ أنه لا ملجأ ولا منجا منه إلا إليه، ونستغفره استغفار مقر بذنبه، معترف بخطيئته، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بوحدانيته، وإخلاصاً لربوبيته، وأنه العالم بما تبطنه الضمائر، وتنطوي عليه السرائر، وما تخفيه النفوس، وما تجن البحار، / وما توارى الأسرار، وما تغيض الأرحام، وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار[2]. ٦٩/ب

وساق خطبة طويلة بينّ فيها مخالفة المعتزلة لكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ وإجماع الصحابة إلى أن قال فيها[3]: ودفعوا أن يكون لله وجه، مع قوله: ﴿ويَبْقى وجْهُ ربِّكَ ذو الجلالِ والإكْرامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]. وأنكروا أن يكون لله يدان، مع قوله، ﴿لِمَا خَلَقْت بيَدَيَّ﴾. [ص: ٧٥] وأنكروا أن يكون لله عينان،

(١) الزيادة من «الإبانة».

(٢) «الإبانة» ص ٣٣ ـ ٣٤.

(٣) «الإبانة» ص ٤١.

مع قوله: ﴿تَجْري بأعْيُننا﴾ [القمر: ١٤]، وكقوله: ﴿ولِتُصْنع على عَيْني﴾ [طه: ٣٩]، ونفوا ما روى رسول الله ﷺ من قوله: «إن الله ينزل إلى سماء الدنيا». . .

وأنا ذاكر ذلك إن شاء الله تعالى باباً باباً وبه المعونة والتأييد، ومنه التوفيق والتسديد.

فإن قال لنا قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية، والحرورية والرافضة والمرجئة، فعرّفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون؟!.

قيل له: قولنا الذي به نقول، وديانتنا التي بها ندين. التمسك بكتاب الله وسنّة نبيه ﷺ، وما روى عن الصحابة والتابعين، وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون. وبما كان عليه أحمد بن حنبل نضّر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون، لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحقَّ عند ظهور الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشكّ الشاكين فرحمة الله عليه من إمام مقدم وكبير مفهم، وعلى جميع أئمة المسلمين.

وجملة قولنا: أنّا نقرّ وملائكته وكتبه ورسله، وما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ، لا نرد من ذلك شيئاً، وإن الله سبحانه وتعالى إله واحد فرد أحد، صمد، لا إله غيره، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله. . . وأن الجنة حق والنار حق والساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث مَنْ في القبور، وأن الله تعالى استوى على عرشه كما قال تعالى: ﴿الرّحمنُ على العرش استوى﴾، [طه: ٥] وأن له وجهاً كما [بلا كيف] كما قال تعالى: ﴿ويبقى وجه ربك ذوالجلال والإكرام﴾ [الرحمن: ٢٧]، وأن له يدين [بلا كيف][1] كما قال تعالى: ﴿ بلْ يَدَاهُ مَبْسُوطتان﴾ [المائدة: ٦٤]. وقال تعالى:

(١) الزيادة من «الإبانة».

﴿ولما خلقت بيدي﴾، وأن له عينين بلا كيف، كما قال تعالى: ﴿تجري بأعيننا﴾ [القمر: ١٤]. وأن من زعم أن إسم الله غيره كان ضالا، وأن لله علماً كما قال تعالى: ﴿أنْزله بِعِلمه﴾ [النساء: ١٦٦]. وكما قال تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثى ولا تَضَعُ إلاَّ بِعِلْمه﴾ [فاطر: ١١]. ونثبت لله قوة كما قال تعالى: ﴿أوَلَمْ يَرَوْا أنّ الله الّذي خَلَقُهم هُوَ أشَدُّ مِنْهُم قوّة﴾ [فصلت: ١٥].

ونثبت لله السمع والبصر، ولا ننفي ذلك كما نفته المعتزلة والجهمية والخوارج، ونقول: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأنه لم يخلق شيئاً إلا وقد قال له: كن، فيكون كما قال: ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ [النحل: ٤٠]،/ وأنه لا يكون في الأرض شيء من خير وشر إلا ما شاء الله، وأن الأشياء تكون بمشيئة الله، وأن أحداً لا يستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعله الله، وأن لا يستغنى عن الله، ولا نقدر عن الخروج من علم الله، وأنه لا خالق إلا الله، وأن أعمال العباد مخلوقة لله مقدورة له، كما قال تعالى: ﴿والله خَلَقَكُم ومَا تَعْمَلُون﴾ [الصافات: ٩٦]. وأن العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئاً وهم يخلقون، كما قال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالقٍ غير الله﴾ [فاطر: ٣]. وكما قال تعالى: ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وهُمْ يُخْلَقُون﴾ [النحل: ٢٠]. وكما قال تعالى: ﴿أفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧]. وكما قال تعالى: ﴿أمْ خُلِقُوا مِنْ غير شيء أمْ هُمُ الخالِقُون* أمْ خَلَقُوا السّموات والأرْضَ﴾ [الطور: ٣٥]. وهذا في كتاب الله كثير.

وأن الله وفّق المؤمنين لطاعته، ولطف بهم، ونظر لهم وأصلحهم وهداهم، وأضل الكافرين ولم يهدهم ولم يلطف بهم بالإيمان، كما زعم أهل الزيغ والطغيان ولو لطف بهم وأصلحهم لكانوا صالحين، ولو هداهم لكانوا مهتدين، كما قال تبارك وتعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ الله فهُو المُهْتَدي ومَنْ يُضْلِلْ فأولئك هُمُ الخاسرون﴾ [الأعراف: ١٧٨]. وأن الله يقدر أن يصلح الكافرين ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين، ولكنه أراد أن يكونوا كافرين كما علم، وأنه خذلهم وطبع على قلوبهم.

وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره، خيره وشره، حلوه ومره، ونعلم أن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا، وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا، وإنا لا نملك لأنفسنا نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله. . . وإنا نلجأ أمورنا الى الله، ونثبت الحاجة والفقر في كل وقت إليه. ونقول: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، وإن من قال بخلق القرآن كان كافراً.

وندين أن الله يُرى بالأبصار يومَ القيامة كما يُرى القمر ليلة البدر، ويراه المؤمنون كما جاءت به الروايات عن رسول الله ﷺ، ونقول إن الكافرين محجوبون عنه إذا رآه المؤمنون [في الجنة][1]، كما قال الله عز وجل: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]. وأن موسى عليه السلام سأل الله ـ عز وجل ـ الرؤية في الدنيا، وأن الله تجلى للجبل، فجعله دكاً، وأعلم بذلك موسى أنه لا يراه في الدنيا.

ونرى أن لا نكفّر أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه، كالزنا والسرقة وشرب الخمر، كما دانت بذلك الخوارج، وزعموا أنهم بذلك كافرون، ونقول: أن من عمل كبيرة من الكبائر [مثل الزنا والسرقة][2] وما أشبهها مستحلاً لها كان كافراً إذا كان غير معتقد لتحريمها، ونقول: إن الإسلام أوسع من الإيمان، وليس كل إسلام إيماناً.

وندين بأن الله تعالى يقلّب القلوب، وأن القلوب بين أصبعين من أصابعه، وأنه يضع السموات على إصبع، والأرضين على إصبع كما جاءت الرواية عن رسول الله ﷺ [من غير تكييف][2]. وندين بأن لا ننزّل أحداً من الموحّدين المتمسّكين بالإيمان جنة ولا ناراً/ إلا من شهد له رسول الله ﷺ بالجنة، ونرجو الجنة للمذنبين، ونخاف عليهم أن يكونوا من أهل النار معذبين.

---

(١) الزيادة من «الإبانة».

(٢) الزيادة من «الإبانة».

ونقول: إن الله يُخرج من النار قوماً بعدما امتحشوا بشفاعة محمد ﷺ [تصديقاً لما جاءت به الروايات عن رسول الله ﷺ][1]. ونؤمن بعذاب القبر، ونقول: إن الحوض والميزان حق، والصراط حق، والبعث بعد الموت حق، وأن الله يوقف العباد بالموقف، ويحاسب المؤمنين، وأن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، ونسلّم للروايات الصحيحة في ذلك عن رسول الله ﷺ التي رواها الثقات عدل عن عدل، حتى تنتهي الرواية إلى رسول الله ﷺ.

وندين بحب السلف الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه ﷺ، ونُثني عليهم بما أثنى الله به عليهم، ونتولاهم [أجمعين][1]. ونقول: إن الإمام بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ـ رضي لله عنه ـ، وأن الله أعزّ به الدين وأظهره على المرتدين، وقدّمه المسلمون للإمامة، كما رسولُ الله ﷺ للصلاة، [وسموه بأجمعهم خليفة رسول الله ﷺ][1] ثم عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، ثم عثمان بن عفان ـ نضّر الله وجهه ـ. قتله قاتلوه ظلماً وعدواناً، ثم علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ، فهؤلاء الأئمة بعد رسول الله ﷺ، وخلافتهم خلافة النبوة.

ونشهد للعشرة بالجنة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بها، ونتولى سائر أصحاب رسول الله ﷺ ونكّف عما شَجَرَ بينهم، وندين الله بأن الأئمة الأربعة خلفاء راشدون، مهدّيون فضلاء لا يوازيهم في الفضل غيرهم. ونصدّق جميع الروايات التي رواها أهل النقل من النزول إلى سماء الدنيا، وأن الرب تعالى يقول: هل من سائل، هل من مستغفر،[2] وسائر ما نقلوه وأثبتوه، خلافاً لما قاله أهل الزيغ والتعطيل. ونعول فيما اختلفنا فيه على كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ، وإجماع المسلمين ما كان في معناه، فلا نبتدع في دين الله بدعة لم يأذن الله بها، ولا نقول على الله ما لا نعلم، ونقول: إن الله يجيء يوم

---

(١) الزيادة من «الإبانة».

(٢) رقم ١٩٠ تقدم تخريجه ص (١٠٢) رقم (١).

القيامة كما قال تعالى: ﴿وجَاء ربُّكَ والمَلَكُ صفّاً صفاً﴾ [الفجر: ٢٢]. وأن الله يقرب من عباده كيف شاء، كما قال تعالى: ﴿ونَحْنُ أقْربُ إليْهِ مِنْ حَبْلِ الوريد﴾ [ق: ١٦]، وكما قال تعالى: ﴿ثمّ دنا فتَدلّى * فكَانَ قابَ قَوْسين أوْ أدْنى﴾ [النجم: ٨ - ٩].

ومن ديننا أن نصلّي الجمعة والأعياد وغيرهما خَلْفَ كل برٍّ وفاجر، وكذلك سائر الصلوات والجماعات، كما روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان يصلي خلف الحجاج.

وأن المسح على الخفين في الحضر والسفر خلافاً لمن أنكر ذلك.

ونرى الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح والإقرار بإمامتهم، وتضليل من رأى الخروج عليهم إذا ظهر منهم ترك الاستقامة، وندين بترك الخروج عليهم بالسيف وترك القتال في الفتنة.

ونقّر بخروج الدّجال كما جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ، ونؤمن بعذاب القبر ومنكر ونكير ومساءلتهما للمدفونين/ في قبورهم. ونصدّق بحديث ٧١/أ المعراج، ونصحح كثيراً من الرؤيا في المنام، وأن لذلك تفسيراً. ونرى الصدقة عن موتى [المسلمين] المؤمنين، والدعاء لهم، ونؤمن أن الله ينفعهم بذلك. ونصدّق بأن في الدنيا سحرة [وسحراً]، وأن السحر كائن موجود في الدنيا، وندين بالصلاة على من مات من أهل القبلة برهم وفاجرهم ونوارثهم.

ونقّر أن الجنة والنار مخلوقتان، وأن من مات أو قتل فبأجله مات أو قتل، وأن الأرزاق من قِبَلِ الله - عز وجل - يرزقها [الله] عباده، حلالاً وحراماً، وأن الشيطان يوسوس للإنسان ويشكّكه ويخبطه خلافاً لقول المعتزلة والجهمية، كما قال الله عز وجل: ﴿الّذينَ يأكُلون الرِّبا لا يَقُومون إلاّ كَمَا يَقُومُ الّذي يَتَخبّطُه الشّيْطانُ منَ المَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وكما قال تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ الوسْواس الخَنّاس* الذي يُوسْوسُ في صُدُورِ النّاسِ* مِنَ الجِنّةِ والنّاسِ﴾ [الناس: ٤ - ٦].

ونقول: إن الصالحين يجوز أن يخصهم الله بآيات يظهرها عليهم، وقولنا في أطفال المشركين: إن الله يؤجج لهم ناراً في الآخرة، ثم يقول لهم: اقتحموها، كما جاءت الرواية بذلك، وندين بأن الله تعالى يعلم ما العباد عاملون وإلى ما هم صائرون، وما يكون وما لا يكون وأن لو كان كيف كان يكون، وبطاعة الأئمة ونصيحة المسلمين، ونرى مفارقةكل داعية إلى بدعة ومجانبة أهل الأهواء، وسنحتج لما ذكرناه من قولنا مما ببقي منه مما لم نذكره باباً باباً وشيئا شيئاً[1].

قلت: ثم ذكر الأبواب... إلى أن قال:

باب الاستواء[2]

وإن قال قائل: ما تقولون في الاستواء؟ قيل له: نقول إن الله عز وجل مستو على عرشه [استواءً يليق به من غير طول الاستقرار][3] كما قال تعالى: ﴿الرَّحمن على العَرشْ اسْتَوى﴾ [طه: ٥]. وقال تعالى: ﴿إلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ والعَمَلُ الصَّالحُ يَرْفَعُه﴾ [فاطر: ١٠]. وقال تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ الله إلَيْهِ﴾. [النساء: ١٥٨] وقال تعالى حكاية عن فرعون: ﴿يا هَامان ابْنِ لي صَرْحَاً لَعَلِّي أبْلغُ الأسْبابَ* أسْبَابَ السّمواتِ فأطّلِعَ إلى إلَه مُوسى وإنِّي لأظنّه كاذباً﴾ [غافر: ٣٦ - ٣٧] كذّب موسى في قوله: إنّ الله فوق السموات، وقال الله - عز وجل -: ﴿أأمِنْتُم مَنْ في السّماء أنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأرْضَ﴾ [الملك: ١٦]. فالسموات فوقها العرش، فلما كان العرش فوق السموات [قال: ﴿أأمنتم من في السماء﴾ لأنه مستوٍ على العرش الذي فوق السموات][4] كلّ ما علا فهو سماء، [فالعرش أعلى السموات][4] وليس إذا قال: ﴿أأمِنْتُم مَنْ في السّمـاء﴾ يعني: جميع

(١) «الإبانة» ص (٤٣ - ٥٧).
(٢) «الإبانة» ص (٩٧ - ٩٨).
(٣) الزيادة من «الإبانة».
(٤) الزيادة من «الإبانة».

السموات، وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السموات. ألا ترى أنه ذكر السموات فقال: ﴿وَجَعَلَ القَمَرَ فيهن نُوراً﴾ [نوح: ١٦]. ولم يرد أنه يملأهن جميعاً، ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء، لأن الله تعالى مستو على العرش الذي هو فوق السموات، فلولا أن الله تعالى على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش[١]. . .

ثم قال: ومن دعاء أهل الإسلام [جميعاً][٢] إذا هم رغبوا إلى الله تعالى يقولون: يا ساكن العرش، ومن حلفهم لا والذي احتجب بسبع.

/وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية: إن معنى استوى: استولى وملك وقهر، وأن الله في كل مكان، وجحدوا أن يكون [الله] على عرشه كما قال أهل الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة، فلو كان كما قالوا، كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة، لأن الله قادر على كل شيء، والأرض فالله قادر عليها وعلى الحشوش. . . ٧١/ب

فلو كان مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء لجاز أن يقال: إنه مستو على الأشياء كلها، ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقال: إن الله مستو على الحشوش والأخلية، فبطل أن يكون الاستواء على العرش: الاستيلاء. . .

ثم بسط الأدلة على هذه المسألة من الكتاب والسنّة والعقل، ولولا خشية الإطالة لسقناها بألفاظها.

وقال الأشعري في كتابه «الأمالي»: باب القول في الأماكن: زعمت النحاوية أن الله بكل مكان على معنى الصنع والتدبير، واختلف أصحاب الصفات في ذلك: فقال أبو محمد عبد الله بن كلاب: إن الله لم يزل لا في مكان، وهو اليوم لا في مكان. وقال آخرون منهم: إنه مستو على عرشه،

---

(١) «الإبانة» ص ٩٧ ـ ٩٨.

(٢) الزيادة في الابانة

بمعنى: أنه عال عليه كما قال تعالى: ﴿وهُوَ القَاهِرُ فَوْقَ عِبادهِ﴾ [الانعام: ١٨].
وقال تعالى: ﴿الرّحمٰنُ على العَرْش اسْتَوى﴾ [طه: ٥] فامتدح نفسه بأنه على العرش استوى، بمعنى: أنه علا عليه، وعلمنا أنه لم يزل عالياً رفيعاً قبل خلق الأشياء، وقبل خلق العرش الذي هو عال عليه سبحانه وبحمده. ذكر كلامه في كتابه الكبير في إثبات الصفات، وقد ذكر ترجمة هذا الكتاب في كتابه الذي سماه «العمد في الرؤية» فقال: وألفنا كتاباً كبيراً في الصفات تكلمنا على أصناف المعتزلة والجهمية المخالفين لنا في نفيهم علم الله تعالى وقدرته وسائر صفاته، وعلى أبي الهذيل. ومعمر النظام، وفي فنون كثيرة من فنون الصفات في إثبات الوجه واليدين، وفي إثبات استواء الرب سبحانه على العرش، ثم ساق مضمونه. ذكر كلامه في كتاب جمل المقالات قال:

الحمد لله ذي العزة والإفضال والجود والنوال، أحمده على ما خصّ وعمّ من نعمه، وأستعينه على أداء فرائضه، وأسأله الصلاة على خاتم رسله، أما بعد. فإنه لا بُدَ لمن أراد معرفة الديانات والتمييز بينها من معرفة المذاهب والمقالات، ورأيت الناس في حكاية ما يحكون من ذكر المقالات ويصنعون في النِحل والديانات من بين مقصر فيما يحكيه، وغالط فيما يذكره من قول مخالفة، ومن بين معتمد للكذب في الحكاية إذا أراد التشنيع على من يخالفه، ومن بين تارك للتقصي في روايته لما يرويه من اختلاف المختلفين، ومن بين ٧٢/أ من يضيف إلى قول مخالفيه ما يظن/ أن الحجة تلزمهم به، وليس هذا سبيل الربانيين ولا سبيل الفطنة المميزين فحداني ما رأيت من ذلك على شرح ما التمست شرحه من أمر المقالات واختصار ذلك، وترك الإطالة والإكثار، وإنا مبتدء بشرح ذلك بعون الله وقوته.

وساق حكاية مذاهب الناس إلى أن قال: هذه حكاية جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة: جملة ما عليه أصحاب الحديث وأهل السنّة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله، وما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا يردّون من ذلك شيئاً، والله إله واحد [أحد]، فرد صمد، لا إله

غيره، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق، والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث في القبور، وأن الله على عرشه كما قال تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥] وأن له يدين بلا كيف كما قال تعالى: ﴿لِما خَلَقْت بِيَديَّ﴾ [ص: ٧٥]. وقال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطتان﴾ [المائدة: ٦٤] وأن له عينين بلا كيف، كما قال تعالى: ﴿تجري بأعيننا﴾ [القمر: ١٤]. وأن له وجهاً كما قال تعالى: ﴿ويَبْقى وجْهُ ربِّك ذو الجلال والإكرام﴾ [الرحمن: ٢٧].

إلى أن قال: وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، والكلام في الوقت واللفظ، من قال باللفظ أو بالوقف فهو مبتدع عندهم لا يقال: اللفظ بالقرآن مخلوق، ولا يقال: غير مخلوق، ويقولون: إن الله يرى بالأبصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون ولا يراه الكافرون، لأنهم عن الله محجوبون، وأن موسى سأل الله الرؤية في الدنيا، وأن الله تجلى للجبل فجعله دكاً، فأعلمه بذلك أنه لا يرى في الدنيا... ثم ساق بقية قولهم.

وقال في هذا الكتاب: وقال أهل السنة وأصحاب الحديث: ليس بجسم ولا يشبه الأشياء، وأنه على العرش، كما قال تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥]. ولا نتقدّم بين يدي الله في القول، بل نقول: استوى بلا كيف، وأنه نور، كما قال تعالى: ﴿الله نُورُ السّمواتِ والأرْض﴾ [النور: ٣٥]. وأن له وجهاً، كما قال تعالى: ﴿ويبقى وجه [ربك ذو الجلال والإكرام]﴾. وأن له يدين، كما قال تعالى: ﴿لما خلقت بيدي﴾. وأن له عينين كما قال تعالى: ﴿تجري بأعيننا﴾. وأنه يجيء يوم القيامة هو وملائكته، كما قال تعالى: ﴿وجاء ربُّكَ والمَلَكُ صفّاً صفّاً﴾ [الفجر: ٢٢] ينزل إلى سماء الدنيا، كما جاء في الحديث، ولم يقولوا شيئاً إلا ما وجدوه في الكتاب، أو جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ وقالت المعتزلة: إن الله استوى/ على عرشه يعني استولى. هذا ٧٢/ب نص كلامه.

وقال أيضاً في هذا الكتاب أيضاً: وقالت المعتزلة في قوله الله عز وجل ﴿الرحمن على العرش استوى﴾: يعني استولى. قال: وتأولت اليد بمعنى النعمة، وقوله: ﴿تجري بأعيننا﴾ أي بعلمنا. قال: وأما الوجه فإن المعتزلة قالت فيه قولين: قال بعضه ـ وهو أبو الهذيل ـ وجه الله هو الله، وقال غيره معنى قوله: ﴿ويبقى وجه ربك﴾ [أي ويبقى ربك] من غير أن يكون يثبت وجهاً، يقال: إنه هو الله ولا يقال ذلك فيه.

والأشعري إنما حكى تأويل الاستواء بالاستيلاء عن المعتزلة والجهمية، وصرح بخلافه، وأنه خلاف أهل السنة، وكذلك قال محيي السنّة الحسين ابن مسعود البغوي في تفسيره تابعا لابي الحسن الاشعري رحمه الله تعالى.

* قول القاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني الأشعري:

قال في كتابه «التمهيد في أصول الدين»، وهو من أشهر كتبه: فإن قال قائل: فهل تقولون: إن الله في كل مكان؟ قيل: معاذ الله، بل هو مستو على عرشه، كما أخبر في كتابه، فقال ـ عز وجلَّ ـ: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾، وقال تعالى: ﴿إليْه يصعد الكلم الطّيِّب والعَمَلُ الصالح يرفعه﴾ [فاطر: ١٠]، وقال: ﴿أأمنتم مَنْ في السّماء أنْ يخسِفَ بِكُمُ الأرْضَ﴾ [الملك: ١٦]. ولو كان في كل مكان لكان في جوف الإنسان وفي مخه، وفي الحشوش، والمواضع التي يرغب عن ذكرها، تعالى الله عن ذلك، ولو كان في كل مكان لوجب أن يزيد بزيادة الأمكنة إذا خلق منها ما لم يكن خلقه، وينقص بنقصانها إذا بطل منها ما كان واضحاً، وأن يُرْغَبَ إليه نحو الأرض وإلى وراء ظهورنا وعن أيماننا وعن شمائلنا، وهذا قد أجمع المسلمون على خلافه وتخطئة قائله.

ثم قال في قوله تعالى: ﴿وهُو الذي في السّماء إلهٌ وفي الأرْضِ إله﴾ [الزخرف: ٨٤] المراد أنه إله عند أهل السماء، وإله عن أهل الأرض، كما تقول العرب: فلان نبيل مطاع في المصرين عند أهلهما، وليس يعنون ذات المذكور

بالحجاز والعراق موجودة، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقُوا والَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨] يعني بالحفظ والنصر والتأييد، ولم يرد أن ذاته معهم تعالى، وقوله تعالى: ﴿إنَّني مَعْكُما أَسْمَعُ وأرى﴾ [طه: ٤٦]. محمول على هذا التأويل، وقوله تعالى: ﴿مَا يكون مِنْ نَجْوى ثَلاثةٍ إلاَّ هُوَ رابِعُهُم﴾ [المجادلة: ٧] يعني: أنه عالم بهم وبما خفي من سرّهم ونجواهم.

وهذا إنما يستعمل كما ورد به القرآن، فلذلك لا يجوز أن يقال قياساً على هذا: إن الله بالبردان ومدينة السلام ودمشق، وأنه مع الثور والحمار، وأنه مع الفساق المجّان ومع المصعدين/ إلى حلوان قياساً على قوله: ﴿إن الله مع الذين اتقوا﴾، فوجب أن يكون التأويل على ما وصفناه، ولا يجوز أن يكون معنى استوائه على العرش هو استيلاؤه، كما قال الشاعر: ٧٣/أ

قد استوى بشر على العراق

لأن الاستيلاء هوالقدرة والقهر، والله تعالى لم يزل قاهراً قادراً عزيزاً مقتدراً، وقوله: ﴿ثم استوى﴾ يقتضي استفتاح هذا الوصف بعد أن لم يكن، فبطل ماقالوه.

ثم قال باب: فإن قال قائل: ففصِّلوا لي صفات ذاته من صفات أفعاله لأعرف ذلك؟

قيل له: صفات ذاته هي التي لم تزل ولا يزال موصوفاً بها، وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام والبقاء والوجه واليدان والعينان والغضب والرضا، وصفات فعله هي الخلق والرزق والعدل والإحسان والتفضل والإنعام والثواب والعقاب والحشر والنشر، وكل صفة كان موجوداً قبل فعله لها... ثم ساق الكلام في الصفات.

وقال في جواباته للمسائـل التي سأله عنها أهل بغداد في رسالته التي بيّن فيها اتفاق الحنابلة والأشاعرة، قد عرفت انزعاجكم واستيحاشكم واهتمامكم

بما أفشاه قوم من عامة المنتحلين للسنة واتباع السلف الصالح من الأئمة المطهرين للتخصيص بمذهب أبي عبد الله أحمد بن حنبل من ادعائهم مخالفة شيخنا أبي الحسن علي الأشعري لأهل السنة وأصحاب الحديث في القرآن، وما يضيفونه إليه من أنه كان يقف في إكفار من يقول من المعتزلة والخوارج والنجارية والجهمية والمرجئة بخلق القرآن، ولا يقطع بأنهم كفار ـ إلى أن قال ـ: واعلموا أن مذهبنا ومذهب أبي الحسن الذي سطره في سائر كتبه الكبار والمختصرات هو مذهب الجماعة وسلف الأمة، وما مضى عليه الصالحون من الأئمة من أن كلام الله صفة من صفات ذاته غير محدث ولا مخلوق وأنه لم يزل متكلماً، وذكر الحجة في ذلك ـ إلى أن قال ـ: وكذلك قولنا في جميع المروي عن رسول الله ﷺ في صفات الله تعالى إذا ثبت بذلك الرواية من إثبات الوجه له واليدين اللتين نطق بهما، وبالوجه والعينين القرآن العظيم، قال الله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ والإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] وقال سبحانه ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ وقال تعالى لابليس ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] وقال: /﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤] وقال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩] وقال تعالى: ﴿تَجْرِي بأَعْيُنِنا﴾ [القمر: ١٤] فأثبت لنفسه في نص كتابه: الوجه والعينين واليدين.

٧٣/ب

وروي في الحديث من رواية ابن عمر أن النبي ﷺ ذكر الدجال وأنه أعور، وقال: «إن ربكم ليس بأعور»(١) فأثبت له العينين وهذا حديث غير مختلف في صحته عند العلماء بالحديث وهو في «صحيح البخاري».

وقال فيما روى عنه من الأخبار المشهورة «وكلتا يديه يمين»(٢) يعني ﷺ

---

(١) البخاري رقم (٣٠٥٧) في الجهاد: باب كيف الإسلام على الصبي، وفي أبواب وكتب أخرى، ومسلم رقم (١٦٩)، وأبوداود رقم (٤٧٥٧)، والترمذي رقم (٢٢٣٦ و٢٢٤٢)، وأحمد ٢/٥٢٧ و٦٤٩ انظر روايات الحديث في «جامع الأصول» رقم (٧٨٤٨).

(٢) مسلم (١٨٢٧)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

أنه لا يتعذر عليه بإحداهما ما يتأتى الأخرى كالذي يتعذر على الأيسر ما يتأتى بيمينه، ويقول أنه يأتي يوم القيامة في ظل من الغمام والملائكة كما نطق بذلك القرآن، وأنه عز وجل ينزل إلى سماء الدنيا فيقول: هل من سائل فيعطي أو مستغفر فيغفر له...[1] الحديث وأنه جل ثناؤه مستوٍ على عرشه كما قال تعالى: ﴿الرَّحمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] وقال عز وجل: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ﴾ [الاعراف: ٥٤] فديننا ودين الأئمة وأهل السنة أن هذه الصفات تُمَرُّ كما جاءت من غير تكييف ولا تحديد ولا تجسيم ولا تصوير بل كما جاء بها الحديث، وكما روي عن ابن شهاب الزهري وغيره من أئمة الحديث في وجوب إمرارها على ما جاء به الحديث من غير تكييف، وروى الثقات عن مالك: أن سائلاً سأله عن قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾ فقال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، فمن تجاوز هذا المروي من الأخبار عن التابعين ومن بعدهم من السلف الصالح وأئمة الحديث والفقه، وكيف شيئاً من هذه الصفات المروية، ومثّلها بشيء من جوارحنا وآلتنا فقد تعدى وأثم وضل وأبدع في الدين ما ليس منه، وقد روي عن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي وهو من أئمة الحديث أن الامير عبد الله بن طاهر سأله فقال: يا أبا يعقوب ما هذا الحديث الذي تروونه: ينزل ربنا إلى سماء الدنيا، كيف ينزل! فقال إسحاق: أيها الأمير لا يقال لأمر الرب كيف.

ذكر قوله في كتاب «الإبانة» له: ذكر صفة الوجه واليدين والعينين، وأثبتها، كما ذكر في «التمهيد»، ثم قال: فإن قيل: تقولون إنه في كل مكان؟ قيل: معاذ الله! بل هو مستو على عرشه كما أخبر في كتابه، ثم ذكر الأدلة على ذلك نقلاً وعقلاً قريباً كما ذكر في «التمهيد».

وقال في هذا الكتاب أيضاً: وصفات ذاته التي لم تزل ولا يزال موصوفاً

(١) تقدم تخريجة ص (١٠٢).

بها، وهي الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة والبقاء والوجه واليدان والعينان والغضب والرضى.

٧٣/أم /ذكر قوله في «رسالة الحرة». قال في كلام ذكره في الصفات: وأن له وجهاً ويدين، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا، ثم قال: وأنه استوى على عرشه، فاستولى على خلقه، ففرّق بين الاستواء الخاص والاستيلاء العام.

* قول الحسين بن أحمد الاشعري المتكلّم:

من متكلّمي أهل الحديث صاحب «الجامع الكبير»، و«الصغير» في أصول الدين، قال في «جامعه الصغير»: فإن قيل: ما الدليل على أن الله تعالى على العرش بذاته؟ قلنا: قوله تعالى: ﴿ثمّ اسْتوى على العَرْشِ الرّحمٰن﴾ [الفرقان: ٥٩] فإن قالوا: فإن العرب يقولون: استوى فلان على بلد كذا، إذا: استولى عليها وقهر؟ قلنا: لأصحابنا عن هذا أجوبه:

أحدها: أنه لو كان معنى استوى بمعنى استولى، لم يكن لتخصيصه العرش بالاستواء معنى، لأنه مستولٍ على كل شيء غيره، فكان يجوز أن يقال: الرحمن على الجبل استوى، وهذا باطل.

الثاني: أن العرب لاتدخل «ثم» إلا لأمر مستقبل سيكون، والله تعالى لم يزل قادراً قاهراً مستولياً على الأشياء، فلم يكن بزعمهم لقوله (ثم استوى على العرش) معنى.

الثالث: أن الاستواء بمعنى الاستيلاء لا يكون عند العرب إلا بعد أن يكون ثم مغالب يغالبه، فإذا غلبه وقهره قيل: قد استولى عليه، فلما لم يكن مع الله مغالب، لم يكن معنى استوائه على عرشه استيلاؤه عليه، وصحّ أن استواءه عليه هو علوّه وارتفاعه عليه بلا حد ولا كيف ولا تشبيه.

ثم ذكر عن الخليل بن أحمد، وابن الاعرابي: أن الاستواء في اللغة هو

العلو والرفعة لأنهم يقولون استوت الشمس إذا تعالت واستوى الرجل على ظهر دابته إذا علا عليها، وقوله تعالى: ﴿استَوَت على الجُوديّ﴾ [هود: ٤٤] أي: ارتفعت عليه، وقوله تعالى: ﴿ولمّا بَلَغَ أشُدَّه واسْتَوى﴾ [القصص: ١٤]: أي ارتفع عن حال النقصان إلى حال الكمال.

وقوله: استوى أمر فلان، أي: ارتفع وعلا عن الحال التي كان عليها من الضعف وسوء الحال... وساق الكلام.

*** ذكر قول الإمام فخرالدين الرازي:**

في آخر كتبه وهو «أقسام اللذات» الذي صنفه في آخر عمره، وهو كتاب مفيد ذكر فيه أقسام اللذات، وبيّن انها ثلاثة أقسام كالأكل والشرب والنكاح واللباس، واللذة الخيالية الوهمية كلذة الرياسة والأمر والنهيب والترفع ونحوها، واللذة العقلية كلذة العلوم والمعارف، وتكلم على كل واحد من هذه الأقسام - إلى أن قال -: وأما اللذات العقلية فلا سبيل إلى الوصول/ إليها والتعلّق بها، ٧٣/ب فلهذا نقول: يا ليتنا بقينا على العدم الأول، ويا ليتنا ما شهدنا هذا العالم، وليت النفس لم تتعلق بهذا البدن، وفي هذا المعنى قلت:

نهايةُ أقدام العقولِ عَقالُ ... وأكثر سعي العالمينَ ضلالُ
وأرواحُنا في وَحْشَةٍ من جسومنا ... وحاصلُ دُنيانا أذىً ووبالُ
ولم نستفد من بحثنا طولَ عُمرنا ... سِوى أنْ جمعنا فيه قيلَ وقالوا
وكَم قد رأينا من رجال ودولةٍ ... فَبَادوا جميعاً مسرعينَ وزالوا
وكم من جبال قد عَلت شُرُفاتها ... رجالٌ فزالوا والجبالُ جبالُ

واعلم أن بعد التوغل في هذه المضائق، والتعمّق في الاستكشاف عن أسرار هذه الحقائق، رأيت الأصوب الأصلح في هذا الباب طريقة القرآن العظيم، والفرقان الكريم، وهو ترك التّعمّق والاستدلال بأقسام أجسام السموات والأرضين على وجود رب العالمين، ثم المبالغة في التعظيم من غير

خوض في التفاصيل، فاقرأ في التنزيه قوله تعالى: ﴿والله الغنيُّ وأنْتُمُ الفُقراء﴾ [محمد: ٣٨]. وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثله شيء﴾. [الشورى: ١١]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الله أحَدٌ﴾ [سورة الاخلاص]. واقرأ في الإثبات قوله: ﴿الرّحمٰنُ على العَرْش اسْتوى﴾ [طه: ٥]. وقوله تعالى: ﴿يَخافُونَ ربّهُم منْ فَوقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]. وقوله تعالى: ﴿إليْهِ يصْعَدُ الكَلِمُ الطّيِّبُ [والعَمَلُ الصَّالح يَرْفعه]﴾ [فاطر: ١٠]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ كلٌّ من عنْد الله﴾ [النساء: ٧٩]. وفي تنزيهه عما لا ينبغي قوله: ﴿ما أصابَكَ منْ حَسَنَةٍ فمن الله وما أصابَكَ من سيّئةٍ فمِنْ نفسِك﴾. وعلى هذا القانون فقس، وختم الكتاب بالدعاء.

*** قول متكلّم السنّة إمام الصوفية في وقته أبي العباس أحمد بن المظفر بن المختار الرازي:**

صاحب كتاب «فرع الصفات في تقريع نفاة الصفاة»، وهو على صغر حجمه كتاب جليل، غزير العلم. قال فيه بعد حكاية مذاهب الناس: وقالت الحنابلة وأصحاب الظواهر والسلف من أهل الحديث: أن الله على العرش، ثم قال: أما حجة المثبتين فمن حيث الكتاب والسنّة وإجماع الصحابة والمعقول، ثم ذكر حجج القرآن والسنّة، ثم حكى كلام الصحابة إلى أن قال: ثم أن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ اختلفوا في النبي ﷺ هل رأى ربه ليلة المعراج أم لا؟ واختلافهم في الرؤية تلك الليلة اتفاق منهم على أن الله على العرش، لأن المخالفين لا يفرقون بين الأرض والسماء بالنسبة إلى ذاته، وهم فرقوا/ حيث اختلفوا في أحدهما دون الآخر. ٧٤/أ

قلت: مراده أنهم إنما اختلفوا في رؤيته لربه ليلة أسريَ به إلى عنده، فجاوز السبع الطباق، ولولا أنه على العرش لكان لا فرق في الرؤية نفياً ولا إثباتاً بين تلك الليلة وغيرها. ثم قال: وأما المعقول فمن وجوه خمسة: أحدها إطباق الناس كافة وإجماع الخلق عامة من الماضين والغابرين والمؤمنين

والكافرين على رفع الأيدي إلى السماء عند السؤال والدعاء بخلاف السجود، فإنه تواضع متعارف، وبخلاف التوجه إلى الكعبة فإنه تعبد غير معقول، وأما رفع الأيدي بالسؤال نحو المسؤول فأمر معقول متعارف.

قال: ومن نظر في قصص الأنبياء، وأخبار الأوائل القدماء وأنباء الأمم الماضية والقرون الخالية اتضحت له هذه المعاني واستحكمت له هذه المباني، ثم قرر العلو، وساق شبه النفاة ونقضها نقض من لم يقلع عروشها كل القلع. رحمة الله تعالى.

قول شعراء الإسلام من الصحابة رضي الله تعالى عنهم

*** قول حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه شاعر الإسلام:**

قال محمد بن عثمان الحافظ، صح عن حبيب بن أبي ثابت، عن حسان، أنه أنشد النبي ﷺ شعراً:

شَهِدتُ بإذنِ الله أنَّ محمداً … رسولُ الذي فوق السّموات من علا

وأنَّ أبا يحيى ويحيى كلاهُما … لهُ عمَل من ربِّه مُتقبلا

وأنَّ أخا الأحقاف إذ قام فيهم … يقول بذات الله فيهم ويَعْدل

فقال النبي ﷺ: وأنا أشهد. وقال حسان أيضاً في قصيدته الدالية في مدحه:

ألَمْ ترَ أنَّ الله أرسَل عبْدَهُ … ببرهانه والله أعْلى وأمْجَدُ

وضمّ الإلهُ اسم النبيِّ إلى اسْمهِ … إذا قال في الخمسِ المؤذن أشْهَدُ

وشقّ له من اسمه ليجله … فذو العرش محمودٌ وهذا محمّدُ

أغــرّ، عــليــه لـلنــبــوةِ خــاتَــمٌ   مــن الله ميــمــونٌ يلوحُ ويشْــهــدُ

*** قول عبد الله بن رواحة الأنصاري:**

قال أبو عمر ابن عبد البر: صحّ عن عبد الله بن رواحة أن امرأته رأته مع جارية، فذهبت لتأخذ سكيناً، فقال: ما فعلت! فقالت: بلى قد رأيتك. قال: فإنّ رسولَ الله ﷺ قد نهى الجنب عن قراءة القرآن/. قالت: فاقرأ، فقال شعراً: ٧٤/ب

شــهِــدتُ بــأنَّ وعْــدَ الله حــقٌ   وأنّ الـنّــار مَثْــوى الـكــافـريـنــا
وأنَّ العــرشَ فــوقَ المــاء طــافٍ   وفــوق العــرش ربُّ العــالمينــا
وتــحــمــله مــلائــكــة شــدادٌ   مــلائــكــةُ الإلٰــه مــسُــومــيـنــا

فقالت: صدق اللهُ وكذب بصري، فجاء إلى النبي ﷺ فأخبره، فضحك حتى بدت نواجذه. قال محمد بن عثمان الحافظ: رويت هذه القصة من وجوه صحاح عن ابن رواحة.

*** قول العباس بن مرداس السلمي:**

قال عوانة بن الحكم: لما استخلف عمر بن عبد العزيز، وَفَدَ إليه الشعراء فقاموا ببابه أياماً لا يؤذن لهم، فبينما هم كذلك مَرَّ بهم عدي بن أرطأة، فدخل على عمر فقال: الشعراء ببابك يا أمير المؤمنين، فقال: ويحك ما لي وللشعراء؟ قال: فإن النبي ﷺ قد امتدح فأعطى فامتدحه العباس بن مرداس الأسلمي، فأعطاه حلّة. قال: أوَ تروي من شعره شيئاً؟ قال: نعم، فأنشده عدي بن أرطأة قوله في النبي ﷺ:

رأيتُــك يــا خيــرَ البــريــة كلّهــا   نشرتَ كتاباً جــاء بــالحق معلمــا
شرعت لنا دين الهدى بعد جـورنا   عن الحق لما أصبح الحقُّ مظلما
تعــالى عُلَواً فــوقَ سبــعٍ إلهنــا   وكــانَ مكــان الله أعْلى وأعــظمــا

*** قول لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة العامري الشاعر:**

أحد شعراء الجاهلية والإسلام، أسلم وصحب النبي ﷺ، ومن شعره:

لله نـافـلةِ الأجـلّ الأفْـضـلِ ... ولـهُ العلى وأثبت كـلّ مـؤثـلِ
لا يستطيع الناس محو كتابـهِ ... أنّى وليس قضاؤه بمـبـدلِ
سوّى فأعلى دون غرفة عرشه ... سبْعاً طِباقاً دون فرع المعقـل
والأرض تحتهم مهاداً راسيـاً ... ثُبُتت جوانبها بصم الجنـدل

*** ذكر ما أنشد النبي ﷺ من شعر أمية بن أبي الصلت الذي شهد لشعره بالإيمان ولقلبه بالكفر فمن شعره:**

مَجّدوا الله فهو للمجد أهْـلُ ... ربنا في السّماء أمْسى كبيراً/ ٧٥/أ
بالبناء الأعْلى الذي سبق الخلقَ ... وسوّى فوقَ السّماء سريراً
شَرْجعاً ما ينالـه بَصَرُ العين ... ترى دونَه الملائكة صوراً

شرجعا: أي طويلاً، وصوراً جمع أصور وهو المائل العنق.

ومن شعره قوله في داليته المشهورة. ذكره ابن عبد البر وغيره قوله:

لكَ الحمدُ والنّعماء والملكُ ربّنا ... فلا شيء أعلى منك جداً وأمجدُ
مليكٌ على عرش السّماء مهيمنٌ ... لعـزته تعْنُو الوجُوه وتسجـدُ
عليه حجاب النور والنور حوله ... وأنهار نورٍ حوله تَتَوقّدُ
فلا بَشَرٌ يسمُو إليه بطرفه ... ودونَ حجابَ النور خلقٌ مؤيـدُ

وفيها وصف الملائكة:

وساجدهم لا يرفع الدّهر رأسه ... يعظِّمُ ربّاً فوقه ويمجِّـدُ

* **ذكر القصيدة التي أنشدها إسماعيل بن فلان [الترمذي] للإمام أحمد في محبسه:**

قال إبراهيم بن إسحاق العلي: هذه القصيدة من أبي بكر المروزي، وذكر أن إسماعيل بن فلان الترمذي قالها، وأنشدها أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وهو في سجن المحنة:

تباركَ مَنْ لا يعلم الغيب غيره ومنْ لم يزل يثنى عليه ويذكرُ
علا في السّموات العلى فوق عرشه إلى خلقه في البر والبحر ينظرُ
سميعٌ بصيرٌ لا نشكُّ مدبرٌ ومن دونه عبدٌ ذليلٌ مدَبّرُ
يدا ربنا مبسوطتان كلاهُما تسحان والأيدي من الخلق تقترُ

وساق القصيدة، وهي من أحسن القصائد، لم ينكرها أحد من أهل الحديث، بل أثنوا على ناظمها ومدحوه.

* **قول حسّان السنّة في وقته**: المتفق على قبوله، الذي سار بشعره مسير الشمس في الآفاق، واتفق على قبوله الخاصُّ والعامُّ ايّ اتفاق، ولم يزل ينشد في المجامع العظام ولا ينكر أحد من أهل الإسلام: **يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور الصرصري الأنصاري**، الإمام في اللغة والفقه والسنّة والزهد والتصوف. قال في قصيدة العينية التي أولها:

تواضعْ لرب العرش علّك تُرفع فقدْ فاز عبد للمهيمن يخضعُ
وداو بذكر الله قَلبكَ إنّه لأعلى دواء للقلوب وأنْفعُ
وخذّ من تقى الرحمن أمناً وعدّة ليومٍ به غير التقى مُرَوَّعُ

إلى أن قال:

٧٥/ب /سميعٌ بصيرٌ ما له في صفاته شبيه يرى من فوق سبْع ويَسمعُ
قضى خلقه ثم استوى فوق عرشه ومن علمه لم يخل في الأرض موضع

وقال في لاميته التي أولها:

ويوم يُنادي العالمينَ فيسمعُ ... القصيَّ كدانٍ في المقال المطول

أنا الملكُ الديّان، والنّقل ثابتٌ ... فهل هاهنا ينساغ تأويل جهل

وينظره أهلُ البصائر في غد ... بأبصارهم لا ريب فيه لمجتلي

كما ينظرون الشّمس ما حال دونها ... سحابٌ، ألا بُعداً لأهل التعزّل

توحّد فوق العرش، والخلق دونه ... وأحكم ما سواه إحكام مكمل

وقال في قصيدته «تحفة المريدين» التي أولها:

أسيرُ وقلبي في رباك أسير ... فهلْ لي من جوْر الفراق مُجيرُ

ويقول فيها:

واستجلب السلوى وفي القلب حسرة ... فيرتدُّ عنك الطّرف وهو حسيرُ

وما ذاك إلَّا أنَّ فيك لناظري ... بدا غصن غضُّ النبات نضيرُ

إذا ما تجلى سافراً فجماله ... إلى القلب من جيش الغرام سفيرُ

وفيها:

إذا ما اجتمعنا فالتقى الشّمل فالتقى ... رقيبٌ علينا، والعقابُ غَفورُ

توكد عقدُ الود بيني وبينه ... اعتقادُ عليه للهداية نورُ

كِلانا محبٌ للإمام ابن حنبل ... لأسيافنا في شانئيه هبيرُ

نقرُّ بأنّ الله جلّ ثناؤه ... سميعٌ لأقوال العباد بصيرُ

ويطوي السّموات العُلى بيمينه ... وذلك في وصف القوي يسيرُ

وخاطبَ موسى بالكلام مكلِّماً ... فخرّ صريعاً إذ تقطع طورُ

وخطّ له التوراة فيها مواعظ ... فلاحَتْ على الألواح منه زبورُ

وإنْ قلوبَ الخلق بين أصابع ... الإله فمنها ثابتٌ ونفور

ونثبت في الأخرى لرؤية ربِّنا ... حديثاً، رواه في الصحيح جريرُ

وأي نعيمٍ في الجنان لأهلها وأنّي لهم لو لم يَرَوْهُ سرورُ

وفيها:

ونؤمن أنّ العرش من فوق سبعةٍ تطوفُ به أملاكه وتدورُ
قضى خلقه ثم استوى فوق عرشه تقدّس كرسيٌّ له وسريرُ
/هُو الله ربٌّ في السماء محجبٌ وليس كمخلوق حوتْه قُصورُ أ/٧٦
إليه تعالى طِيبخ القول صاعدٌ وينزل منه بالقضاء أمورُ
لقد صحّ إسلام الجويرية التي بإصبعها نحو السماء تُشيرُ

وقال رحمه الله في قصيدته المنامية التي يقول فيها:

رأيتُ رسولَ الله في النّوم مرةً فقبّلت فاهُ العذب تقبيل مُشتاق
ولو أنّني أُوتيت رشدي نائماً لقبّلت ممشاه الكريم بآماقي
فبشرني منه بأذكى شهادة بها جبر كسرى يوم فقير وإملاقي
بموت سعيد في كتاب وسُنّةٍ فلانت لبُشراه شراسةُ أخلاق
وها أنا ذا والحمد لله وحدَه مقرٌ لبشراه بأثبت مِصداق
بأني على حُسن اعتقاد ابن حنبل مقيم، وإن قام العدى ليَ على ساق
أقرُّ بأن الله من فوق عرشه يقدّر آجالاً، ويقضي بأرزاق
سميعٌ بصيرٌ ليس شيء كمثله قديمُ الصفات الواحد الأحد الباقي
أمرّ أحاديث الصفات كما أتت أُتابع فيها كل أزهر سباق
ولست إلى التشبيه يوماً بجانحٍ ولا قائلٍ تأويل أشدت مهاق

وقال رحمه الله في قصيدته اللامية التي نظم فيها اعتقاد الشافعي - رضي الله عنه - أولها:

أيشعر حِزب الجهم ذاك المضلل بأني حرْبٌ للعدى غير أفكل
تشنُّ عليهم غيرتي وحميتي لدين الهدى غارات أشوس مقبل

لوقع قريضي في صميم قلوبهم أشدّ عليهم من سِنان ومنصل
أفوق منه حين أنظرُ نحوهم مقاتل تصمى منهم كلّ مقتل
هُمُ انحرفوا عن منهج الحق سالكي مهالك من تحريفهم والتأولِ
لقد برىء الحبر ابن إدريس منهم براءة مُوسى من يهود محولِ

وفيها:

ويعقد عند الشافعي يمين مَنْ غدا حالفاً بالمصحف المتقبلِ
وهذا دليل منه إذا كان لا يرى انعقاداً بمخلوق لخلقه مؤيلِ
ومذهبُه في الاستواء كمالكٍ وكالسلف الأبرار أهل التفضلِ
ومستوياً بالذات من فوق عرشه ولا تقل: استولى، فَمَن قال يبطلِ
فذاك لذي حندٍ يقال قسوة لذي خطَلٍ راوي لعيب وأخطل
/قد بان منه خلقُه وهو بائنٌ منَ الخلقِ، يحصى للخفي مع الجلي ٧٦/ب
وأقربُ من حبلِ الوريد مفسِّراً وما كان في معناه بالعلم فاعقلِ
علا في السماء الله فوق عباده دليلك في القرآن غير مقلّلِ
وإثبات إيمان الجويرية اتخذ دليلًا عليه مسنداً غير مُرسَلِ

وقال رحمه الله في قصيدته اللامية يهجو ابن خنفر الجهمي الخبيث، أولها:

أطعِ الهدى لا ما يقول العذَّل فالحبُّ ذو مر يجور ويعدلُ
واتبعْ لسلمى ما استطعت مسالماً فالحسن ينصرها وصبرك يخذلُ
بيضاء دون مرامها لمحبِّها بيضُ الصَّوارم والرِّماح الذبلُ
تخفى فيعرفها الوشاةُ بعرفها وتضيء الظلما سترٌ مسبلُ
تضحى الدماء بحورها هدراً وهل يخفى قصاصُ القتل طرف أكحلُ
كيف البقاء لعاشقٍ أودى به سهمُ اللِّحاظ وقد أصيب المقتلُ
نبذ الكتاب وراء ظهر واقتدى شيخُ الضلالة للصِّفات يعطلُ

الحق أثبتها تعالى جده والتيس ينكرها فمن نقبلُ
وعقيدةُ الملعون أن المصحف المكنون منبوذٌ تطؤه الأرجلُ
ماقالت الكفّار مثل مَقَاله وكذا اليهود ولا النصارى الضللُ
آل الجحود به إلى واد لظى للغاية السُّفلى فبئس الموئلُ
وزعمت أنّ الحنبليّ مجسّمٌ حاشا لمثل الحنبليِّ يمثلُ
بل نورد الأخبار إذ كانت تصح حها الرواة عن الثّقات وتنقلُ
إنَّ المهيمنَ ليس تمضي ليلة إلَّا وفي الأسحار فيها ينْزلُ
قد قالها خير الورى في سارةٍ لم ينكروا هذا ولم يتأوّلوا
وتقبلوها مع غزارة علمهم أفأنت أم تلك العصابة أعقلُ

وقال رحمه الله في داليته [التي أولها]:

ءاهاً لفرط حرارة لا تبردُ ولواعج بين الحشا تتردد
في كل يوم سنّةٌ مدروسة بين الأنام وبدْعة تتجددُ
صدق النبيُّ ولم يزل متسربلاً بالصدق إذ يعد الجميل ويوعدُ
إذ قالَ يفترق الضلال ثلاثة زيدت على السبعين قولاً يُسندُ
77/أ /وقضى بأسباب النّجاة لفُرقةٍ تسعى بسنته إليه وتحفدُ
فإن ابتغيت إلى النّجاة وسيلةً فاقبل مقالة ناصحٍ يتقلدُ
إيّاكَ والبدع المضلّة إنها تهدي إلى نار الجحيم وتورد
وعليك بالسنن المنيرة فاقفها فهي المحجة والطريق الأقصد
فالأكثرون بمبدعات عقولهم نبذوا الهدى فتنصّروا وتهودوا
منهم أُناسُ في الضلال تجمّعُوا وبسبِّ أصحاب النبيِّ تفَرّدوا
قد فارقوا جمع الهدى وجماعةِ الإ سلام، واجتنبوا التقى وتمردوا
بالله يا أنصارَ دينِ محمّد نوجوا على الدين الحنيف وعددوا
لَعِبت بدينكم الروافض جهْرةً وتألفوا في حصده وتحشدوا
نصبوا حبائلهم بكلِّ مكيدة وتغلّظوا في المعضلات وشددوا

ورموا خيارَ الخلق بالكذب الذي ... هم أهله، لا مَنْ رَمَوْهُ وأسندوا
نقضوا مراتب من أشرف منصباً ... في الفخر في أُفق السماء وأمجدُ
ألرتبة الصدِّيق جفّ لسانهم ... يبغون وهي من التناول أبعدُ
أوَ ما هو السَّباق في عرف العلى ... ولقد زكى من قبل منه المحتدُ
ولقد أشار بذكر ربُّ العُلى ... فثناؤه في المكرمات مشيد
نطقَ الكتاب بمجده الأعلى ففي ... أي الحديد مناقبٌ لا تنفدُ
﴿لا يستوي منكم﴾ وفيها مقنع ... و﴿الليلُ﴾ يثبتُ فضله ويؤكدُ
و﴿براءة﴾ تثني بصحبته وهل ... يوهى رفيع علاه إلَّا مُلْحدُ
أو ما هو الاتقى الذي استولى عـ ... لى الاخلاص طارف ماله والمتلدُ
لما مضى لسبيله خيرُ الورى ... وحوى شمائله صفيحٌ ملحدُ
مَنَعَ الأعاريب الزكاة لفقده ... وارتدّ منهم حائر متردّدُ
وتوقدت نار الضلال وخالطت ... إبليس أطماع كوامن رصدُ
فنما أبو بكر بصد عزيمةٍ ... وثبات إيمان ورأي يحمدُ
فتمزقت عُصب الضَّلال وأشرقت ... شمسُ الهدى وتقوم المتأودُ
أم رتبة الفاروق في اظهاره ... للدين تلك فضيلة لا تجحد
وهو الموفّقُ للصواب كأنما ... مَلَكٌ يصوّبُ قوله ويسدّدُ
بوفاقه آي الكتاب تنزلت ... وبفضله نطق المشفّع أحمدُ
لو كانَ من بعدي نبيّاً كُنْتَهُ ... خبراً صحيحاً في الرواية مسند
وبعدله الأمثال تضرب في الورى ... وفُتوحُه في كل قُطْرٍ يوجدُ
وتمامُ فضلها جوارُ المصطفى ... في تربةٍ فيها الملائك تُحشدُ
وتعمّقوا في سبِّ عُثمانَ الذي ... ألفاه كُفواً لابنَتيْهِ محمدُ
ولبيعة الرضوان مدَّ شماله ... عوضَ اليمين ولهي منه أوكدُ
وحباهُ في بدرٍ بسهم مجاهد ... إذْ فاته بالعذر ذاك المشهدُ
من هذه من بعض غر صفاته ... ما ضرّه ما قال فيه الحُسَّدُ

ثم ادّعوا حبَّ الإمام المرتضى هيهاتَ مطلبهم عليهم يبعدُ
أنّى وقد جحدوا الذين بفضلهم أثنى أبو الحسن الإمام السيِّدُ
ما في عُلاه مقالة لمخالف فمسائل الإجماع فيه تعقدُ
ولنحن أولى بالإمام وحبِّه عَقدٌ ندينُ به الإله مؤكَّد
وولاؤه لا يستقيم ببغضهم واضرب لهم مثلاً يغيظ ويكمدُ
٧٧/ب /مِثلُ الذي جحدَ ابن مريمَ وادّعى حبّ الكليم وتلك دعْوى تفسدُ
وبقذف عائشة الطهور تجشموا أمراً تظل له الفرائص ترعدُ
تنزيهها في سبع عشرة آيةً والرافضيُّ بضدّ ذلك يشهدُ
لو أنَّ أمرَ المسلمين إليهم لم يبقَ في هذي البسيطة مسّجدُ
ولو استطاعوا لا سعت بمرامهم قَدمٌ ولا امتدت بكفِّهم يدُ
لم يبقَ للإسلام ما بين الورى علمٌ يسودُ ولا لواء يُعْقَدُ
علقوا بحبلِ الكفر واعتصموا به والعالقون بحبله لن يسعدوا
وأشدّهم كُفراً جَهُولٌ يدّعي عِلْمَ الأصول وفاسقٌ متزهدُ
ممعا وإن وهناً أشدّ مضرّةً في الدين من فأر السفين وأفسدُ
وإذا سألتَ فقيههم عن مذهبٍ قالَ: اعتزالٌ في الشريعة يلحدُ
كالخائض الرمضاء أقلقه اللّظى منها ففرّ إلى جحيمٍ يوقدُ
إنَّ المقالَ بالاعتزال لخطةٌ عمياء حلّ بها الغواة المرّدُ
هجموا على سُبل الهدى بعقولهم ليْلاً فعاثوا في الديار وأفْسدوا
صُمٌّ إذا ذُكرَ الحديث لديهم نَفروا كأن لم يسمعوه وأبعدوا
واضرب لهم مثل الحمير إذا رأت أسْدُ العرين فهُنّ منهم شُردوا

ومنها:

والجاحد الجهميّ أسوأ منهما حالاً وأخبث في القياس وأفسدُ
أمسى لعرش الرب قال منزهاً من أن يكون عليه ربٌّ يعبدُ
ونفى القرآن برأيه والمصحف الأ على المطهّر عنده يتوسّدُ

وإذا ذكرت له على العرش استوى ... قالَ: هو استولى، يحيل ويخلدُ
فإلى مَن الأيدي تُمدُّ تضرُّعاً ... وبأي شيء في الدُّجى يتهجدُ
ومَن الذي هو للقضاء منزلٌ ... وإليه أعمال البريّة تصعدُ
وبما ينزل جبرائيل مصدقاً ... ولأي معجزة الخصوم تبلدُ
ومَن الذي استولى عليه بقهره ... إذْ كان فوق العرش ضد أيدُ
جلّت صفات الحق عن تأويلهم ... وتقدّست عمّا يقول المُلحدُ
لمّا نفوا تنزيهه بقياسهم ... ضلُّوا وفاتهم الطريق الأرشد
ويقول: لا سمعٌ ولا بصرٌ ولا ... وجهٌ لربِّك، ذي الجلال ولا يدُ
مَن كان هذا وصفُه لإلٰهه ... فأراه للأصنام سرّاً يسْجدُ
الحقُّ أثبتها بنص كتابه ... ورسوله، وغدا المنافق يجحدُ
فمن الذي أولى بأخذ كلامه ... جهمٌ أمِ الله العليُّ الأمْجدُ
والصُّحبُ لم يتأولوا لسماعها ... فهمُ إلى التأويل أم هُو أرشدُ
هو مُشرك ويظن جهْلًا أنه ... في نفي أوصاف الإلٰه موحِّدُ
يدعو من اتّبع الحديث مُشبِّهاً ... هيهات ليس مشبهاً من يسندُ
لكنه يروي الحديث كما أتى ... من غير تأويل ولا يتردّدُ
وإذا العقائد بالضلال تحالفت ... فعقيدة الهدي أحمدَ أحمدُ
هي حجة الله المنيرة فاعتصم ... بحبالها لا يلهينّك مفسدُ
إبن ابن حنبل اهتدى لما اقتدى ... ومخالفوه لزيْغهم لم يهتدوا
ما زال أحمد يقتفي أثر الهدى ... ويروم أسبابَ النجاة ويجهدُ
حتى ارتقى في الدين أشرف ذروة ... ما فوقها لمن ابتغاها مصعدُ
نصر الهدى إذ لم يقل مالم يقل ... في فتنة نيرانها تتوقّدُ
ما صدّه ضربُ السِّياط ولا ثنى ... عزماته ماضي الغرار مهنّدُ
فهناهُ حبٌ ليس فيه تعصُّب ... لكن محبة مخلص يتودّدُ
وَوِدادُنا للشافعي ومالك ... وأبي حنيفة ليس فيه تردّدُ

وهذا باب واسع جداً، لا يتسع لذكره مجلد كبير، ويكفي أن شعراء الجاهلية مقرّة به على فطرتهم الأولى، كما قال عنتره في قصيدته:

يــا عَبْـلُ أيْنَ منَ المنيّــة مهـربي إن كــان ربِّي في السماء قضـاهـا

ذكر أقوال الفلاسفة المتقدمين والحكماء/ الأولين

٧٨/أ

فإنهم كانوا مثبتين لمسألة العلو والفوقية لأرسطو وشيعته، وقد نقل ذلك أعلم الناس بكلامهم وأشدهم اعتناء بمقالاتهم ابن رشد الحفيد.

قال في كتابه «مناهج الأدلة»: القول في الجهة وأما هذه الصفة، فلم يزل أهل الشريعة أول الأمر يثبتونها لله سبحانه حتى نفتها المعتزلة، ثم تبعهم على نفيها متأخرو الأشعرية كأبي المعالي ومن اقتدى بقوله، فظواهر الشرع كلها تقتضي إثباتها لله تعالى مثل قوله سبحانه: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾، وقوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرسيُّه السّموات والأرْض﴾، وقوله تعالى: ﴿ويَحْمِلُ عَرْشَ ربِّك فَوقَهُم يومئذ ثمانية﴾، وقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الأمْرَ من السّماء إلى الأرْضِ ثمّ يعْرِجُ إليْه﴾ [السجدة: ٥]، وقوله تعالى: ﴿تَعْرجُ الملائِكَةُ والرّوحُ إليْه﴾ [المعارج: ٤]، وقوله تعالى: ﴿أأمِنْتُم مَنْ في السّماء﴾ [الملك: ١٦]، إلى غير ذلك من الآيات التي: إن سُلّط التأويلُ عليها عاد الشرع كلُّه متأولاً، وإن قيل فيها: إنها من المتشابهات، عاد الشرعُ كلُّه متشابهاً، لأن الشرائع كلها مبنية على أن الله في السماء، وأن منها تنزل الملائكة بالوحي إلى النبيين، وأن من السماء نزلت الكتب وإليها كان الإسراء بالنبي ﷺ، حتى قرب من سدرة المنتهى.

قال: وجميع الحكماء قد اتفقوا على أنّ الله والملائكة في السماء، كما

اتفقت جميع الشرائع على ذلك. والشبهة التي قادت نفاة الجهة إلى نفيها هو أنهم اعتقدوا أن إثبات الجهة توجب إثبات المكان، وإثبات المكان يوجب إثبات الجسمية.

قال: ونحن نقول أن هذا كله غير لازم، فإن الجهة غير المكان، وذلك أن الجهة هي إما سطوح نفس الجسم المحيطة به وهي ستة، وبهذا نقول: إن للحيوان فوقاً وأسفلاً ويميناً وشمالاً وأماماً وخلفاً، وإما سطوح جسم آخر محيط بالجسم من الجهات الست، فأما الجهات التي هي سطوح الجسم نفسه فليست بمكان للجسم نفسه أصلاً، وأما سطوح الجسم المحيط به فهي له مكان مثل سطوح الهواء المحيط بالإنسان، وسطوح الفلك المحيطة بسطوح الهواء هي أيضا مكان الهواء، وهذه الأفلاك بعضها محيط ببعض ومكان له.

وأما سطح الفلك الخارج فقد تبرهن أنه ليس خارجه جسم، لأنه لو كان ذلك كذلك لوجب أن يكون خارج فلك الجسم أيضاً جسم آخر، ويمر الأمر إلى غير نهاية، فإذن سطح آخر أجسام العالم ليس مكاناً أصلاً، إذ ليس يمكن أن يوجد فيه جسم [يمتنع وجوده].

فإذا قام البرهان على وجود موجود في هذه الجهة، فواجب أن يكون غير جسم، فالذي يمتنع وجوده هناك هو عكس ما ظنه القوم، وهو موجود وهو جسم لا موجود ليس بجسم وليس لهم أن يقولوا: إن خارج العالم خلاء، وذلك أن الخلاء قد تبين في العلوم النظرية امتناعه، لأن ما يدل عليه/ اسم الخلاء ليس هو شيئاً أكثر من أبعاد ليس فيها جسم، أعني طولاً وعرضاً وعمقاً، لأنه إن رفعت الأبعاد عنه عاد عَدَماً، وإن أنزل الخلاء موجوداً لزم أن تكون أعراض موجودة في غير جسم، وذلك أن الأبعاد هي أعراض من باب الكمية ولا بد، ولكنه قد قيل في الآراء السالفة القدمية، والشرائع الغابرة: إن ذلك هو مسكن الروحانيين، يريدون الله والملائكة، وذلك أن ذلك الموضع ليس بمكان، ولا ٧٨/ب

يحويه زمان، وكذلك إن كان كل ما يحويه الزمان والمكان فاسداً، فقد يلزم أن يكون ما هنالك غير فاسد ولا كائن، وقد تبين هذا المعنى فيما أقوله وذلك أنه إذا لما يكن ها هنا شيء يدرك إلا هذا الموجود المحسوس أو العدم، وكان من المعروف بنفسه أن الوجود إنما ينسب إلى الوجود أعني أنه تعالى موجود في الوجود أم لا يمكن أن يقال أنه موجود في العدم، فإن كان ها هنا موجود هو أشرف الموجودات، فواجب أن ينسب إلى الوجود المحسوس إلى الجزء الأشرف، وأشرف هذا الجزء قول الله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السّمواتِ والأَرْضِ أَكْبَرُ من خَلْقِ النّاس ولكِنْ أكثرَ النّاس لا يَعْلَمُون﴾ [غافر: ٥٧]، قال: فهذا كله يظهر على التمام للعلماء الراسخين في العلم، قال: فقد ظهر لك من هذا أن إثبات الجهة واجب بالشرع والعقل، وأنه الذي جاء به الشرع وأثنى عليه، فإن إبطال هذه القاعدة إبطال للشرائع، ثم ساق تقرير ذلك إلى آخره.

فهذا كلام فيلسوف الإسلام الذي هو أخبر بمقالات الفلاسفة والحكماء، وأكثر اطلاعاً عليها من ابن سينا، ونقلاً لمذاهب الحكماء، وكان لا يرضى بنقل ابن سينا ويخالفه نقلاً وبحثاً.

ذكر أقوال الجن المؤمنين المثبتين

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إليَّ أنّه اسْتَمَعَ نَفَرٌ منَ الجن فقالوا: إنّا سَمِعْنا قُرآناً عَجَباً * يَهْدي إلى الرُّشْد فآمَنّا به [ولَنْ نُشْرِكَ بِربِّنا أحداً]﴾ [الجن: ١ ـ ٢]، وقال في آية أخرى حكاية عنهم: ﴿فلمّا قُضيَ وَلَّوْا إلى قومهم مُنْذرين * قالُوا: يا قَومَنا إنّا سَمِعْنا كتاباً أُنْزِلَ منْ بَعْد موسى مُصَدقاً لما بيْنَ يديه يَهْدي إلى الحق وإلى طَريقٍ مُسْتقيم﴾ [الأحقاف: ٢٩ ـ ٣٠].

فأخبروا أنه يهدي إلى الرشد وإلى الحق، وأعظم الرشد والحق الذي يهدي إليه: معرفة الله سبحانه وإثبات صفاته وعلوه على خلقه ومباينته لهم، إذ بذلك يتم الاعتراف به وإثباته، ونفي ذلك نفي له ولصفاته، لذلك سمعه المؤمنون الصادقون منهم، كما قال أبو بكر الخطيب «في تاريخه»: حدثني عبد الله بن علي بن محمد القرشي [حدثني عبد الله بن إبراهيم بن أيوب]، حدثنا أبو محمد بن ماسي قال: حدثني أبو مسلم الكجي قال: خرجت يوماً فإذا الحمام قد فتح سحراً، فقلت للحمامي: أَدَخَلَ أحد الحمام؟ قال: لا، فدخلت فساعة فتحت الباب قال لي قائل: يا أبا مسلم، أسلم تسلم، ثم أنشأ يقول:

لَكَ الحمْدُ إما على نِعْمةٍ ... وإما على نقْمة تدفَعُ
تشاء وتفعل ما شِئْته ... وتسمعُ من حيثُ لا يسمعُ

فبادرت/ وخرجت وأنا جزع وقلت للحمامي: أليس زعمت أنه ليس في الحمام أحد؟ قال لي: هل سمعت شيئاً؟ قال: فأخبرته بما كان، فقال: إن ذلك جني يتراءى لنا في كل حين وينشدنا الشعر. ٧٩/أ

فقلت: هل عندك من شعره شيء؟ قال: نعم. فأنشدني.

أيُّها المذنب المُفرط مهْلاً كم تمادي وتكسب الذنب جهلاً
كم وكم تُسخط الجليل بفعل سمجٍ وهو يحسنُ الصنع فضلاً
كيف تهدأ جفونُ من ليس يدري أرضيٌ عنه مَنْ على العرش أم لا؟!

وروينا في الغيلانيات، عن عبد الله بن الحسين المصيصي قال: دخلت طرطوس فقيل لي: هاهنا امرأة رأت الجن الذين وفدوا على رسول الله ﷺ، [فأتيتها،] فإذا امرأة مستلقية على ظهرها، فقلت: رأيت أحداً من الجن الذين وفدوا على رسول الله ﷺ؟ قالت: نعم، حدثني عبد الله بن سمحج قال: قلت يا رسول الله! أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض؟ فذكر أنه «كان في نور».

ذكر قول النمل

قال الله تعالى: ﴿وحُشِرَ لسُلَيْمانَ جُنُـودُهُ منَ الجن والإنس وَالطَّيـر فَهُم * يُوزَعُونَ حتّى إذَا أَتَوْا عَلى وادِ النَّمل قالتْ نَمْلةٌ يَأَيُّها النَّملُ ادخُلُوا مسَاكِنَكُم لا يَحطِمَنَّكُم سُلَيْمان وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضاحكاً مِنْ قَوْلها﴾ [النمل: ١٧ ـ ١٩]. فأخبر الله سبحانه عن النمل أنه ركّب فيهم مثل هذا الشعور والنطق، ولا سيما هذه النملة التي جمعت في هذا الخطاب بين النداء والتعيين والتنبيه والتخصيص والأمر وإضافة المساكن إلى أربابها، والتجائهم إلى مساكنهم، فلا يدخلون على غيرهم من الحيـوان مساكنهم والتحـذير والإعتذار، بأوجز خطاب وأعذب لفظ، ولذلك حمل سليمان عليه السلام التعجّب من قولها على التبسّم، وأحرى بهذه النملة وإخوتها من النمل أن يكونوا أعرف بالله من الجهمية.

وقد دلّ على هذا ما رواه الإمام أحمد قال: حدثنا وكيع قال: حدثنا سعد عن زيد العمى عن أبي الصديق الناجي قال: خرج سليمان بن داود يستسقي بالناس فمر على نملة مستلقية على قفاها رافعة قوائمها إلى السماء وهي تقول: اللهم إنا خلق من خلقك ليس بنا غنى عن رزقك، فإما أن تسقينا وإما أن تهلكنا، قال سليمان للناس: ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم[1].

وروى الطبراني «في معجمه» قال: حدثنا الدبري، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري: أن سليمان عليه السلام خرج هو وأصحابه يستسقون،

---

(١) أسناده ضعيف.

فرأى نملة قائمة رافعة أحد قوائمها تستسقي، فقال لأصحابه: ارجعوا فقد سقيتم، إن هذه النملة استسقت فاستجيب لها[1].

ورواه الطحاوي والطبراني أيضاً من حديث أبي الصديق الناجي قال: خرج سليمان عليه السلام يستسقي، فمرّ بنملة مستلقية على ظهرها، رافعة قوائمها إلى السماء، وهي تقول: اللهم إنّا خلق من خلقك ليس بنا عن سقياك ورزقك غنى، اللهم فإما أن تسقينا وإما أن تهلكنا. فقال: ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم. هذا لفظ رواية الطبراني، ولفظ الطحاوي: فإذا هو بنملة قائمة على رجلها رافعة يديها تقول: اللهم إنّا خلق من خلقك لا غنى بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب بني آدم، فقال سليمان لأصحابه: ارجعوا فقد سقيتم [بدعوة غيركم].

٧٩/ب رواه/ الحافظ أبو الحسن الدارقطني في «سننه»، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «خرج نبي من الأنبياء يستسقي، فمرّ بنملة مستلقية على ظهرها، رافعة يديها إلى السماء تستسقي، فقال لأصحابه: ارجعوا فقد سقيتم».

وفي هذا الباب قصة حُمر الوحش المشهورة التي ذكرها غيّر واحد إنها انتهت إلى الماء لترده، فوجدت المناجل حوله، فتأخرت عنها، فلما جهدها العطش رفعت رأسها إلى السماء، وجأرت إلى الله سبحانه بصوت واحد، فأرسل الله سبحانه عليها السماء بالمطر حتى شربت وانصرفت.

ذكر شيخ الإسلام الهروي بإسناده عن عبد الله بن وهب قال: «أكرموا

---

(١) قال الألباني في «تخريج المكشاة» رقم (١٥١٠): رواه الدارقطني في «سننه» ٢/٦٦ رقم ١١، والحاكم ١/٣٢٥ ـ ٣٢٦ وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي وفيه محمد بن عون مولى أم يحيى بنت الحكم عن أبيه، ولم أعرفهما، وقد رواه ابن عساكر في «تاريخه» (٢/٢٩٧/٧) من غير طريقهما. اهـ.

البقر فإنها لم ترفع رؤوسها إلى السماء منذ عبد العجل حياء من الله ـ عز وجل ـ».

وقد روي مرفوعاً، عن ابن وهب، عن يحيى بن أيوب، عن حميد[1]، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أكرموا البقر فإنها سيدة البهائم، ما رفعت طرفها إلى السماء حياء [من الله ـ عز وجل ـ منذ عُبِدَ العجل[2]]».

قلت: ولا يثبت رفعه، فإن أبا هند مجهول، والمقصود أن هذه فطرة الله التي فطر عليها الحيوان حتى أبلد الحيوان الذي نضرب ببلادته المثل وهو البقر.

ولعل قائلاً يقول: كيف يحتج علينا في هذه المسألة بأقوال مَنْ حَكَيْت قوله ممن ليس قوله حجة، فأجلب بها، ثم لم تقنع بذلك حتى ذكرت أقوال الشعراء، ثم لم يكفك ذلك حتى جئت بأقوال الجن، ثم لم تقتصر حتى استشهدت بالنمل وحُمر الوحش، فأين الحجة في ذلك كله؟!

وجواب هذا القائل أن نقول: قد علم أن كلام الله تعالى ورسوله ﷺ وسائر أنبيائه عليهم السلام والصحابة والتابعين ـ رضي الله عنهم ـ ليس عندكم حجة في هذه المسألة، إذ غاية أقوالهم أن تكون ظواهر سمعية، وأدلة لفظية معزولة عن اليقين، متواترها يدفع بالتأويل، وآحادها يقابل بالتكذيب، فنحن لم نحتج عليكم بما حكيناه، وإنما كتبناه لأمور.

منها: أن يعلم بعض ما في الوجود ويعلم الحال من هو بها جاهل.

ومنها: أن نعلم أن أهل الإثبات أولى بالله سبحانه ورسوله ﷺ،

---

(١) في الأصل والمطبوع عن أبي هند، والتصحيح من كتب الرجال والحديث.

(٢) «الموضوعات» ٣/٣، و«اللالىء المصنوعة» ٢/٢٢٧: قال السيوطي: موضوع، والمتهم به عبد الله بن وهب النسوي دجال وضاع.

والصحابة والتابعين، وأئمة الإسلام، وطبقات أهل العلم والدين من الجهمية والمعطلة.

ومنها: أن نعرف الجهمي النافي لمن خالف من طوائف المسلمين، وعلى من شهد بالتشبيه والتمثيل، وعلى من استحلّ بالتكفير وعرض من فرق من الأئمة.

ومنها: ان يعرف عساكر الإسلام والسنّة وأمراءها، وعساكر البدع والتجهّم ليتحيز المقاتل إلى إحدى الفئتين على بصيرة من أمره، ﴿ليهلِكَ من هَلَكَ عن بَيِّنَةٍ، ويحيىٰ من حَيَّ عن بينةٍ، وإنّ الله لسميعٌ عليمٌ﴾ [الأنفال: ٤٦].

ومنها: أن نعرف الجهمي النافي لمن قد بارز بالعداوة وبغى الغوائل، وأسعر نار الحرب، ونصب القتال. أفيظن أفراخ المعتزلة ومخانيث الجهمية ومقلدوا اليونان أن يضعوا لواء رفعه الله تعالى، وينكّسوا علماً نصبه الله تعالى، ويهدموا بناء شاده [الله] ورفعه، ويقلقوا جبالاً راسيات شادها وأرساها، ويطمسوا كواكب نيرات أنارها وأعلاها؟!!!

هيهات هيهات، بئسما منتهم أنفسهم لو كانوا يعقلون، ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون. ﴿يُريدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ الله بأفْواهِهِم والله متمُّ نُورِهِ ولَوْ كَرِهَ الكافرون * هو الّذي أرسَلَ رسُولَه بالهُدى ودين الحَقِّ لِيُظْهره على الدِّين كُلِّه ولَو كَرِهَ المُشْركون﴾ [الصف: ٨ ـ ٩] ولو شئنا لأتينا على هذه المسألة بألف دليل، ولكن هذه نبذة يسيرة جداً من كثير لا يقال له قليل، ومن هداه الله فهو المهتدي ومن يضلل الله فما له من سبيل.

هذا آخر كتاب «اجتماع الجيوش الإسلامية على حرب المعطلة والجهمية». ليلة الخميس عاشر رجب سنة ست وثمانمائة.

* * *

فهرس موضوعات كتاب
اجتماع الجيوش الاسلامية